
H1
اكشن ون
حرب البهادرا
إسلام عبد الله
ساحر الكتب



إتش وَن

الكتاب: إتش وان

الكاتب: إسلام عبد الله

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2018/34492

الترقيم الدولي: 978-977-778-143-5

الطبعة الأولى: 2018



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت:35860372 02 -27772007 011

Noon_publishing@yahoo.com

إسلام عبد الله



(حرب البهادارا)

رواية



زحـامٌ شـديدٌ بإحـدى عربـات المترو المكتظ براكبيـه.. كان الوجـوم والضيـق همـا السـمة الحـاضرة فـوق الوجـوه مـن هـذا الاختنـاق الشـديد.. كان الجميـع لا يجـد لـه موضـع قـدمٍ للوقـوف، ناهيـك عـن الحركـة.. ووسـط كل ذلـك كان هنـاك رجـل ينسـل بـين كل تلـك الجموع كالسـمكة الصغـيرة بوسـط المـاء.. كان يتحـرك بسرعـةٍ وخِفَّـةٍ شَـديدةٍ لا يضاهيهـا إلا سرعـة يـده وهـي تخـترق حقيبـة سـيدة غافلـة وتسـحب منهـا هاتفهـا النقـال دون أن تشـعر.. لحظـة واحـدة وكان يضـع الهاتـف بملابسـه ويتجـه إلى شـخصٍ آخـر ليقـف خلفـه لعـدة لحظـات يتابعـه وهـو يتصفـح هاتفـه، وعندمـا وجـد الرجـل يبتسـم إلى أحـد المنشـوارات كان هـو أيضًـا يبتسـم وهـو يحمـل محفظتـه بـين يديـه وينطلـق مسرعًـا جهـة ضحيـةٍ أخـرى.. دقَّـقَ بوجـوه الـركاب سريعًـا بنظـرات فاحصـة متمحصـة ليلتقـط بعينـه الخبـيرة شـابًا يبـدو عـلى ملامحـه أنـه غـارقٌ بالتفكـير والـشرود الشـديد.. وهنـا علـم أنـه وجَـدَ ضالتـه فاتجـه صوبـه مُسْرعًـا ثـم دفعَـهُ بِكَتِفِـه برفـقٍ، ثـم وضـع يـده بجيبـه وأخـرج محفظـةً وهـبَّ مبتعـدًا، ولكنـه تفاجـأ بوجـود شيءٍ يتعلـق بيـده وبهـا المحفظـة.. نظـر خلفـه مضطربًـا مذهـولاً ليجـد الشـاب يبتسـم لـه وهـو يمسـك بيـده محفظتـه وهـي شـاهدة عـلى جرمـه المشـهود.. تملَّـك الذُّعـرُ وَجْـهَ

اللص فأخرَجَ مِن وسط ملابسه بيده الأخرى مطواة وفتحها بسرعة وبمهارة شديدة.. ضحك الشاب أمامه ثم حدَّثه بثقة: «ماتخافش.. مش هقول لحد إنك حرامي.. ده أنا هكافأك وآديلك 500 جنيه لو عملت اللي قولتلك عليه..»

اللص فَرِحًا: 500 جنيه.. عايزني أعمل إيه؟

الشاب مبتسما بثقة: حاجة بسيطة جدًّا.. هتفجر المترو..

****

بأحد شوارع القاهرة العتيقة، ووسط الزحام، وبين الطُّرقات كان هناك سائق سيارة أجرة في أوائل الخمسينيات يقود سيارة ومُسجِّلُه يصدح بإحدى أغاني أم كلثوم الشهيرة.. وأخذ السائق يحرك يديه مندمجًا وهو يدندن كلمات الأغنية بعشق شديد وهو ينظر من خلف الزجاج إلى الزبائن وهي تشير إليه وهو ينتقيهم، ومَن لا يروق له يتركه سريعًا بعدم اهتمامٍ.. نظر سريعًا إلى سيدة بدينة وهي تحمل حقيبة ضخمة وتشير له بأن يقف لها.. تطلَّع إليها سريعًا.. ثم حدَّثَ نفسه متأفِّفًا: «لا دي تخينة قوي وانا لسه مغيَّر العفشة قريب.»

تركَ السَّيِّدة وانطلق بسيارته سريعًا يخترق الشوارع بحثًا عن غايته.. لمح شابًا وسيدة يقفانِ بجواره فحدَّث نفسه بعد أن عاينهما جيدًا: «نجيب دول.. دول خُفَاف حلوين..»

توقف بسيارته أمامهما.. فحدَّثَه الشاب مترجيًا: «معلش يا أسطى ممكن تاخدني أنا ووالدتي لعابدين..»

أخذ السائق يداعب ذقنَه في تردُّدٍ للحظاتٍ: «عابدين.. عابدين.. اركب تعالى..»

انتاب الشاب الفرح الشديد ونادى على أمه التي أتت مسرعة: «تعالي يا حاجَّة.. وافق خلاص..»

أخذت السيدة تصدح له بالدعاء: «ربنا يكرمه يا ابني ويوسع رزقه..»

واقتربت من باب السيارة الخلفي وشاهدت شيئًا بداخل السيارة.. فضربت صدرها مصدومةً.. وسحبت يد ابنها بسرعة وركضت بعيدًا: «ياهوي.. ياهوي.. يلا يا ابني من هنا.. ياهوي.. ياهوي ..»

شاهَدَ السائق ردَّ فعلها المذعور وهي تبتعد هي وابنها مندهشًا ثم صرخ بهما غاضبًا: مشيت ليه بنت المجنونة دي.. تصدقي أنا غلطان وأستاهل ضرب الجزمة علشان وافقت إني أوصلكم يا زباين هَمّ.. يا ولاد...»

تحرَّك بسيارته سريعًا وهو غاضب من تصرف المرأة، وأخذ يسب ويلعن بها طوال الطريق.. بعد عدة أمتار وقفت فتاة جميلة وأشارت إليه أن يتوقف.. نظر لها مبتسمًا ووقف بسيارته أمامها..»أيوه كده.. هى دي الزباين اللي تفتح النِّفْس.. على فين ياهانم؟»

أجابته الفتاة سريعًا: «مصر الجديدة..»

ابتسم لها السائق: «والله لو رايحة السلوم لوصلك.. اركبي يلا..»

ابتسمت له الفتاة.. ثم توجهت لفتح باب السيارة الخلفي لتركب، وهنا شاهدت شيئًا في الخلف.. فتركت الباب مفتوح وأخذت تصرخ مذعورة وهي تمسك رأسها: «ااااااااااه..»

في لحظات بسيطة تجمع المارة حولَ سيارة الأجرة ومنعوها من

التحرك في ظِلِّ تعجب السائق وهو يُحدِّثها مذعورًا: «في إيه ياهانم.. في إيـه؟»

اقـترب أحـد الفضولـين مـن الفتـاة وهـو يسـألها مـاذا حـدث.. فأشـارت الفتـاة إلى المقعـد الخلفي للسيارة.. وهنـا تجمـع النـاس واقتربوا مـن مقعـد السـيارة ليظهـر لهـم جميعًـا رجـلٌ مطعـون بالسـكين في صـدره وممـددٌ عـلى الكنبـة الخلفيـة للسـيارة..

حدثـت جلبـة وصريـخ وزعيـق مـن الجمـوع حـول سـيارة الأجـرة، وأخرجـوا السـائق منهـا وهمـوا بطلـب الشرطـة..

****

بوسـط لهيـب الصحـراء الواسـعة وبحـار الرمـال المتأججـة جلـس وحيـدًا يُداعِـبُ ذَقْنَـه بيـدِه اليسـرى وهـو يضجـع عـلى جانبـه الأيمـن يترقـب مـا سيسـفر عنـه صراع ذكريـين ضخمـين مـن الكبـاش الثمينـة يناطحـون بعضهـم بقرونهـم الحـادة بقـوة وبعنـف وسـط قطيـع الحمـلان غـير المكترثـة بـما يفعـل الكبشـان، كل مـا فعلـوه أنهـم ابتعـدوا قليـلاً ليخلـوا السـاحة للغريمـين ليتنافسـا بِحُريَّـةٍ أكثـر.. ظـل الراعـي يراقـب الكبشـين وهُـما يتباعـدان عـن بعضهـم ومـن ثـم يتناطحـان مـن جديـد بـكل قـوة وعـزم ولم يوقفهـما أو يحـرك سـاكنًا مـن أجلهـما واكتفـى بمتابعـة تلـك الإثـارة الرخيصـة المتوفـرة أمامـه؛ فـلا يوجـد بديـل آخـر لكـي يسـلي وقتـه حتـى انتهـاء الحملـين مـن الرعـي سـوى بتلـك المشـاهد أو محاولاتـه النـادرة بإبعـاد الأسـود أو الذئـاب عـن قطيعـه الكبـير هـذا.. قطـعَ إثارتـه المحـدودة تلـك ثلاثـة أشـخاص يرتـدون الـزِّي البـدوي ويشـهرون سـيوفهم وهـم يمتطـون ظهـور

خيولهم الضخمة القوية ويشقون غبار الصحراء بطريقهم جهته، بثقة وتحدٍّ.. شعر الراعي بدنوِّ الخطر فقفز من مكانه متأبطًا سيفه بالحال، وأخذ يترقب وصول الفرسان صوبَه، وعند اقترابهم شهر سيفه بالتو وعندها توقف الفرسان على بُعدٍ منه فصرخ عليهم بالحال: لِمَ أتيتُم إلى هنا أيها الحمقى.. ألا تعلمون مَن أنا؟».. ضحك الفرسان بالحال ساخرين منه.. وصرخ أحدهم عليه بتحدٍّ: «بل نعلم من أنت جيدًا.. ولهذا جئنا طلبًا لرأسك أيها العبد الأسود».. هُنا اذبهلَّ الرجل مصدومًا وهو يُحدِّث نفسه غير مصدق: «ماذا؟ عبد أسود؟ أنا عبد.. أنا أسود؟».. قالها وهو يقلب سيفه بيده ليجد انعكاسًا لصورةٍ على عرض سيفِه ليجد نفسه بالفعل يرتدي ملابس العبيد الممزقة ووجهه أسود شديد القتامة.. صرخ الراعي بفزع شديد وألقى بسيفه بعيدًا وأمسك رأسه وهو يتحسَّس ملامح وجهه بيده ويصرخ بصدمة شديدة: «أنا.. أنا عبد.. أنا أسود.. كيف.. كيف؟؟».. جاءه الرد سريعًا من أحد الفرسان وهو يركض جهته بحصانه المغوار ويحمل سيفه بتحفز ويضحك بشدة وهو يصرخ على الراعي: «هل جننت يا عبد السوء لكي تلقي بحسامك أمامي.. إن رأسك لي الآن».. وهب سريعًا بسيفه على رأس الراعي فانتزعها بسيفه من فوق جسده وسقطت على الأرض بالحال.. آخر ما شاهده الراعي بحياته كان جسده الضخم وهو يهوي على الأرض بدون رأس أمامه.. صرخ بفزعٍ شديدٍ: «أنا...» ولكنه وجدَ نفسه لا يستطيع التحرك.. حاول أن يتحدث فلم يستطع أيضًا.. ظل يصرخ ويصرخ ولكن لم يخرج صوته أبدًا.. ظلَّ يحاول ويحاول بدون أي جدوًى.. صرخ بأقصى قوةٍ لديه وهو يتحاول أن يتحرك بيأس شديد

فلـم يسـتطع أيضًـا.. هنـا أيقـن مـا حـدث.. إنـه المـوت.. إذًا هـو ميت الآن.. هـل حياتـه انتهـت.. هـل انتهـت هكـذا بلحظـات.. هـل سـينتهي وجـوده هكـذا مـن الحيـاة.. لالالالا.. لالالالا.. لالالالالالا.. قالهـا وهـو يصرخ بأقصى طاقته، وهنـا وجد نفسـه قـد تحرَّك فجأة.. تحسَّس رأسـه فوجدهـا بمكانهـا.. شـعر بالاندهـش.. تحسَّـس جسـده بلهفـة فوجد كل شيء طبيعيًّا مـا زالت رأسـه وجسـده متشـابكين مـع بعضهما.. حـدَّثَ نفسـه مندهشًـا: «مـاذا.. أنـا لم أمُتْ..» ..نظر حولـه بسرعـة فلـم يجـد نفسـه بالصحـراء ولا بجـوار قطيـع الأغنـام.. إنـما يجلـس عـلى أريكتـه الزرقـاء الكبـيرة المريحـة بغرفـة المعيشـة، وأمامـه تلفـازه الكبـير الـذي مـا زال يعمـل ويعـرض مشـهدًا للممثـل فريـد شـوقي وهـو يحمـل جـذع نَخـلٍ كبـيرًا وهـو يدهـن جسـده باللـون الأسـود ويطيـح برجـال القبائـل حولـه بجـذع النخلـة كـما يطيـح أدهـم صـبري بمنافسـيه بـدون أي مجهـود يُذكَـر.. هنـا ابتسـم يحيـى كامـل وهـو ينظـر للتلفـاز وتذكـر بأنـه غـطَّ بالنـوم، وأن مـا شـاهده منـذ قليـل كان مجـرد حُلـم عايشـه متأثـرًا بمشـاهدة التلفـاز.. أغلـق التلفـاز وهـو يضحـك مـن نفسـه سـاخرًا وهـو يحـرك رأسـه غـير مصـدق بأنـه كان يحلـم بأنـه عنـترة بـن شـداد.. ولكـن عكـس مـا كان يشـاهده يقاتـل وينتصر عـلى الجميـع.. أمـا هـو فقـد مـات بالحـال بـأول مواجهـة.. تمـدد مـرة أخـرى بجسـده عـلى أريكتـه المحببـة، وأخـرج تنهيـدة مُحمَّلـة بزفـيرٍ كبـيرٍ مـن رئتيـه وهـمَّ بأخـذ اسـتراحة قصـيرة وهـو يغلـق عينيـه وهـو لا يعلـم لمـاذا يفعـل هـذا دائـمًا عندمـا يسـتيقظ فيحـاول أن ينـام مـرة أخـرى، ولكنـه دائـمًا مـا يسـتيقظ بعـد عـشر ثـوانٍ بَعـد أن تكـون رأسـه قـد امتـلأت بجميـع أفـكار ومشـاكل العـالم بتلـك الثـواني.. تحسَّـس بقدمـه اليمنـى، شيء معـدني غريـب أسـفل

قدمه فاعتدل بجلسته واتجه إلى هذا الشيء أسفله ومدَّ يده بأعماق أعماق أريكته ليجدها بالنهاية ويخرجها ليجدها عبوة مياه غازية معدنية قد قام بشُربها بمساء الأمس مع بعض قطع العيش الفينو الطازجة المختلطة بقطع الجبن النستو أمام التلفاز.. فوضعها يحيى أمامه على المائدة وهو ينظر حوله فوجدَ غرفة المعيشة ممتلئة بالنفايات والأوساخ فشعر بتأنيب الضمير لأنه تسبَّب بهذه الكمية الكبيرة من الأوساخ وقام سريعًا بحمل سلة المهملات المتواجدة بأسفل أحد المقاعد بغرفة المعيشة وهمَّ بالتقاط مُخلَّفاته قبل أن تستيقظ زوجته سمر وتبدأ بسرد خطبتها المعتادة عن النظافة، وأنه يجب أن يكون المرء نظيفًا وهَلُم جرا لآخر الحديث الذي سئم سماعه.. انتهى يحيى من جمع المخلفات وتعجَّب من مشاهدة غرفة المعيشة التي أصبحت نظيفة بلحظة، وبدأ يشعر بالمتعة التي تشعر بها النساء بعد أن ينتهين من نظافة أي شيء.. وضع سلة المهملات جانبًا واتجه إلى غرفة نومه ليرى زوجته سمر، وفتح الباب برفق لأنه كان يتوقع أنها ما زالت نائمة ولكنه تفاجأ بانها ليست بغرفتها وأن السرير لم يُمَس أي إنها لم تنم بغرفتها بالأمس.. هنا علم وِجهتها بالحال فأغلق باب غرفة نومه واتجه إلى غرفة صغيرة بنهاية الممر الأيمن من غرفة المعيشة ليفتح باب غرفة نوم ابنهما الصغير مروان ذي الثلاثة أعوام، ففتح بابها برفقٍ ليجد أمامه زوجة سمر وهي نائمة وهي جالسة بجوار ابنها مروان النائم بعمقٍ على سريره وبجوارهم على الكومود الكثير من علب الأدوية وبعض أطباق الطعام بها بقايا كثيرة.. اعتصر هذا المشهد قلبه وهو يرى زوجته راقدةً بجوار ابنه المريض وهو لا يستطيع أن يوفر لهم مكانًا جيدًا بإحدى المستشفيات الاستثمارية ذات

الأجنحة الفندقية فابتلع امتعاضه بأسى وجلس على مقعد صغير بجوار الحائط وظل يرقب زوجته وابنه بصمت.. ظل يدقق بملامح زوجته وهي نائمة بهدوء واندهش لدى ملاحظته لتفاصيل جديدة بوجهها.. فملامح سمر اختلفت كثيرًا بعد أن تزوجته.. لم يعلم لماذا لم يشعر بهذا التغير المفاجئ بوجهها.. هل يعقل بأن الإنسان عندما يشاهد الشيء مرارًا وتكرارًا يتغافل بعد ذلك عن تفاصيله أن هذا لشيء عجيب.. تطرق بناظره إلى جسد زوجته، ظن أنه أصبح ضخمًا وبدينًا.. كيف لسمر تلك الغزال الرشيق التي كان دائمًا ما يحلم بأن يتملك هذا الجسد بيوم من الأيام وأن يظفر بإحساس تواجده بين أحضانه تحول إلى هذه الكتل الهلامية من اللحم والشحوم بعد أربعة أعوامٍ فقط من الزواج.. هل يعقل أن تغير تلك السنون من البشر بهذه السرعة.. عقله دخل بمقارنة سريعة ما بين جسد زوجته سمر ومديحة الفتاة الشابة التي معه بالعمل.. وبالطبع اكتسح جسد مديحة تلك المقارنة بكل سهولة، ولكنه طرد تلك الأفكار سريعًا عندما لاحظ بروز نتوءٍ كبيرٍ من بطنه بمقياس خمسة سم أو أكثر ليُذكِّره بأن تلك السنون التي طالت زوجته قد طالته هو أيضًا فلا داعي لذِكر تلك المقارنة لأنه إذا وُضِعَ مع مقارنة بأي شخصٍ آخر لن تكون له الغلبة بالغالب، وقفَ متنهدًا وهو يصفع بيده كرش «العز وأكل الوز» كما يحب أن يطلق عليه وتوجه إلى السرير الصغير ليطبع قبلة على وجنة ابنه مروان، ولكنه توقف بالحال عندما ترامت إلى أنفه رائحة كريهة تخرج من جسد الصغير فابتعد عنه مسرعًا وهو ينفض رأسه حتى لا يفقد وعيه وهو ينظر إلى طفله الصغير مندهشًا كيف لهذا الكائن الصغير المحمَّل بالمخلفات والمشاكل والروائح الكريهة

أن يجعلنا نفعل المستحيل لكي نرى ابتسامةً على وجه الصغير أو نظرة رضا من عينيه الناعستين.. كيف لهذا الشيء أن يجعل شخصين بالغين مثلي ومثل أمه أن لا يستطيعا النوم بحرية وبدون قلقٍ إذا ما أصابه حمى أو رشح صغير كيف أنه لم يهنأ هو وزوجته براحة بال عندما اكتشف أن مروان الصغير هذا مصابٌ بثقبٍ بقلبه اليافع، وأنه لا يستطيع أن يركض أو يلعب بحرية مثل أقرانه لأننا نخاف عليه أن يبذل أي مجهود شاق حتى لا يكون بهذا نهاية حياته القصيرة.. أخذ يحيى ينظر إلى مروان بأسى وهو يتأمل ذلك الجسد الضئيل وتلك الأقدام والأيدي الشبيهة بأقدام السناجب ووجهه الأبيض الجميل الذي يحمل شفاة صغيرة بلون الفراولة الحمراء التي تجعلك حينما تراها ترغب بالتهامها وأنفه الصغير التي تحمل أنفاسه المعدودة من تلك الدنيا.. مشهد رائع يتمنى أن يراه كل أب دائمًا وهو يشاهد أطفاله ينامون بهدوءٍ وراحةِ بالٍ لم يتحمل يحيى من مقاومة تلك اللطافة الزائدة فأخذ نفسًا عميقًا وأغلق أنفه وطبع قُبلةً على جبين مروان الصغير فتفاجأ يحيى باستيقاظ سمر وهي فزعة وتنظر له مندهشة.. فطمأنها وهو يبتسم «ماتخافيش يا سمر ده أنا».. نظرت له بعين ناعسة: «يحيى.. هو انت صحيت..»

«آه.. شكلي نمت على الكنبة إمبارح وانا بتفرج على التلفزيون.. إنتي نمتي جنب مروان إمبارح..»

«آه.. أصله كان تعبان وسخن شوية.. ففضلت جنبه طول الليل وشكلي رحت في النوم..»

«طيب أنا هاروح أعملكم أي حاجة تاكلوها».. حاول أن ينصرف

من الغرفة سريعًا فأوقفته سمر سريعًا وسألته بحدة: «رحت لخالك إمبارح يا يحيى؟».. شعر يحيى بالاضطراب وتنهَّد بضيق وحدثها وهو ما زال يعطي لها ظهره: «أيوه.. رحتله..»

«وقالك إيه.. هيديك الفلوس؟».. التفت يحيى جهتها ببطء وهو يطأطئ رأسه وحدثها بنبرة خجلة دون أن ينظر لها.. «قالي.. إن ابنه خلاص هيتجوز بعد شهرين وإنه بيجهز في شقته دلوقتي ومحتاج لكل قرش معاه حاليا.. وإنه مش هيقدر يديني المبلغ الكبير اللي أنا طالبه».

بغضب: «يعني إيه؟ مش هيديك الفلوس؟ ده هو كان الأمل الوحيد اللي انت كنت معتمد عليه.. هانجيب منين 250 ألف نعمل بيها العملية لمروان؟!».. أجابها يحيى مضطربًا: «يا سمر.. لسه قدامنا وقت طويل ندبر فيه المبلغ.. العملية مش ضروري تتعمل بكرة يعني.. طالما واخدين بالنا من مروان مش هيحصله حاجة إن شاء الله».

«يعني إيه.. عايزْنَا مانعملش العملية.. وأفضل عايشة طول عمري خايفة على ابني يجري ولَّا يلعب زَيُّه زي باقي الأطفال التانين.. ولو صبرت سنة ولا سنتين تاني زي ما انت عايز ولا قدَّر الله مروان تعب واحتاج يعمل العملية ال 250 ألف اللي مش عارفين نجيبهم دلوقتي هيبقوا مليون واتنين واحنا في بلد ماهاش كبير يا يحيى كل اللي عايز يغلِّي حاجة يغليها ولا في رقيب ولا مجيب ساعتها هتعمل إيه يا يحيى؟».. صمت يحيى قليلاً وهو يحاول أن يرد على حديثها المنطقي الذي يحمل الكثير من الوجاهة فلم يستطع.. فاكتفى بأن أومأ برأسه لها مطمئنًا: «ماتخافيش يا سمر.. أنا هتصرف..

أنا هاعمل أقصى ما في وسعي علشان أجيب فلوس العملية لمروان».. وقفت أمامه سمر غاضبة وهي تصرخ بوجهه: «هتعمل ما في وسعك.. ماهو انت السبب في اللي حصلنا من الأول.. كنت عايز تبقى بطل ويقولوا عليك الإنسان الخير الملاك في دنيا البشر بيقطعوا بعضيهم علشان الجنيه.. عملت فيها صاحب مبادئ وقيم حضرتك وضحيت بالملايين وبعيشة كريمة ليك ولمراتك وابنك كل ده علشان الناس الغريبة اللي ماحدِّش فيهم فكر ولا هيفكر يساعدك أو يساعد ابنك المريض ده».. نظر لها يحيى غاضبًا ممتعضًا وهو يصرخ بنفسه من داخله.. ها هي مرة أخرى تذكِّره بذلك الأمر من جديد لكي تهينه وتجعله يشعر بغبائه وعدم قدرته على تحليل الأمور.. إنها تذكره بما حدث معه من قبل مع أنه لم ينسَه أبدًا.. غضبه الشديد جعله يريد أن يهم بالصراخ عليها هي أيضًا ومبادلتها ذِكر عيوبها هي أيضًا.. فجميع البشر لا يخلون من العيوب وسمر زوجته بالذات تحمل منها الكثير.. ولكنه تراجع باللحظة الأخيرة وأخذ يبتلع امتعاضه وغضبه بداخله واكتفى بالنظر إلى مروان الصغير وهو نائم وترك زوجته تتابع حديثها الغاضب وملامتها الدائمة له وظلت سمر تتابع إطلاق نيران لسانها على يحيى المستسلم أمامها حتى استيقظ مروان الصغير من صراخها وحدثها بصوتٍ ضعيفٍ: «ماما.. في إيه يا ماما؟».. هنا توقفت سمر عن ثورتها وتوجهت صوب مروان الصغير وهي تبتسم وتضَعُ يدها على جبهته تتحسس حرارته وبتلك اللحظة نظر إليهم يحيى غاضبًا وحاول أن يلملم شتات كرامته كرجل وانصرف إلى خارج الغرفة بهدوء..

****

وقف يحيى أمام مرآة الحمَّام الكبيرة وهو ينظر إلى وجهه المغطى بالمياه، وشعره المبلل ويتأمل تفاصيل وجهه بدقة شديدة.. لاحظ على الفور نمو بعض الشعيرات البيضاء على جانبي رأسه وأسفل ذقنه الصغيرة التى تركها تنمو ليس حُبًّا بها، ولكن مجرد كسلٍ لواجب الحلاقة اليومية لها ولاحظ أن أنفه وأذنه قد أصبحتا أكبر قليلاً عن السابق.. هو يعلم بأن الأنف والأذن هما الأعضاء التي لا تتوقف أبدًا عن النمو.. ولكن أن تعلم معلومة علمية شيءٌ، وأن تراها تتحقق بأعينك شيءٌ آخر تمامًا.. ظهرت تجاعيد واضحة فوق جبهته على هيئة خطوط سوداء وهالات كبيرة تحت عينيه وبشرته القمحية أصبحت ذابلةً وغير نضرة مثل السابق.. نظر لنفسه مصدومًا وهو يصرخ بداخله: ما كل هذا؟ ما الذي يحدث لي؟! هل هذا وجه شاب بالخامسة والثلاثين من عمره! لماذا أصبحت يصيبني التعب من أي مجهودٍ بَدَنِيٍّ.. لماذا أصبحت أقل قابلية للضحك عن ما قبل.. لماذ الشيء الذي كان يفرحني ويمتعني وأنا صغير أراه الآن سخيفًا ومُمِلاً.. لماذا هذا؟ هل هذا هو النضوج.. إذًا يا ليتني لم أكن ناضجًا.. تنهد تنهيدة كبيرة أخرجت ثاني أكسيد الكربون من صدره وأخرجت معها بعض همومه من قلبه.. وتذكر كلمات سمر الجارحة وأنها تُذكِّره بها كل مرة يتشاجرون مع بعضهم.. شعر بالضيق الشديد.. وأخذ يحدث نفسه بغضبٍ.. لماذا يعايرونني بالذي حدث معي من قبل.. لماذا يلومنني بكل مرة.. لماذا الجميع يفعل ذلك لماذا لا ينظرون إلى الأمور من منظوري؟ لماذا لا يشاهدون العالم من عينيّ.. إذا حدث ووضعوا أنفسهم بحذائي فسوف يدعموني بالتأكيد ويرون أني اتخذت القرار الصحيح.. فالنقود ليست كل شيء أنا على

قناعة من داخلي بأن هذا هو الشيء الصحيح وأن هناك أشياءَ بهذا العالم أكثر أهمية وضرورة من النقود.. ولكن لماذا.. لماذا كل ما يحدث لي من ظروفٍ يشعرني بأخطائي.. لماذا جميع من أقابلهم يشعرني بأني غبي ومُغيَّب ولست من هذا العالم.. هل أنا حالم.. هل النقود هي أهم شيء بهذه الحياة.. هل السعادة في أن تكون غنيًّا.. هل هي تلك الحقيقة الوحيدة الثابتة والمؤكَّدة بهذا العالم كالموت.. إن جميع من يراني ويتعامل معي ينعتني بمقولة واحدة فقط: أنت ذكي.. هل أنا ذكي بالفعل؟ لماذا جميع من أعرفهم يخبرونني بأني ذكي كما يقولون، ولكني غبي لأني لا أستغل ذكائي هذا بأن أكون غنيًّا.. لا أعلم لماذا يقولون إني ذكي.. إني أرى نفسي بأني عادي للغاية.. لا.. بل أنا غبي لأني قد استطاع صديق عمري أو ما كنت أعتقده أنه صديق عمري في خداعي وكاد أن يدخلني السجن.. وإن كنت أعتقد بأنه.. ما هذا.. ما كل ذلك.. اللعنة لقد فعلتها مرة أخرى.. لقد كنت أفكر بشيء ثم بعد قليل يأخذني عقلي للتفكير بشيء آخر.. ثم شيء آخر ..ثم شيء آخر.. اللعنة.. يجب أن أتوقف عن هذه العادة لأني هكذا لن أتوقف عن التفكير إلى ما لا نهاية.. يجب أن أركز فيما أريد أن أفعل.. نعم.. أنا أعلم ما سوف أفعله الآن.. فسوف أخرج إلى خارج المنزل طوال اليوم.. سوف أجعل سمر تشعر بالندم.. أنا أعلم بأن سمر من النوع الطيب ولكنها صريحة وصراحتها تلك كالقنبلة المتفجرة تلقيها بوجهك بأي وقتٍ.. هي تفعل ذلك مع الجميع دون استثناء ولكنها سرعان ما تعود وتعتذر عن ما قالته.. أنا أعلمها جيدًا فهي حبيبتي وزوجتي وأم أولادي.. نعم أستطيع أن أبادلها الكلمات الجارحة والشتائم واللكمات أيضًا.. إن بعض زملائي يتفاخرون بهذا

أمامي ولكن لا.. لم يكن هذا هو الحل أبدًا.. الحل أن يعلم الرجل ما هي خصال حبيبته ويتعود أن يتعامل مع هذه الخصال.. ما يقال عن أن الرجال من الزهرة والنساء من المريخ وأن النساء صعب أن تعلم ما بعقولهم هذا محض هراء.. فالبشر جميعهم لا تزيد أنماطهم الشخصية عن خمسين نمطًا فقط.. جميعهم يتشاطرون ويُكرِّرون الصفات نفسها بشكل أو بآخر.. إذا علمت نمط الشخص الذي أمامك سوف تستطيع التعامل معهم مهما كانوا.. وأكبر دليل على صِدْقِ حديثي هو نجاحي دائمًا بتحقيق «التارجت» الخاص بي ببيع الأدوية للصيدليات وللأطباء.. فجأة يترامى إلى مسامعه صوت طَرقٍ على باب الحمام ويستمع إلى صوت سمر من الخارج وهي تنادي عليه.. ابتسم يحيى بالحال وهو يعلم بأن زوجته قد أتت لتصالحه الآن ولكنه كان يتوقع بأن تتأخر قليلاً عن هذا.. فتح الباب بقوة وسرعة وهو يرسم على وجهه ملامح الغضب والجدية فوجد سمر تنظر له بترجٍّ وتحدثه بصوتٍ هادئٍ وخافتٍ: «ماتزعلش منِّي يا يحيى.. ما تزعلش مني أرجوك.. أنا عارفة إنك بتتعب جدًّا علشان خاطري أنا ومروان ولكن...».. قاطعها يحيى بالحال عن طريق احتضانها واحتوائها بصدره.. غابت سمر عن العالم بتلك اللحظة وارتمت بحضنه بقوة ووضعت يديها على ظهره وضغطت بقوة شديدة وترامت إلى مسامعه تنهيداتها القوية الخارجة من صدرها وهي تضغط على صدره بقوة.. تمنت سمر بتلك اللحظة أن تتوقف عقارب الزمن وتظل بحضن زوجها للأبد وتغوص بداخله بين أحشاء هذا الرجل الذي لم تسمع منه كلمة يجرحها بها بيوم من الأيام.. أو أهانها بأي شكل من الأشكال..

شعرت بسعادة غريبة تجتاحها لا تعلم من أين تأتي شعور ممتع ليس له وصف أن تظل بحضن محبوبك وبين يديه.. رفعت رأسها ونظرت بعينه التي كان باديًا عليها نظرات اللهفة والاشتياق فيما بينهما.. وهمت به وهمَّ بها لولا أن وجدا جسد مروان الصغير يحتضن أقدامهم ويفعل مثلهم؛ فشعر يحيى وسمر بالإحراج مما حدث ونظرا إلى مروان الصغير وظلا يتضاحكان بخجلٍ.. حمل يحيى الصغير مروان على يده ووضع يده الأخرى على كتف سمر وتوجها إلى غرفة المعيشة..

****

لفيف من رجال الشرطة بزيهم الرسمي وعرباتهم ذات الإضاءة المعروفة تلتف حول أحد الأجزاء من الشارع وهم يحاوطون سيارة التاكسي وسائقها .

يقترب من هذا اللفيف المقدِّم ياسين حسن بشاربه الكث الغليظ وملابسه المدنية وهو يضع سيجارة في فمه ويخترق الصفوف بلا مبالاةٍ.. فيقابله أحد الضباط أقل منه رتبة.

«تمام يا باشا.. قفشنا الواد القاتل واتحفّظنا على الجثة والتاكسي وخبراء المعمل الجنائي والطبيب الشرعي بيعاينوا الجثة ومسرح الجريمة دلوقتي».

يسحب ياسين سريعًا أنفاث السيجارة بقوة مرتين متتابعتين ثم ينفث الدخان من جانب فمه وهو يهز رأسه للضابط بلامبالاة.

«تمام.. تمام يا حمادة.. الواد القاتل فين.. هاتهولي خالينا نخلص»

ينظر له الضابط بضيق:

«حمادة.. حاضر ياباشا.. هاجبهولك.»

يتوجه الضابط سريعًا إلى أحد الأماكن ثم يحضر سائق التاكسي المكلبش مع أحد أمناء الشرطة بالزي المدني .

«الواد آهو ياباشا..»

ياسين ينظر نظرات حادة إلى سائق التاكسي الذي أخذ يقف أمامه مرتعشًا ثم تحدث إلى أمين الشرطة بلهجة آمرة .

«فكله الكلابش ده يا ابني..»

أمين الشرطة ينزع الكلابشات عن يد السائق.. بينما أخذ ياسين يسحب دخان سيجارته فيجدها انتهت فألقاها بعيدًا ثم توجه إلى السائق بالحديث.

«قولي يا ابني اسمك إيه؟»

أجابه السائق خائفًا:

«اسمي سعيد ياباشا..»

أخذ ياسين يقلب في ملابسه سريعًا وهو يتحدث إلى السائق بدون مبالاة.

«قولتلي اسمك إيه؟!»

السائق بالعًا ريقه:

«اسمي سعيد.. سعيد يا باشا..»

ياسين يخرج من جيبه علبه سجائر، ولكنه يجدها فارغة.. فيلقيها غاضبًا.

«هي ناقصاكي انتي كمان على الصبح»

يتوجه ياسين بحديثه إلى أمين الشرطة الذي يقترب منه مسرعًا.

«بقولك إيه يا حماده..»

«أؤمرني ياباشا..»

ياسين يخرج نقودًا من جيبه ويعطيها لأمين الشرطة.

«بُص عايزك تجبلي علبة سجائر جامدة.. عايزها تبهدلِّي صدري.. أنا عايزها تجيبلي السرطان وقتي.. فاهم؟»

«عيوني ياباشا»

أمين الشرطة يبتعد مسرعًا، والضابط يقوم يدفع السائق ليقترب أكثر من ياسين الذي حدَّثه في الحال:

«آه.. كنا بنقول إيه يا حمادة.. قلتلي قتلت الواد اللي في العربية ده ليه؟!»

السائق خائف بشدة ويتحدث بتلعثم:

«والله ياباشا ما قتلت حد.. أنا ما أعرفش القتيل ده ولا عمري شفته وكنت هتجنن لما الناس لقوه في التاكسي بتاعي.. أكيد حد موِّته وحطه في التاكسي بتاعي من غير ما أشوفه».

ياسين يبتسم ساخرًا:

– إيه ياحمادة.. إنت هتستعبط ولَّا إيه.. حد هيخرج بالتاكسي بتاعه من الجراج لحد وسط البلد من غير ما ياخد باله إنه فيه قتيل في الكنبه اللي وراء.

– والله يا باشا هو ده اللي حصل.. وما أعرفش مين اللي عمل معايا كده..

ياسين أخذ يهرش في عينيه ثم أنفه وتحدَّث إليه سريعًا:

– ماشي.. هفترض إني هصدقك.. عايزك تحكيلي بالظبط عملت إيه من أو لما صحيت لحد مالقيت الجثة.

السائق يتحدث بخوف شديد:

– والله يا باشا ما فاكر.. أنا مش فاكر أي حاجة النهارده غير إني لقيت نفسي بسوق في وسط البلد، وبعدين لقيت واحدة مصوتة ولقيت البلوة دي في عربيتي..

ياسين يقرب أذنه جهة السائق ويحدثه مستنكرًا:

– نعم ياروح أمك.. مش فاكر اللي حصلك..

السائق بترجٍّ:

– والله ياباشا.. والله العظيم ده اللي حصل.. وحياة بنتي ما انا فاكر أي حاجة حصلتلي من الصبح.

ياسين مستنكرًا:

– إنت مصرصر يلا ولا شارب كولا ولا حكاية أهلك إيه.

ياسين يتحدث إلى الضابط بجواره:

– فتش لنا الواد ده وطلعلنا اللي في جيوبه.. يمكن نلاقي حبايتين حمر ولا حباية زَرقا زَي وِشُّه ولا حاجة.

الضابط يقوم برفع يد السائق بجانبه ويبدأ في تفتيشه.

– إرفع إيدك يلا..

ياسين يتحدث إلى السائق الذي كان مرتعدًا والضابط يقوم بتفتيشه.

- بص يا حمادة.. إنت شكلك بتشتغل اللي جابونا وسكتك معايا مش دوغري.. ياتجيلي دوغري.. يا إما هاقفش عليك وانا قفشتي وحشة..

يدخل جندي جهة الضابط فيتوقف عن تفتيش السائق وينظر في الورقة ثم يتحدث إلى ياسين.

- اتوصلنا لهوية القتيل يا باشا.. القتيل طلع رجل الأعمال عمر فودة.

ياسين مندهشًا:

- عمر فودة.. ابن محمد فودة؟

- أيوه يا باشا هو..

ياسين يسحب السائق من جيبه ويوقفه أمامه ثم يمسك رأسه بين يديه.

- قتلت ابن محمد فودة.. مالقتش غير ابن محمد فودة اللي تقتله..

ياسين يبتسم ساخرًا في وجه السائق وهو يضع يديه على رقبته.

- يا نهار أبوك إسود.. ده انت هتتعلَّق من الترتره .

****

أمام هايبر ماركت

يقف يحيى أمام أحد متاجر الهايبر ماركت الضخمة وهو يمسك ورقة ينظر بها ويحدث نفسه بضيق:

- يعني مكتوب عليَّا يا ربي أنزل في يوم أجازتي أجيب طلبات البيت كمان.. ماشي يا عم مروان.. كله علشان خاطرك، علشان إنت عيان..

توجَّـه إلى داخـل الماركـت مسرعًـا ليتفاجـأ بالزحـام الكبـير داخـل الماركـت نظـرًا لأن هـذا اليـوم هـو عطلـة رسـمية.. سـحب عربـة التسوق وجرَّهـا أمامـه فوجـد عنـد المدخـل القسـم الخاص بالخضروات والفاكهـة فالتقـط بعضهـا سريعًـا ووضعهـا بداخـل عربـة التسـوق ثـم نظـر إلى القائمـة بيـده وانطلـق بداخـل الهايـبر يتفقـد أقسـامه الكبـيرة.. سـحب العربـة أمامـه وهـو يحـاول أن يتلاشـى نظـرات النسـاء خلفـه المتباينـة مـا بـين الإعجـاب والتعجـب.. انتابـه الخجـل مـن نظراتهـن وظـلَّ يبحـث بعينيـه سريعًـا عـن بعـض الرجـال مثلـه يتسـوقون حتـى لا يكـون هـو الوحيـد مـن يفعـل ذلـك.. ولكنـه عندمـا وجـد بعضهـم وجـد معهـم زوجاتهـم وأطفالهـم فشـعر بالاسـتياء للحظـاتٍ، ولكنـه طـرد تلـك الأفكـار سريعًـا وهـو ينظـر إلى القائمـة بيـده ثـم التقـط بعـض العُلَـب والمنتجـات مـن فـوق الأرفـف ويضعهـا بعربـة. اسـتمر عـلى هـذا المنـوال لفـترة مـن الوقـت ثـم نظـر إلى القائمـة بيـده مـرة أخـرى فوجـد أنـه قـد أحـضر معظـم المكتـوب وتبقـى فقـط 4 سـلع كان ثلاثـة منهـم عنـد مدخـل الماركـت فتركهـم للنهايـة وهـو عائـد ثـم نظـر إلى السـلعة الأخـيرة فوجدهـا نصـف كيلـو جبنـة روكفـورد.. تذكَّـر حينهـا أول مـرة طلبـت منـه زوجتـه سـمر أن يحضر هـذا النـوع مـن الجبـن وحينـما اشـتراه تفاجـأ بصـدور رائحـة منفـرة منهـا، وعندمـا تذوقهـا لم يسـتثِغ طعمهـا بالبدايـة، ولكـن بعـد ذلـك أصبـح تناولهـا إدمانًـا لديـه.. وتعجـب كثـيرًا عندمـا بحـث عـن ميـزة هـذه الجبنـة فوجـد أنهـا بسـبب وجـود عفـنٍ بهـا.. نعـم، فـإن الجيـوب الزرقـاء التـي تنتـشر داخـل قطعـة الجبـن هـي مجـرد مسـتعمرات مـن عفـن البنسـليوم التـي وجـدت في كهـوف روكفـورد بفرنسـا.. وأن تلـك الجبنـة يُعتقَـد بأنهـا السـبب بنسـبة كبـيرة بحـدوث

«المفارقة الفرنسية» الشهيرة التي طالما كانت حديث العلماء في العالم.. سال لعابه في الحال وهو يتذكر مذاق تلك الجبن فتوجه سريعًا بعربته ليبحث عنها وظل يبحث ويبحث كثيرًا بأنحاء الماركت، ولكنه لم يجد قسم الألبان أبدًا.. وقف أمام قسم المنظفات وهو في حيرة من أمره.. أراد أن يسأل أي شخصٍ عن مكانه ولكن كان كل ما يصادفه من السيدات وشعر بالخجل من أن يسأل إحداهن.. ولكن شعر بدنو الفرج عندما شاهد أحد العاملين بالتجر يمر أمامهم فاستوقفه سريعًا: «لو سمحت يا أستاذ».. توقف العامل أمامه مترددًا. «أيوة يا افندم..» بلهفة: «هو قسم الجبن فين لو سمحت».. فنظر له العامل بضيقٍ وأشار خلفه: «هناك».. ثم تركه ومضى سريعًا بطريقه.. نظر يحيى خلفه سريعًا فلم يجد شيئًا خلفه غير أقسام السكر وأنواع الشاي.. نظر حوله يبحث عن العالم مرة أخرى فلم يجد أي أثرٍ له.. فشعر بالغضب الشديد من هذا الموقف، ولكنه تفاجأ بسيدة تحدثه من الخلف: «يا أستاذ.. يا أستاذ؟».. نظر يحيى خلفه سريعًا ليجد سيدة بدينة تجر عربة ممتلئة بمعلبات طعام القطط.. وتبتسم له وتشير إليه بيدها: «لو عايز قسم الجبن هتلاقيه بعد قسم اللحوم علشان هما نقلوه هناك من يومين.. وفي مكان متطرف شوية»..

«جنب قسم اللحوم.. ااااه.. متشكر.. متشكر جدًّا لحضرتك».. ثم ابتسم إليها فبادلته الابتسام ثم تركته وانصرفت.. فتوجه سريعًا إلى قسم اللحوم.. وبالفعل وجد قسم الجبن خلفه.. فنظر إليهم معاتبًا: «دوختيني يا ست ريكفورت».. ثم قام بشراء الجبن وتوجَّه مسرعًا إلى مدخل الماركت لشراء باقي السلع وتوقف عند قسم الحبوب وأخذ ينتقي بعض معلبات الشوفان.. ولكنه سمع صوت رجلٍ

بجواره يتحدث بصوت عالٍ فنظر يحيى إلى جهة الصوت ليجده يصدر من رجل متوسط الطول لونه قمحى ولديه ذقن صغيرة ويرتدي شورت طويلاً يصل لأسفل ركبتيه وتي شيرت أحمر مكتوب عليه بالإنجليزية «remember me».. ويضع سماعات الهاند فري الخاصة بهاتفه بأذنه ويتحدث بصوت عالٍ وصاخبٍ وهو مبتسمٌ: «أيوة.. أيوة ياحبيبتي.. أنا قُدَّام العصاير أهو.. تحبي أجيبلك عصير فودينا.. ولا بومبار؟».. «بومبار.. طيب آهو.. اسمه بمار.. هههههه ..خلاص.. سوري.. سوري..».. ثم سحب علبة العصير ووضعها بعربة المشتريات الخاصة به وانطلق إلى جهةٍ أخرى.. ظل يحيى يراقبه للحظاتٍ وهو مبتسمٌ؛ لأنه وجد شخصًا آخر مثله يتبضع لزوجته.. بل ليس لديه حرج من أن يحدثها بالهاتف بصوت عالٍ وسط هذا الجمع الكبير.. تنهد مبتسمًا ثم حاول أن يتحرك، ولكن استوقفه فجأة سماع صوتَ تَحطُّم زجاج شديد..

توجَّه سريعًا يحيى وحوله بعض الفضولين جهة مصدر صوت هذا التحطم الشديد .. وهنا شاهد الرجل الذي كان يتحدث بالهاتف من ثوانٍ أمام عربته وبعض الزجاجات المحطمة أسفل منه وجميع العصائر التي بها منسكبة على الأرض والرجل يتحدث بالهاتف باضطرابٍ شديد: «إيه الصوت ده.. لا ياحبيبتي مفيش حاجة ماتقلقيش.. لا.. مفيش حاجة اتكسرت.. لا.. لا.. ياحبيبتي مفيش حاجة من اللي أنا جايبها اتكسرت خالص ..

ركض أحد العاملين بالمتجر جهة الرجل مسرعًا وهو ويصرخ غاضبًا:

«مين اللي كسر العصائر دي كلها؟»

نظـر الرجـل إلى العامـل مترجيًـا وهـو يشـير لـه بيـده أن يبتعـد وهـو يهمـس لـه: «امشي.. امشي دلوقـت».

صرخ بـه العامـل غاضبًـا: أمـشي.. أمـشي إيـه.. والحاجـة الـلي اتكـسرت دي!

أجابـه الرجـل هامسًـا ومترجيًـا: هدفـع تمنهـا.. إمـشي بسرعـة دلوقتـي..

توجَّـه العامـل إلى الداخـل وهـو ينـادي لعامـل النظافـة: يـا سـيد.. تعـالى نضـف هنـا..

أخـذ الرجـل يتابـع حديثـه في الهاتـف متوسـلاً: لا.. مـا بيكلمنيـش أنـا يـا حبيبتـي.. ده كان بيكلـم واحـد جنبـي.. لا.. لا.. مـش بضحـك عليكـي.. ماهـي وقعـت غضـب عنـي يـا لـولا.

أخذ الرجل يتحدث فجأة بجدية وصرامة: لـولا.. لـولا.. قلنا بلاش شتيمة.. خلاص اخصميهم من مصروفي لكن ماتهزقنيش كل شويه..

ثـم صرخ في الهاتـف فجـأة بغضـبٍ: كـده.. إنتـي مـصرة عـلى الـلي بتقوليـه ده؟!

ثـم تحـدَّث بصـوتٍ مُنخفَـضٍ فجـأة: مـاشي يـا لـولا.. مـاشي.. الله يسـامحك.

ثـم سـحب السـماعات مـن أذنـه، ونظـر حولـه فوجـد جميـع المتسـوقين توقفـوا عـن التبضـع وهـم يشـاهدونه ويضحكـون.. فتصنـع أنـه يسـعل ونفـخ صـدره وأخـذ ينظـر في زجاجـات العصـير أمامـه.

ابتعد المشترون وتابعوا ماكانوا يفعلونه.. استغل الرجل ابتعاد الجميع عنه فأخذ يدفع الزجاج المحطم بقدمه أسفل أرفف العصير.. وأخذ يتلفت حوله ثم انطلق راكضًا مبتعدًا بعربة مشترياته.

****

طابور طويل للغاية أمام الكاشير ويقف عشر ة أشخاص أمام يحيى حتى يصل للكاشير ويستطيع محاسبته بالنهاية.. ترامى إلى مسامعه صوت شخصٍ يتحدث بصوت عالٍ.. فشعر يحيى بالفضول تجاهه فنظر إليه فوجده الرجل السابق الذي كان يتحدث بالهاتف يسبقه في الطابور بأربعة أشخاص.

- أيوه يا لولا ياحبيبتي.. أنا واقف أهو قُدام الكاشير.. معلش الطابور زحمة قوي.. ماتخافيش يا لولا.. هعدّ الفلوس كويس قبل ما أمشي.. ماشي سلام ياحبيبتي..

ظلَّ يحيى يتبادل النظرات مع بعض الواقفين في الطابور ويتضاحكان في همسٍ.

الكاشير وقف فجأة من على مقعده وهو يتحدث إلى العملاء أمامه.

متأسف يا جماعة.. السيستم بيتعمله تحديث وهنضطر نستناه عشر دقائق.

أخذ العملاء يتحدثون إلى بعضهم بضيقٍ.. قام أحد العملاء بالصريخ على الكاشير: العشر دقايق بتاعتكم بتخشلها في الساعتين.. حاجتكم أهي.. مش عايز حاجة.. بلا قرف».. ثم ترك مشترياته ورحل.. تبع الرجل بعض العملاء بعد أن تركوا مشترياتهم غاضبين.

أخـذ يحيـى ينظـر في سـاعته قلِقًـا.. ثـم نظـر أمامـه بالطابـور فوجـد ثلاثـة أشـخاص فقـط: قدامـي ثلاثـة بـس.. نصـبر وأمرنـا لله..

أخـرج هاتفـه المحمـول وقـام بتشـغيل لعبـة عـلى هاتفـه؛ فسـمع صـوت شـخصٍ يُحدِّثـه: الموبايـل ده بي إكـس 360 صـح..

نظر يحيى أمامه فوجده الرجل الـذي كان يتحـدث بالهاتـف بصوت عـالٍ يقـف أمامـه بالطابـور ويحدثـه، فأجابـه يحيـى باقتضـاب: آه.. هـو..

ابتسـم الرجـل وهـو يحمـل هاتفـه في يـده ويسـتعرضه أمـام يحيـى: وانـا كـمان معايـا نفـس الموديـل بي إكـس 360 بـس لـون دهبـي.. لـولا مـراتي جبتهـولي هديـة..

أخـذ يحيى يضحـك بشـدة عندمـا سـمع كلمـة لـولا، وتذكَّـر المواقـف التـي فعلهـا الرجـل منـذ قليـل.. فأخـذ يضحـك بشـدة.. هنـا أخـذ الرجـل يضحـك بشـدة هـو أيضًـا عـلى ضحـك يحيـى.. ويفعـل بعـض الحـركات المضحكـة.. ويضحـك يحيـى أكثـر عندمـا يشـاهده يضحـك ويفعـل ذلـك.. بعـض العمـلاء بالماركـت أخـذوا ينظـرون لهـم مندهشـين وبعضهـم أخـذ يضحـك معهـم. توقـف يحيـى عـن الضحـك وظـل مبتسـمًا للحظـاتٍ والرجـل ينظـر لـه وهـو يبتسـم ثـم تحـدث إليـه فجـأة: كنـت بتضحـك عـلى إيـه؟ عليَّ أنـا؟! أخـذ الرجـل يشـير إلى وجهـه ثـم إلى شـعره: في حاجـة في وشي.. ولا شـعري ولا سـناني..

وأخذ يمسح أسنانه بسبابته.

شـعر يحيـى بالإحـراج الشـديد.. وتلعثـم في حديثـه: أنـا.. لا.. لا مابضحكـش عليـك طبعًـا..

أخـذ الرجـل يتحـدث إلى يحيـى وهـو يظهـر لـه أسـنانه: يعنـي مـش

سناني.. أصل أنا واكل ملوخية الصبح..

أخذ يحيى يحاول كتم ضحكه بشدة: لا.. مش انت.. مش انت..

أخذ الرجل يبتسم وهو يحدثه: أومال إيه اللي ضحكك كده.. بالله عليك ياشيخ لاتقول.

شعر يحيى بالاضطراب: لا مفيش حاجة.. كل الموضوع إني افتكرت نكتة حلوة ضحكتني جدًّا..

- بجد.. طيب بالله عليك ياشيخ لاتقولي النكتة دي.. وحياة أبوك ياشيخ لاتقولها..

شعر يحيى بالتوتر.. فأخذ يُحدِّث نفسه بدون صوتٍ: بعدين بقى.. هو الراجل ده عرف إني كنت بضحك عليه وعايز يحرجني ولَّا إيه..

نظر الي وجه الرجل فوجد ملامحه تعلوها البلاهة الشديدة ويبتسم بحماقة . فابتسم يحيى وهو يُحدِّث نفسه: مستحيل يكون وِشّ زي ده بتاع واحد خبيث.. ده وش واحد أهبل.. قوله أي حاجة يا عم يحيى.. وآهي كلها دقائق ومش هتشوفوا وش بعض تاني..

حدَّثَه يحيى مبتسمًا: طيب اسمع النكته دي يا سيدي.. مرة واحد بيحب جري.. لكن يجري مابيحبوش.

أخذ الرجل يضحك بشدة وبصوتٍ عالٍ لفت انتباه العملاء.. واحمرَّ وجهه من كثرة الضحك.. وأخذ يحيى يضحك معه لدقائق..

ثم تحدَّث الرجل إلى يحيى وهو يبتسم: هي النكته حلوة بصراحة.. بس قديمة وسمعتها قبل كده..

أخذ يحيى يهرش في رأسه حرجًا: أنا عارف إنها قديمة وسمجة.. واستغربت جدًّا بصراحة إنها ضحكتك للدرجة دي..

جاوبه الرجل سريعًا وهو يبتسم: بص أنا بعمل بوصية المرحوم أبويا.. قالي يا ابني أي حاجة ممكن تضحكك.. أضحك.. حتى لو مابتضحكش.. لأن بعد ماتكبر مش هتلاقي حاجة تضحَّك.. لازم انت اللي تدور إنك تضحك وتسعد نفسك.. ومن ساعتها أي حاجة فيها ضحك بضحك على قد مابقدر حتى لو مابتضحكش..

ابتسم له يحيى: الظاهر إن والدك كان حكيم جدًّا..

ضحك الرجل بشدة: هو أبويا كان حكيم آه.. بس ماكانش بيغنِّي.. هههههه

اكتفى يحيى بالابتسامة على مضض. توقف الرجل عن الضحك وهو يمد يده إلى يحيى ويحدثه: صحيح أنا ما اتعرفتش بيك.. أنا سامي فكري.. وانت؟

بادله يحيى المصافحة وهو مبتسمٌ: أنا يحيى كامل..

- تشرفنا يا أستاذ يحيى..

أخذ سامي يدقق في ملامح يحيى للحظات: إيه ده.. أنا متهيألي شُفتك قبل كده.. إنت طلعت في التلفزين قبل كده صح.

ابتسم يحيى فخرًا: إيه ده انت فاكر بقى.. فعلاً من خمس سنين تقريبًا.. فاكر موضوع التربيفون..

أخذ سامي يشير له بإصبعه: أيوه.. أيوه التربيفون.. مش ده كان فيلم اتعمل وكسَّر الدنيا ساعتها.. إنت مثلت فيه صح؟!

نظر لـه يحيـى مسـتنكرًا للحظـات ثـم ابتسـم سـاخرًا: فيلـم.. آه.. التربيفـون كان فيلـم فعـلاً..

– طيـب إيـه التواضـع ده.. فيـه نجـم بينـزل يشـتري حاجاتـه بنفسـه.. ده انـت متواضـع قـوي..

أخذ يضحك سامي بشدة.

فجأ يـرن هاتـف سـامي فكـري بموسـيقى أجنبيـة (مقطـع مـن أغنيـى long nights للمغنـي eddie vedder)

ينظـر سـامي بهاتفـه ثـم يغلقـه ويتحـدث إلى يحيـى: لا مؤاخـذة لـولا مـراتي بتستعجلني.. أصلهـا بتغِـير عليًّـا قـوي ..

ابتسم يحيى ساخرًا: آه.. آه طبعًا.. ربنا يخليكم لبعض.

– بس إيه رأيك في الأغنية بتاعة الموبايل؟ تحفة..

– فعلاً جميلة جدًّا.

– دي أغنية من أغاني موسيقى تصويرية

لفيلـم حزيـن بـس تحفـة اسـمه into the wild إنتـاج 2007، والأغنيـة دي لمطـرب اسـمه eddie vedder.. اسـمها long nights.. أعجبـت بيهـا جـدًّا مـن سـاعة لمـا شـفت الفيلـم وحاططهـا عنـدي في كل حتـة.. عـلى الكمبيوتـر والموبايـل وحتـي في سـماعات الصـب عنـدي في الشـغل.. لدرجـة إن بتـاع الدليفـري لمـا بيبجيـلي يجبـلي البيتـزا بيقـولي إنـه كـره الأغنيـة دي وبقـى مابيطقش يسـمعها.. أصـل أنـا بحـب البيتـزا جـدًّا.. وباكلهـا عـلى طـول عنـدي في الشـغل مـن مطعـم حلـو قوي..هـو بعيـد شـويه عنـي بـس يسـتاهل الصراحـة.. عنـده كل أنـواع البيتـزا حتـى النـادرة منهـا زي البيتـزا اليابانيـة.. إنـت بتحـب البيتـزا؟

يحيى بضيق: لا للأسف..

سامي بحماسة شديدة: لازم تجرب البيتزا اليابانى دي تحفة بتتصنع زي البيتزا العادية، ولكن بنوع من العجين الرقيق، ويتحط فوقها شوية نودلز ولحوم وذرة بس تحفة التحفة لازم تجربها..

يحيى يشعر بالملل من حديث سامي فيهز رأسه وهو يستمع لحديثه ويجاوبه باقتضاب: آه طبعًا هبقى أجرب البيتزا دي إن شاء الله..

تقترب من الصف بعض الفتيات الفاتنات وهن يحملن منتجات لعرضها على العملاء.. تدخل إحداهن على سامي وهي تحمل طبقًا من الجبن الشيدر وتحمل قطعة وتعطيها له.

- ممكن حضرتك يا افندم تجرب الجبنة بتاعة شركتنا..

أخذ سامي الجبنة من الفتاة بتردد وهو خجل وتناولها سريعًا وهو يشكرها: متشكر جدًّا.. حلوة.. هابقى أشتري منها إن شاء الله..

- تشرفنا يا افندم طبعًا بشرائك منتجاتنا..

تعطي الفتاة الجبن ليحيى فيشكرها معتذرًا.

تدخل بعض الفتيات وتعطيهم جميعًا عينات مجانية من منتجات الشامبو والعصائر والأطعمة المختلفة ويوزعونها على العملاء المصطفين..

تدلف فتاة جميلة للغاية وهي تحمل بعض المشروبات وتقف أمام يحيى وتحدثه: ممكن يا افندم حضرتك تجرب مشروب الطاقة الجديد «باور فانك»..

- متشكر لحضرتك جدًّا.. شكرًا..

– حضرتك منتجنا آمن جدًّا وحاصل على شهادة الأيزو 9001 وحاصل على تقرير السلامة من منظمة الصحة العالمية، ومبيعاته في 124 دولة، ومبيعاتنا بقت رقم 3 في الولايات المتحدة بعد صدوره بشهرين، ومبيعاته تخطت المليار 200 ألف عبوة في أقل من سنة، والعبوة الواحدة منه فيها كافين وتاورين ومجموعة فيتامينات ب ود.. ومصنعه من أجود أنواع المياه الموجودة في جبال الألب.. عبوة واحدة منه تدي لحضرتك طاقة لمدة 48 ساعة.. خلالها مش هتحس بأي جهد أو توتر وبتساعد على التركيز ورفع الكفاءة في إتمام المهام.. وحضرتك تقدر تحصل على عبوة دلوقتي مجانًا علشان تجرَّبه بنفسك وتقدر تحكم على جودة المنتج.

شعر يحيى بالفضول ومدَّ يده لتناول العبوة من يد الفتاة: واو.. لا إحنا ناخد عبوة ونجرب بنفسنا..

هنا مدَّ سامي فكري يده مسرعًا وأخذ العبوة من يد الفتاة، ثم ابتسم لها: شكرًا.. أنا هاخدها خلاص..

ابتسمت الفتاة: عادي يا افندم.. أنا ممكن أجيب للأستاذ واحدة تانية.. معايا عبوات مجانية كتير..

يحيى مبتسمًا: لا.. ماهو أنا هابقى أقوله حلوة ولَّا وحشة..

تحدث الكاشير في الصف أمامه: السيستم اتحدِّث خلاص.. آسفين على التأخير يا افندم.. اللي عايز يحاسب يتفضل..

انصرفت فتيات الدعاية ووقف الجميع في الصف مرة أخرى . رفع سامي عبوة مشروب الطاقة أمام يحيى.

– معلش بقى يا يحيى يا صديقي.. كلامها فتح نفسي مع إنه كلام إعلانات أنا عارف.

ثم وضع العبوة في وسط مشترياته.

أخذ ينظر له يحيى للحظات مندهشًا وهو يهز رأسه مستغربًا من أفعال سامي الحمقاء تلك.

دخل عميل بمشترياته فجأة الصف أمام يحيى وحدَّثه مقتضبًا: «أنا كنت واقف هنا يا أستاذ..»

نظر له يحيى بضيقٍ للحظاتٍ: ماشي، اتفضل..

وقف يحيى أخيرًا أمام الكاشير وحدَّثه سريعًا: حساب حضرتك 554 جنيه يا افندم.

يحيى مصدومًا: كام.. 554 جنيه..

– أيوه يافندم ..

متنهدًا: اتفضل ياسيدي..

أخذ يحيى يخرج الأموال متحسرًا وأعطاها للكاشير.. وأخذ حقيبة مشترياته وهمَّ بالخروج.

فجأة أوقفه الكاشير: يا أستاذ.. يا أستاذ..

يعود إليه يحيى سريعًا: إيه.. في إيه؟

يرفع هاتف من على الكونتر أمامه ويعطيه ليحيى: تليفون حضرتك.. نسيته على الكونتر وانت بتحاسب.

يحمل يحيى الهاتف سريعًا في يده ويتحدث إلى الكاشير مبتسمًا: التليفون.. آه.. معلش.. متشكر جدًّا ليك.. مش عارف أنا حصلِّي إيه..

- لا يا افندم.. بتحصل معانا كتير ومتعودين على كده..

يحمـل يحيـى الهاتـف وحقيبـة مشـترياته وينطلـق مسرعًـا إلى خـارج المتجـر.

****

أمام الهايبر

أخـذ يحيـى يتحـرك سريعًـا ليعـبر الشـارع ووضـع يـده بالهاتـف في جيبـه ولكنـه شـعر بـشيء في جيبـه.. فتوقـف في الحـال ووضـع الحقيبـة عـلى الأرض بجـواره وأخـرج مـا في جيبـه ليجـد هاتفـه بـه.

- إيه ده.. ده تليفوني في جيبي.. أومال ده تليفون مين؟

أخذ ينظر في الهاتف بتمعُّن فوجد لونه ذهبيًّا من الخلف.

- ده لونه دهبي..

خبط رأسه بكف يده.

ده أكيـد تليفـون الراجـل الأهبـل الـلي اسـمه سـامي.. طيـب أرجعهولـه إزاي دلوقتـي.. التليفـون مقفـول ببصمـة.

مـش هعـرف أتصـل بيـه أو أكلـم حـد متسـجل عنـده.. طيـب أعمـل إيـه.. أروح أسيبه في الهايـبر يمكـن يرجـع يسـأل عليـه.. هي مـش مضمونة قـوي.. بـس عـلى الأقـل أبقـى عملـت الـلي عليـا وأخليـت مسـئوليتي..

وضـع يحيـى هاتفـه في جيبـه وحمـل حقيبـة مشـترياته واتجـه عائـدًا جهـة الهايـبر مـرة أخرى.

هنـا رن الهاتـف الـذي يحملـه فجـأة.. نظـر يحيـى إلى شاشـة الهاتـف فوجـد اسـمًا عـلى الشاشـة «عـم سـليم البـواب».

أجاب يحيى على الفور على الهاتف وسمع صوت سامي يحدثه من الجهة الأخرى.

«ألو..»

«ألو.. أيوه.. إنت سرقت موبايلي ليه ياعم انت.. في أرقام وحاجات مهمة.. رجعهولي وهديك 200 جنيه..

ابتسم يحيى عند سماعه سامي يفاوضه: أنا يحيى يا أستاذ سامي اللي كنت وراك في الطابور بتاع الهايبر.

أجابه صوت سامي سريعًا: يحيى اللي كان ورايا في الطابور.. إنت الممثل؟

ابتسم يحيى بسخرية:

– أيوه.. هههه.. بالظبط.. أنا الممثل..

– كده تسرقني يا يحيى بعد ما بقينا أصحاب.

يحيى مصدومًا: أسرقك إيه يا أستاذ سامي.. حضرتك نسيت موبايلك على الكونتر بتاع الكاشير ومشيت.. والكاشير افتكر إن الموبايل بتاعي أنا وادهولي.. وكنت هاكلمك علشان تاخده بس.. التليفون ليه بصمة ماعرفتش أفتحه..

– طيب يعني التليفون معاك إنت، ما اتسرقش.. الحمد لله.. ده أنا كنت خايف يتسرق ولولا لو عرفِت ممكن تطلقني فيها..

أخذَ يحيى يبتسم: مادام اطمنت على الموبايل وعرفت هو فين.. أنا هاسيبهولك مع بتوع الأمن عند الهايبر ابقى ارجع خُده بقى..

سامي مترجيًا: أبوس إيدك.. لا.. ده أنا ماصدقت إني اطمنت عليه.. ده هدية من مراتي.. إنت ماتعرفش لو حصل للتليفون ده حاجة لولا هتعمل فيا إيه.. بص خليه معاك وهاتهولي البيت عندي لو مافهاش تقل عليك.

يحيى ساخرًا: بيت إيه اللي أجبهولك فيه.. هو أنا فاضي يا أستاذ سامي..

– يا يحيى ياصديقي أبوس إيدك.. بيتي هيتخرب لو مراتي عرفت إني نسيت التليفون.. أنا بكلمك من تليفون البواب علشان ما أعرَّفهاش إنه ضاع منِّي.. اركب تاكسي وهاتهولي دلوقتي من غير حد مايعرف.. أنا ساكن قريب تاكسي في السريع للعنوان اللي هديهولك وربع ساعة هتكون عندي.. وهحاسبك على التاكسي..

– يا أستاذ سامي.. يا أستاذ سامي.. أنا والله ما فاضي.. أنا هسيبلك التليفون عند الأمن بتاع الهايبر زي ما قُلتلك وتعالى خُده براحتك..

– يحيى ياصاحبي.. بقولك إنقذ بيتي هيتخرب.. مراتي بتسألني رايح فين وجاي منين ومش هعرف أنزل من غير ما أقولها رايح فين.. وأول لما بنزل بتتصل على التليفون زي ما انت كنت شايف.. هتعرف إن التليفون مش معايا وهاروح في داهية.. بُص تعالى وهديلك 250 جنيه وحق التاكسي فوقيهم في مشوار ربع ساعة.. ماشي.. وافق بقى يا عم..

أخذ يحيى يهرش في أذنه.

– 250 جنيه.. هي المسألة مش مسألة فلوس.. إنت عارف.. بس علشان خاطر لولا ماتزعلكش هاجبلك التيلفون لحد عندك.. قولي بقى العنوان إيه؟

****

أحد الشوارع الهادئة

ترجَّلَ يحيى من سيارة التاكسي وهو يضع الهاتف على أذنه يتحدث إلى سامي.

تحدث إلى السائق سريعًا: هو ده الشارع متأكد يا أسطى؟

– أيوه متأكد يا أستاذ..

– طيب عايز كام؟

– العداد عامل 38 جنيه..

– طيب خليك معايا ثواني..

أخذ يحيى يتحدث بالهاتف: أستاذ سامي.. هو انت ساكن فين أنا في شارع 18 أهو..

أجابه صوت سامي في الحال: بص سيب تالت عمارة على يمينك.. أنا ساكن في العمارة الرابعة على طول الدور الثالث.. شُفتها..

أخذ يحيى ينظر خلفه على العمارات: آه شايفها قُدَّامي آهو.. بقولك إيه؟ ما تنزل أديلك التليفون تحت هنا..

– لولا هتسألني رايح فين وهتطلع تشوفني من البلكونة.. إنت هتطلع لي على السريع هقابلك على الباب آخد منك الموبايل وأديلك الفلوس من غير ما تحس ماشي؟

تنهَّد يحيى وهو يُحدِّثه: طيب ثواني هكلم السواق يستناني..

مال إلى السائق وحدَّثه: بقولك يا أسطى.. أنا طالع العمارة دي أودِّي حاجة وهنزل تلات دقائق بالظبط استناني نرجع سوا..

السائق مترددًا: يا بيه أحسن تتاخر وتعطلني معاك.. لو هستناك هشغَّل العداد.. ماشي؟

يحيى نظر إليه متنهدًا: ماشي.. شغله.. هاحط الشنطة دي هنا خلِّي بالك منها لحد ما أرجع..

- حاضر.. بس ماتتأخرش يا بيه..

- لا مش هتاخر تلات دقايق.. وآجيلك على طول..

وضع يحيى حقيبة مشترياته في السيارة..

نظر يحيى خلفه وتوجه إلى العمارة الرابعة في الشارع وهو يُحدِّث سامي:

- أنا داخل العمارة أهو يا أستاذ سامي.

- تمام جدًّا.. الدور الثالث هتلاقي باب الشقة مفتوحة.. وأنا معاك على الموبايل آهو مستنيك..

****

سلالم العمارة

أخذ يحي يصعد الطابق الأول والثاني ثم الثالث وهو يلهث.. وضع الهاتف على أذنه بضيق: يعني عمارة زي دي وفي مكان زي ده.. ومفهاش أسانسير..

إجمد يا بطل.. ده انت لسه شباب.. خلاص انت قربت أهو..

بعد إنهاء يحيى صعود الطابق الثالث يجد شقتين أمامه.. واحدة مفتوحة على اليمين.. وأخرى مغلقة على اليسار.

- إنت في الشقة اللي بابها مفتوح صح؟

- أيوه الله ينور عليك.. خش بالراحة علشان ماتسمعكش لولا.. وانا مستنيك.

أخذ يحيى يتنهد وهو يتقدَّم جهة باب الشقة متنهدًا: ماشي..

دلف يحيى إلى داخل باب الشقة ليجد غرفة المعيشة التي كانت تحتوي على أثاثٍ راقٍ وثمين.. أدار يحيى رأسه بها مدقِّقًا يبحث عن سامي.. وهو يكلمه على الهاتف..

- إنت فين.. أنا جوه الشقة أهو..

- إنت جوه الشقة طيب تمام جدًّا.. هابعت دلوقتي البواب يدخَّلك عندي في مكتبي.

فجأة يقف أمام يحيى شخص يرتدي قميصًا وبنطالاً ويضع فوق وجهه قناعًا لشخصية ميكي ماوس الشهيرة.

يشير الرجل إلى يحيى لكي يأتي معه.

يتحدث يحيى بالهاتف وهو يتبع الرجل.

- الراجل جالي أهو وداخلَّك ..

- طيب تمام.

دلف الرجل إلى غرفة واسعة.. ودلف خلفه يحيى.

نظر يحيى أمامه بالغرفة، فوجد أكثر من عشرين رجلاً يجلسون على مقاعد خشبية مرصوصة أمام مسرح صغير مُعدًا أمامهم وفوقه منصة.

لفت نظره أن جميع الرجال يضعون أقنعة ميكي ماوس.

تحدث يحيى بالهاتف مندهشًا: إنت فين يا سامي.. ومين الناس دي؟!

أجابه صوت سامي سريعًا: لا ماتقلقش دي حفلة معمولة علشان الأولاد.. شايف قدامك المنصة اللي على المسرح دي؟

نظر يحيى إلى المنصة أمامه: آه شايفها..

- اقف عليها يلا أنا جايلك.. ثم أغلق سامي الهاتف سريعًا.

تحرك يحيى بتردد جهة المنصة ووقف أمامها وعيون الجميع تراقبه بتحفز من خلف الأقنعة.

أخذ ينظر لهم يحيى متطلعًا فوجدهم يرتدون زيًّا أشبه بزِيِّ الأطفال في حفلات التنكر ويجلسون على مناضد مثل التي تلك في المدارس.. ويرتدون أقنعة ميكي ماوس.

أخذ يضحك يحيى على ملابسهم وزِيِّهم السخيف على الرغم من مظهر أجسادهم الضخم البالغ. تحدث إليهم وحيَّاهم: سلام عليكم يا جماعة.. منورين..

لم يجبه أحدٌ منهم على تحيته؛ فشعر بالاضطراب والحرج، وهمَّ بالنزول من على المنصة، فرنَّ هاتف سامي فجأة.

حمله يحيى سريعًا وأجاب على الفور: ألو.. أيوه يا سامي.. إنت فين يا عم؟

أجابه صوت سامي سريعًا وبجدية: اسمعني كويس يا يحيى وركز معايا.. مراتك سمر وابنك مروان عندنا بيعملوا عملية ترقيع للثقب في القلب بتاع ابنك.. العملية هتاخد تلات أيام.

ملامح الدهشة أخذت تعلو وجه يحيى.

أثناء التلات أيام دول.. إنت هتنفذ فيهم مهمات هنطلبها منك على التليفون ده.. من غير ما تعرف السبب أو تتناقش فيه.. هتنفِّذهم مراتك وابنك هيرجعولك بالسلامة.. هتحاول تتصل بالبوليس أو تخل بالمهمات دي هنعرف وانت عارف إيه اللي هيحصل ساعتها.

أخذ يضحك فجأة يحيى بالهاتف بشدة، وجميع الحضور أخذوا يرمقونه بفضول وهو يشاهدهم ويضحك.

– مهمات إيه وعمليات إيه.. وناس لابسة ميكي ماوس وبتاع.. إيه يا عم سامي الفيلم الهندي اللي انت عامله ده. أخذ يتحدث بالهاتف وهو يضحك.

أخذ صوت سامي يضحك في الهاتف.

– شكلك مش مصدق يا يحيى.. بس عامة اللي هيحصل دلوقتي هيخليك تصدق..

اللي انت قاعد قدامهم دول قتلة مأجورين من منظمة عالمية اسمها وايت هاند.. وهما في اجتماع مع زعيمهم هنا في مصر.. وهما فاكرينك دلوقتي البهادرا الرئيس بتاعهم اللي هتقولهم على المهام بتاعتهم..

أخذ يحيى ينظر إليهم غير مصدق وهو يستمع إلى سامي.

أخذ صوت سامي يهنئه ضاحكًا: مبروك يا بطل بقيت رئيس منظمة.

ثم أخذ يحدثه بجدية: لكن عندي ليك خبرين وحشين..

الخبر الأول ان رئيس المنظمة البهادرا الحقيقي على وصول بعد

عشر دقائق. والخبر الثاني إن البوليس هيهجم على الشقة دي بعد عشر دقائق بردو .

– مهمتك الأولى النهارده.. إنك تهرب من البوليس والمنظمة.. وهكلمك تاني لو.. كنت لسه عايش.. لو انت لسه فاكر إن الكلام ده مش حقيقي.. سهل جدًّا تستنى العشر دقايق دول وهتشوف بنفسك.. أو تقول الكلمتين دول.. سوتير هاموشيع..

هنا ردَّد يحيى في الحال الجملة التي سمعها:

– سوتير هاموشيع ..

هنا فجأة أخذ جميع الحضور من مرتدي أقنعة ميكي ماوس بإخراج مسدسات نارية ضخمة ووضعوها على صدورهم ويرفعونها بأيديهم ثم يضعونها على صدورهم ويرفعونها بأيديهم ويضعونها على صدورهم ويكررونها وهم يصرخون بقوة وعنف ويرددون جملة واحدة بصوت جماعي وضخم يردد:

سوتير هاموشيع.. سوتير هاموشيع ..

سوتير هاموشيع.. سوتير هاموشيع ..

سوتير هاموشيع.. سوتير هاموشيع ..

سوتير هاموشيع.. سوتير هاموشيع ..

سوتير هاموشيع.. سوتير هاموشيع ..

وأخذ يستمع اليهم يحي مصدومًا مشدوهًا وصوتهم الضخم الجهوري يهز أركان المكان.

****

بداخل غرفة معيشة بإحدى البنايات الفارهة كان هناك شاب في أوائل الثلاثينيات يجلس على أريكة ساهمًا وذقنه طليقة ويبدو عليه الاكتئاب الشديد ويتابع إعلانات التلفاز في صمتٍ.

صوت إعلان صادر من التلفاز .. مع مشروب الطاقة باور فانك.. حطم كل قيودك.. معجون أسنان هان ديمون يحافظ على اللثة ويقاوم التسوس» .. واستمر التلفاز بعرض الإعلانات بصوت صاخب دون ان يظهر على ملامح الشاب أي اهتمام.. فجأة سمع صوت طرق شديدٍ على باب الشقة خارج منزله.. ظل الطرق يزداد عنفًا أكثر فأكثر.. والشاب لا يُبدِي أيَّ رد فعل.

فجأة يسمع صوت هبدٍ شديدٍ على الباب ثم يفتح بعنف بعد أن يكسر.

يدلف من الباب شاب في نفس سن الشاب المكتئب اسمه محمود ويُحدِّثه بقلقٍ:

- علي.. علي إنت كويس.. أختك سماح بتقول إنك مابتردش عليها من إمبارح.. قلقتها عليك جدًّا.

علي ينظر له بعيون حمراء فجأة ويحدثه بهدوءٍ: إحنا عايشين ليه يا محمود؟

سؤال علي المفاجئ أربك محمود.. الذي نظر إلى منضدة أمام على فوجد سكينًا كبيرة عليها.

محمود يبتلع ريقه في قلقٍ: إنت بتسأل السؤال ده ليه يا علي.. إحنا مش اتفقنا إنك تنسى الكلام ده وتشيله من دماغك خالص قبل كده..

لم يتحدث علي إليه بل اكتفى فقط بأن أشار بوجهه إلى التلفاز مرة أخرى.

- جاوبني.. إحنا عايشين ليه؟ إحنا مش في الآخر هنموت.. يبقى نعيش من الأول ليه؟

التفت إليه وصرخ به بعنفٍ: قولِّي إحنا عايشين ليه؟

شعر محمود بالارتباك واتجه إلى السكين بسرعة وأمسكها بيده.. نظر له على بعيون شرسة وهو يحمل السكين أمامه.. شعر محمود بالتوتر من نظرات علي المرتابة منه وهو يحمل السكين فألقاها بعيدًا بجواره ثم تحدَّث مرة أخرى إلى علي بتودد:

- علي أنا عايزك تيجي معايا.. هنروح نقعد مع سماح والولاد، إنت واحشهم قوي وعايزين يشوفوك..

قفز علي من مكانه صارخًا: أنا زهقت من الدنيا.. زهقت من الكدب والخداع والفساد.. زهقت من عيشتي ومن حياتي.. أنا وقتي في الدنيا انتهى وماحدش هيقدر يمنعني المرة دي..

شعر محمود بخوفٍ شديدٍ فأخرج هاتفه سريعًا وقام بتصوير علي وهو يحدثه:

- علي.. إعقل يا علي وارجع عن اللي في دماغك.. لو في أي حاجة في الدنيا مضايقاك هنصلحها مفيش حاجة مالهاش حل.. بلاش علشان خاطري علشان خاطر أختك وولادها..

دمعت عينا علي الحمراوان وهو ينظر لمحمود ثم نظر إلى ساعة أمامه واقفة على الساعة 12 إلا ثلاث دقائق.

- وقتي انتهى يا محمود.. قول لسماح تنساني وتعيش حياتها معاك انت والولاد..

شعر محمود بالخطر فظلَّ يقوم بتصوير علي وهو يحاول الاقتراب منه ليثنيه عن فعله:

- إعقل يا علي.. إعقل يا علي وتعالى معايا ربنا يهديك..

أخرج علي سكينًا بسرعة من ملابسه وأخذ يحركها بعنفٍ بالهواء وهو يصرخ: ماتقربش منِّي.. ماتقربش منِّي.. ماحدش هيقدر يمنعني من إني أسيب الدنيا.. ماحدش هيمنعني ..

ابتعد محمود خائفًا من تلويحه بالسكين.

نظر على الساعة فوجدها 12 بالضبط: ميعادي جه..

استغل محمود تلك اللحظة وهمَّ بالهجوم على علي الذي رفع سكينه وكاد يهوي بها على محمود فتراجع سريعًا: إبعد عني..

هنا نظر علي سريعًا أمامه بجوار التلفاز وجد نافذة مفتوحة.

اتجه سريعًا إلى النافذة وهو يركض.

صرخ عليه محمود بسرعة وهمَّ بالركض نحوه وهو يقوم بتصويره من هاتفه.

- علي.. علي..

قفز علي من النافذة بالحال وهشَّم زجاجها.

وصل محمود إلى النافذة وأخذ يصور علي وهو يهبط من الدور السادس ليسقط فوق سيارة فارهة كانت تتحرك أسفل البناية. (صارخًا مصدومًا).. عليييييي..

السيارة تتحرك وفوقها جسد علي لأمتار قليلة ثم تتوقف وصوت بوقها يدوي.

تجمَّع المارة حول السيارة وهم مندهشون مصدومون وتتعالى صياحتهم مختلطة بصيحات محمود الحزينة على علي مختلطًا بصوت بوق السيارة المحطمة الذي ظل يدوي بأرجاء المكان.

****

وقف يحيى واجمًا ينظر إلى القتلة أمامه وهم يحيونه ويصرخون بسوتير هاموشيع وهو مصدومٌ.

الرجال ما زالوا يحيونه بصراخ قوي: سوتير هاموشيع.. سوتير هاموشيع..

ترامي إلى يحيى صوت ضحكات سامي بالهاتف وأخذ يحدثه:

- صدقتني دلوقتي ولا لسه.. أنا عايزك تفوق وتركز قوي للي جاي.. زي ماقلتلك قبل كده مراتك وابنك عندنا بيعملوا العملية لابنك.. إذا كنت بتحبهم وخايف عليهم هتنفذ اللي هقولك عليه

بالحـرف الواحـد.

معـالم الصدمـة مـا زالـت عـلى وجـه يحيـى: إيـه ده انـت بتتكلمـوا جـد ولا إيـه.. مـراتي وابنـي فـين انطـق حـالاً.

بهدوءٍ شديدٍ:

– هنتكلـم بالتفاصيـل بعديـن، الوقـت بيمـر بـين إيدينـا.. البهـادرا زعيـم المنظمـة هيجي حـالاً دلوقتـي.. وكـمان البوليـس، قدامـك 8 دقائـق تقريبًـا.. مهمتـك الأولى إنـك تهـرب منهـم ولـو نجحـت هنتكلـم تـاني.

فجـأة يسـمع يحيـى صـوت إغـلاق الهاتـف، فيـصرخ بالهاتـف غاضبًا: ألـو.. ألـو.. سـامي.. مـراتي وابنـي فين؟

يحيى يبـدو عـلى وجهـه الارتبـاك الشـديد.. عيـون القتلـة المأجوريـن تنظـر بتحفـز جهـة يحيـى الـذي بادلهـم بنظراتـه المليئـة بالقلـق والحـيرة وأخـذ العـرق يغـزو جسـده ورأسـه..

فجـأة أصـدر هاتـف سـامي صـوت رسـالة فالتقـط يحيـى الهاتـف سريعًـا ليجـد صـورة لزوجتـه وابنـه يرتديـان ملابـس العمليـات، ومكتـوب أسـفل منهـا 5 دقائـق.

تصاعدت ملامح الغضب على وجه يحيى.

نظر للجميع أمامه وصرخ بهم بالإنجليزية:

The police are coming now we must leave immediately.

أحـد الرجـال صرخ بالباقـي بالإنجليزيـة: all of you protect te pahadra now

هـرج ومـرج بالغرفـة والجميـع يتحـرك بأسـلحتهم.. البعـض حمـل

سلاح قناصة واتجه إلى الشرفة.. البعض الآخر أخذ يتموضع بأنحاء الشقة. . ثلاثة قتلة اتجهوا جهة يحيى، وقاموا بوضع قناعٍ على وجهه وتحركوا به إلى خارج الشقة وهم يحمونه.

هبط يحيى ومعه حراسه الشخصين يحاوطونه أمام بوابة العمار وتحدث أحدهم بجهاز لا سلكي:

the pahadra need a drive now

فجأة تخترق المكان سيارة إسعاف تتوقف أمام العمارة. يهبط من سيارة الإسعاف ثلاثة حُرَّاس يرتدون الأقنعة ومعهم شخص بالمنتصف يرتدي قناعًا لكائن خرافي.. القتلة ينظرون إلى بعضهم البعض مندهشين، فيتحدث أحدهم إلى من أتى بسيارة الإسعاف.

who is this

يجيبه الرجل سريعًا: this the pahadra

أخذ الحرس ينظرون إلى بعضهم مندهشين.

صرخ عليهم البهادرا الذي كان يرتدي قناع الكائن الخرافي وهو يشير إلى يحيى وسطهم.» – who this man.. take his mask off

نزع أحد الحراس القناع من على وجه يحيى فظهر لهم جميعًا:

صرخ البهادرا عليهم بالحال :

– kill him now

بتلك اللحظة ظهرت سيارة شرطة بصوتها المدوي المميز وهي قادمة من مدخل الشارع.. فارتبك الجميع لحظة ظهور سيارة الشرطة.. استغل يحيى لحظات الارتباك تلك فدفع أحد القتلة

وركض هاربًا.. قام القتلة بتلك اللحظة بحماية البهادرا الحقيقي بالحال.. وأطلقوا النيران جهة يحيى الذي ركض مسرعًا كالظليم.. ولكن مع اقتراب سيارة الشرطة أصبح قتل يحيى هدفًا ثانويًّا لهم وانصب جل تفكيرهم على حماية البهادرا .. فقاموا على الفور بدفعه من جديد بداخل سيارة الإسعاف وانطلقوا هاربين بينما قام

رجال البهادرا بأعلى المنازل بتغطية هروبهم بإطلاق النيران بكثافة على سيارة الشرطة، وبادلتهم الشرطة إطلاق النيران.

****

ظل يحيى يركض ويركض ويركض وهو يستمع إلى أصوات طلقات الرصاص وهي تخف من حدتها خلفه رويدًا رويدًا.. وعندما شعر بأنه بعيدًا عن كل ذلك الجنون توقف بالحال ليلتقط أنفاسه ويكاد عقله أن يجن.. ما الذي يحدث.. كيف تطورت الأمور هكذا.. هل ماحدثَ منذ قليل حقيقي.. هل كل ما عاينه منذ لحظات لم يكن مجرد خيالات من رأسه تحدث بأحلام اليقظة مثل ما كان يحدث معه كثيرًا.. ولكن رائحة البارود التي مازالت بأنفه، وأذنه التي ما زال بها هدير طلقات الرصاص وجسده الذي ينتفض مرتعشًا ومتعرقًا، جميعهم يخبرونه بأنها بالتأكيد ليست مجرد أحلام أو خيالات من رأسه.. لم يستوعب كل تلك الأحداث التي صعدت على رأسه فجأة، هدفه الوحيد كان هو الاطمئنان على زوجته وطفله.. كيف هو حالهما وسط كل هذا الجنون.. التقط هاتفه بالحال وقام بالاتصال بزوجته وانتظر للحظات مرت كالدهر على أعصابه ثم سرعان ما تحطمت تلك الأعصاب عندما استمع إلى صوت آلي

جاف وهو يخبره بأن الهاتف الذي اتصل بيه غير متاح حاليًا وأنه يجب أن يحاول بوقت آخر.. صرخ يحيى غاضبًا وقام بالاتصال مرة أخرى سريعًا ليجد نفس الصوت الجاف يعيد الرسالة مرة أخرى.. ظل يصرخ وهو يضرب كل شيء حول بقدمه غاضبًا.. ثم فجأة وجد الهاتف يرن بيده فنظر إلى الهاتف ليجده هاتف سامي فكري، وأنه مازال محتفظًا به.. وجد على الشاشة اسم «سليم البواب».. قام يحيى بالرد على الهاتف بالحال وأخذ يصيح على سامي فكري غاضبًا: «مراتي وابني فين.. مراتي وابني فين.. انطق بقلك ياما هوديكم كلكم في داهية.. انطق قول..»

هنا فجأة سمع يحيى صوت موسيقى انتظار على الهاتف.. شعر بالغضب.. وأخذ يصرخ: «ألو.. ألو».. استمر صوت الموسيقى لثوانٍ.. ثم ظهر صوت سامي فكري وهو يحدثه: أيوه يا يحيى.. خليك معايا ثواني ماتقفلش» ثم تحدَّث سامي إلى شخصٍ بجواره: أيوه.. أنا معاك.. آه.. عايز البيتزا محشية أطراف جبنة.. آه.. وعايزها أربع أنواع جبنة».. هنا شعر يحيى بالغضب الشديد من سامي الذي بعد أن وضعه بكل هذا الهراء يستمع إليه وهو يطلب البيتزا.. فصرخ عليه حانقًا: «إنت يا زفت انت.. انت بتعمل إيه؟».. هنا وجد نفسه يستمع إلى الموسيقى بعد أن وضعه سامي على الانتظار مرة أخرى.. شعر يحيى بالغضب الشديد ينتابه وأمسك الهاتف بغِلٍّ شديدٍ وأراد أن يحطمه أرضًا ولكنه توقف عند اللحظة الأخيرة ونظر بجواره إلى سيارة بجوار الرصيف فأخذ يركلها بقدمه وهو غاضبٌ ويصرخ على سامي ويسبه هو وعائلته وأخذت السيارة بالصياح

وهـي تطلـق صـوت إنذارهـا المـدوِّي لتلفـت الأنظـار إلى يحيـى وهـو يـكاد يحطـم بابها بقدمـه.. صرخ أحـد الأشـخاص عـلى يحيـى مـن شرفتـه وهـو غاضـبٌ: «إنـت يـا مجنـون انـت.. بتعمـل إيـه في عربيتـي؟».. شـعر يحيـى بالخـوف حينهـا وركـض مسرعًـا وصـوت الرجـل يـصرخ خلفـه مـن الشرفـة: «إستنى.. إستنى.. إمسـكوه.. إمسكوه ابـن الكلـب ده.. «

ظـلَّ يحيـى يركـض مبتعـدًا عـن مـكان السـيارة وهـو مـا زال يسـتمع بنفـاد صـبرٍ إلى موسـيقى الانتظـار عـلى أذنـه وهـو يتلفـت خلفـه خوفًـا مـن تتبعـه مـن صاحـب السـيارة المكلومـة التـي نفـث بهـا عـن غضبـه أراد أن يغلـق الهاتـف بشـدة وأن يلقيـه أرضًـا ولكنـه حالـة الحـيرة التـي وضعـه بهـا سـامي فكـري جعلتـه يخشـى فعـل ذلـك كثـيرًا، وأخـيرًا انتهـى صـوت الموسـيقى التعسـة تلـك واسـتمع إلى صـوت سـامي يتحـدث مـع شـخصٍ مـا: «وقولـه يجيـب مـع البيتـزا سـاقع دايـت.. أهـا دايـت علشـان مـا أتخنـش».. أيـوه يـا يحيـى.. كنـا بنقـول إيـه».. صرخ عليـه يحيـى.. فوضعـه سـامي سريعًـا عـلى الانتظـار لثـوانٍ ثـم عـاد مـن جديـد فـصرخ عليـه يحيـى مـرة أخـرى فوضعـه سـامي عـلى الانتظـار.. فـصرخ يحيـى عليـه غاضبًـا: «يـا ابـن الككككككككككككككلـب».. انتهـى صـوت الموسـيقى فحـاول يحيـى التحـدث فوضعـه سـامي عـلى الانتظـار.. ثـم قطـع الصـوت فحـاول يحيـى التحـدث فعـادت الموسـيقى مـرة أخـرى وظـل عـلى هـذا الأمـر عـدة مـرات كلـما حـاول يحيـى الحديـث وضعـه سـامي عـلى وضـع الانتظـار وهنـا قـام يحيـى بالصمـت تمامًـا.. فتحـدث إليـه سـامي بصـوت هـادئ: «ايـوووووووووه كـده.. عايـزك تبقـي هـادي خالـص وتسـمعني كويـس علشـان الـلي هقولهولـك ده مـش هيتكـرر تـاني.. فهمـت.. مـش هيـ إيـه؟».. أخـذ يحيـى يجـز عـلى أسـنانه

بضيق: «مش هيتكرر تاني».. سامي مبتسمًا: «أيوه كده اسم الله عليك.. زي ماقلتلك يا بطل مراتك وابنك عندنا بالحفظ والصون بيعملوا العملية لمروان الصغنون الكيوت ربنا يقومهولك بالسلامة ومصاريف العملية والعلاج والدكاترة وكل حاجة كادوه مننا ليك في مقابل كام حاجة صغيرة كده هتعملهالنا خلال تلات أيام.. تلات أيام هو الوقت اللي هتستغرقه عملية مروان بالملاحظة بالنقاهة بكله وهيبقى إن شاء الله صاغ سليم وينام في حضنك من تاني».. قاطعه يحيى سريعًا: «ومراتي.. هتبقى فين؟».. أجابه سامي سريعًا: «مدام سمر هتبقى مع مروان طبعًا وهي مش عارفة أي حاجة من الاتفاق بتاعنا ده.. هي معتقدة إنك انت اتقابلت مع حد من صحابك الدكاترة المشهورين وهو اتوسطلك بالمستشفى وبالفلوس وانت معاه بتخلصوا الإجراءات».. سأله يحيى سريعة: «بس أنا مراتي سمر مش هتصدق الكلام ده أبدًا»..

ضاحكًا: «ماتقلقش.. الإنسان هيصدق أي حاجة مادام فيها مصلحة ليه.. ومادام ابنها حبيب قلبها هيعمل العملية بقدرة قادر مش هتفرق مع سمر انت عملت إيه ولَّا شغال مع مين.. ماتقلقش من الناحية دي.. سيب الموضوع ده عليَّا.. أنا عايزك تركز في المهمات الصغيرة اللي هطلبها منك دلوقتي.. هو ده المطلوب.. وكل ماتخلصها بدري.. كل ما تبقى في حضن مراتك وابنك بدري»

سأله يحيى بفضول: «مهمات إيه.. فهمني إنت عايز تعمل إيه بالظبط؟»

«ماتقلقش.. هتعرف كل حاجة في وقتها.. عايز بس أفكرك إن

احنا عارفينك كويس وعارفين بتفكر ازاي.. ماتحاولش تشغل مخك علينا أبدًا.. أي محاولة للاتصال بالبوليس هتبقى مصيبة ليك إنت مش علينا، تعرف ليه؟»

ابتلع يحيى ريقه بقلقٍ: «ليه؟»

ضحك سامي ساخرًا: «من غير ليه.. إنت ناسي يا بطل إنك كنت في مقر البهادرا من شويه ولسه ضاربين نار على البوليس من شويه.. يعني انت تعتبر قُدَّام البوليس البهادرا.. وماتنساش إن البهادرا وعصابة وايت هاندا مش هيسيبوك بالذات بعد ما اخترقت منظمتهم وتقمصت دور البهادرا ودول أعضاء أقوى منظمة قتلة في العالم.. يعني لو عرفوا مكانك انت أو حد من عائلتك قول على نفسك يا رحمن يارحيم».. صرخ عليه يحيى غاضبًا: «اخ يابن ال.. انتم بتعملوا معايا كده ليه.. هو أنا عملتلكم إيه.. انتم بتنتقموا مني كده ليه.. حرام عليكم أنا ما أذتش حد في حياتي!»

أجابه سامي مطمئنًا: ماتخافش يايحيى.. احنا مش هنسيبك ماحدش هيأذيك طول ما انت بتسمع كلامنا وبتنفذ أوامرنا بالحرف الواحد.. أنا مش بقولك كده علشان أخوِّفك.. أنا بقولك كده علشان أفهِّمك وضعك كويس.. تلات أيام.. اسمع الكلام فيهم.. وهترجعلك حياتك تاني ولا كأن حاجة حصلت..»

أخذ يحيى يستمع إلى حديث سامي بقلب مقهور وهو محتار لا يدري ماذا يفعل أو ماذا يقول: «طيب أنا عايز أتطمن على سمر ومروان.. عايز أسمع صوتهم ويسمعوا صوتي».

سامي مطمئنًا: «هيحصل.. هيحصل يا بطل.. لكن بعد ما تنفذ

اللي هنقولك عليه.. ماتقلقش هتنفذ مهمات سهلة جدًّا.. يلا إجمد يابطل.. مهمتك الأولى إنك تروح أقرب ماكينة ATM وتسحب منها 10000 آلاف جنيه تخيلهم معاك.. «

مصدومًا: «إيه.. 10000 آلاف جنيه.. أجيبهم منين.. حسابي مافهوش المبلغ ده!»

«لما تروح هتلاقي في المبلغ ده.. يلا مهمات النهارده ابتدت خلاص»

مندهشًا: «اسحب 10000 جنيه من حسابي.. هي دي المهمة..»

مبتسمًا: «مش بقولك مهمات سهلة.. نفِّذ المهمة واتصل بيَّا على نمرة سليم البواب» ثم أغلق الهاتف سريعًا.. اندهش يحيى من قطع الاتصال «ألو.. ألو.. سامي.. سامي»

قام بالاتصال على رقم سليم البواب، ولكن سامي كان يغلق عليه اتصاله كل مرة.. وضع يحيى الهاتف بجيبه ثم تحدَّث إلى نفسه بضيق: «مهمات إيه وبتاع إيه بس.. ليه كده بس يا ربي.. أنا عملت إيه لده كله».. ثم تنهد بشدة وتحرك جهة أقرب ماكينة ATM..

****

الضابط ياسين يتقدم صوب مسرح الجريمة وسط حشدٍ من الفضولين الذين يحاوطون رجال الشرطة ويشاهدون ما يفعلون باهتمامٍ شديدٍ.. تخطَّى ياسين الجميع ووقف أمام السيارة المحطمة من أعلى والدماء تغطي بعض سقفها وتسيل بغزارة على زجاجها.. أخذ ينظر إلى السيارة وهو يشير بيديه بحدة: «الله هو مفيش غير أم ياسين في المباحث ولا إيه.. انتم كل قضية هتجرجروني فيها»..

أجابه أحد الضابط الأقل رتبة منه: ياباشا المديرية طلبتك بالاسم علشان تحقق في القضية دي». ياسين بضيق: «هو يعني أم المديرية دي مش عارفة أنا ماسك قضية بتاعة ابن محمد فودة».. الضابط سريعًا: «ماهو ياباشا القضية دي تبعها بردو ».. ياسين مندهشًا: «تبعها ازاي؟».. الضابط يشير إلى أحد الجسدين المغطيين بقماش أبيض على الأرض وبهما بعض الدماء: «أصل اللي مات المرة دي يبقى محمد فودة نفسه.»

فتح ياسين فمه مصدومًا مشدوهًا وهو يقترب من الجسد أكثر ويرفع الغطاء عن وجهه: «ياصلاة العيد.. محمد فودة وابنه ماتوا في نفس اليوم.. وده اتقتل ولا إيه؟»

أجابه الضابط سريعًا: «لا ياباشا ماحدش قتله ده هو مات كده قضا ربنا.. أصل في واد كان ساكن في الدور السابع انتحر.. نط من الشباك ولحَظ محمد فودة المهبب كان خارج بعربيته ساعتها الواد المنتحر وقع على عربيته والاتنين ماتوا»..

«إمممم».. أشعل ياسين سيجارته سريعًا وسحب منها نفسًا كبيرًا وأخذ ينظر إلى السيارة المحطمة أمامه: «إمم.. تمام.. تمام.. طيب ومحمد فوده إيه اللي جابه هنا.. هو مش ساكن في التجمع؟»

«آه ياباشا.. كان جاي يعط مع واحدة هنا، وبعد ماخلص نجاسة ومروح مات زي ما انت شايف.»

أخذ يمصمص ياسين شفتيه: «اخ.. آدي آخرة المليطة يافودة.. آديك هتتعلق في جهنم من الزنفلة.. فين البت اللي كان بيعط معاها.. استجوبتوها؟»

«لا ياباشا.. هنتسجوبها بس بطريقة ودي وعلى جنب كده».

ياسين مستنكرًا: «وليه بقى هنستجوبها في الاستخبص كده ياعم حمادة.. هي تبع حد مهم؟»

«يعني يا باشا.. دي الممثلة اللي انت عارفها دي بتاعة فيلم حب تحت اللحاف.. البت اللي اسمها فادية عماد».

ياسين متقززًا: «إخييي.. إخييي ياجدع.. مالقاش غير أم بوز دي.. هيخش جهنم على دي.. ده انت هتتشوي وتتخوزق يا فودة.. قولي يا ابني.. في شهود في الحوار ده؟»

«آه يا باشا.. وفي فيديو كمان للي حصل.»

ياسين مندهشًا: «فيديو.. هي البت أم بوز دي كانت بتسجِّلُّه.. وريني كده..»

أخرج الضابط هاتف ووضعه بيد ياسين: «لا ياباشا.. ده تسجيل الواد اللي انتحر». كان في واحد صاحبه سجِّل عملية انتحاره».. أخذ ينظر ياسين إلى الفيديو مندهشًا وهو يضع سيجارته بفمه: «سجله وهو بينتحر.. وصاحبه.. وريني يا ابني إيه ده».. ظهر له بمقطع الفيديو الشاب علي وهو يتحدث إلى محمود ويصرخ عليه للحظات ومحمود يصور بيده مهزوزة ثم يراه يقفز من النافذة ليسقط على السيارة.. شعر ياسين بالاضطراب عندما سقط علي فوق السيارة فأعطى الهاتف للضابط بجواره وهو متأثرًا: «إمسك يا ابني البتاع ده.. والعياذ بالله».. ألقى ياسين بسيجارته سريعًا.. ثم نظر إلى السيارة متقززًا للحظات ثم تحدث إلى الضابط بجانبه: «هاتلي الواد اللي صوَّر البتاع ده..» تحرك الضابط سريعًا ثم أحضر محمود

الـذي كان مقيـدًا بالكلبشـات وعـلى وجهـه الآسـى الشـديد.. فنظـر لـه ياسـين للحظـاتٍ ثـم فتـش بملابسـه عـن علبـة سـجائره وأخـرج واحـدة وأشـعلها ونفـث دخانهـا سريعًـا وتحـدث إلى محمـود: «إنـت اللـي صـورت الفيديـو ده ياحمـادة».. حـرك محمـود رأسـه بالإيجـاب.. فتابـع ياسـين أسـئلته: اسـمك إيـه ياحمـادة؟

«اسمي.. محمود عبد الهادي..»

«تعرف الواد اللي انتحر ده ياحمادة؟»

«أيـوه اعرفـه.. يبقـي صاحبـي وأخـو مـراتي».. ظـل ياسـين يتطلـع بـه وهـو ينفـث دخـان سـيجارته «أخـو مراتـك.. آه.. إممـم.. طيـب صوَّرتـه ليـه يـا حمـادة.. مـش شـايف إنهـا غريبـة بـدل مـا تنقـذ صاحبـك وأخـو مراتـك تسـيبه ينتحـر وتصـوره بالموبايـل ..هـا.. مـش غريبـة دي!»

دافـع محمـود عـن نفسـه حانقًـا: «أنـا صـورت اللـي حصـل علشـان عـارف اللـي هيحصـل ده..»

أخذ ياسين يحك بطنه بيده: «هيحصل إزاي مش فاهم!»

«يعنـي ياباشـا أنـا عملـت كـده علشـان مـا أخشـش في سـين وجيـم وأتبهـدل.. عـلى مـش أول مـرة يحـاول ينتحـر فيهـا عملهـا قبـل كـده خمس مـرات ومرتـين فيهـم كان هيمـوت وبنلحقـه كل مـرة.. لكـن لمـا قابلتـه المـرة دي بعـد مـا أختـه قالتـلي إنـه مابـيردش عـلى تليفونـات حـد وإنهـا قلقـت.. طلبِـت منّـي إني أروح وأتطمـن عليـه وسـاعتها قلبـي اتقبـض.. حسـيت إن المـرة دي الموضـوع مـش هيعـدي عـلى خـير.. وفعـلاً لقيتـه قافـل عـلى نفسـه كل حاجـة ومعـاه سـكينة.. سـهّيته وخبتهـا منـه ولكـن كان مخبـي معـاه سـكينة تانيـه هوّشـني بيهـا.. خفـت عـلى نفسـي قلـت

أصـور كل حاجـة علشـان أبقـى في أمـان وحاولـت آخـد منـه السـكينة لقيتـه سـهّاني ونـط مـن الشـباك وماكنتـش متوقـع كـده أبـدًا».

أخـذ ياسـين يحك راسـه..» بصراحـة.. هـو اللـي انـت عملتـه صـح.. تمـام.. بـس شـكلها مـش حلـو.. مـش مسـتريحلها بصراحـة.. وانـت ياحمـادة انـت مسـتريح للحركـة دي..»

محمـود غاضبـا «أيـوه مسـتريح.. الحمـدلله أن مـات وانـا مصـور كل حاجـة علشـان محـدش يتهمنـي بـأي حاجـة.. «..

ياسين مبتسما: «إيه ده.. ده انت شكلك مبسوط إنه مات.»

بضيـق: «أيـوه مبسـوط.. إنـت ماتعرفـش كان معذبنـي أنـا وعائلـة ازاي.. كل شـويه ماورانـاش حاجـة غير إننا نجـري وراه في المستشـفيات والأقسـام والمصحـات كل يـوم مكتـوب علينـا أنـا وأختـه نتصـل بيـه ونتطمـن عليـه زي مـا يكـون عيّل صغير بيرضـع.. كنا بنخـاف في اليـوم 100 مـرة إنـه يكـون عمـل حاجـة في نفسـه.. لكـن وقـوع البـلا ولا انتظـاره.. يمـوت أحسـن دلوقتـي أفضـل مـن إننـا نبقـى عايشـين طـول عمرنـا خايفـين ومتوقعـين يمـوت بعديـن.. وده رأيـي وإحسـاسي ومـش هغـيّره..»

أخـذ ياسـين نفسًـا عميقًـا مـن سـيجارته ثـم نفثَـه بعيـدًا وتحـدَّث إليهـم: «إمـم.. مـاشي.. خُـده دلوقتـي يـا حمـادة عـلى القسـم ونسـتجوبه هنـاك براحتنـا وبعديـن نبقـى نحولـه عـلى النيابـة.. وظبطـلي مـكان أطلـع أسـتجوب البـت الممثلـة أم بـوز دي دلوقتـي.. أنـا مـش فـاضي ليهـا بـروح أمهـا.. لـو مـش عاجبهـا هاتهـالي بالبوكـس عـلى القسـم».. أومـأ الضابـط إلى ياسـين: «حـاضر ياباشـا».. وتحـرك ومعـه محمـود وأعطـاه الضابـط

لأحد أمناء الشرطة واتجه إلى البناية.. بينما تحرك ياسين وهو يرفع القماشة البيضاء عن جسد محمد فودة والشاب على بجواره وهو ينظر لهم متقززًا.. أثناء تلك اللحظة رن هاتفه.. فوقف سريعًا ثم وضع السيجارة بفمة وأخذ يخرج هاتفه ونظر إلى شاشة ليجد اسم (يحيى ترييفون).. اندهش ياسين من الاسم أمامه وحدَّث نفسه مستغربًا: «يحيى تريبي مش عارف إيه.. مين ده».. ثم قام بالرد على الهاتف: «ألو».. أجابه يحيى بصوت ممتلئ باللهفة: «أيوه يا ياسين بيه.. أنا يحيى كامل.. عايز حضرتك في موضوع مهم جدًّا..»

فجأة دخل بالمكالمة صوت شخص آخر: «أيوه يا سليم.. مش قلتلك مية مرة امسح سلم العمارة دي كويس».. اندهش كلٌّ من ياسين ويحيى عندما سمعا صوت سامي فكري يحدثهما.. فصمت يحيى مصدومًا.. فتابع سامي حديثه إلى ياسين: «إنت يا زفت يا بواب انت.. سيب التليفون ده من إيدك حالاً واطلعلي».. هنا شعر يحيى بالخوف الشديد وأغلق المكالمة.. اندهش ياسين من تلك المكالمة وأخذ ينظر إلى هاتفه مستغربًا: «بواب إيه ولاد الكلب دوول.. اخ بس لو كنت فاضي كنت علقتكم من الزنفلة».. وضع هاتفه بجيبة وتحرك مسرعًا جهة الضابط الذي أشار إليه من داخل البناية..

****

قبل ذلك ببضع دقائق..

كان يحيى يقف أمام إحدى ماكينات ATM وأمامه بعض الأشخاص وحينها استغل تلك الفرصة وهو يفكر بما حدث له وتطور الأحداث معه وهو يحاول أن يعلم من سامي فكري هذا

ولماذا خدعه هكذا وهل سامي فكري هذا اسمه بالفعل.. وظل يفكر هل الأمر مجرد خدعة يصنعونها به ولكنه شاهد رجال البهادرا وبالفعل كانت عيونهم عيون أناس متدربة قاتلة ولولا هجوم الشرطة على مقرهم لكان هو في عداد الموتى بحق.. فكَّر كثيرًا وكثيرًا ولم يجد أي مخرج إلا الاتصال بالشرطة فكَّر أن يستغل هذ الزحام ويقوم بالاتصال بالشرطة وهداه تفكيره للاتصال بالضابط ياسين حسن لأنه كان هو المسئول عن التحقيقات معه منذ خمس سنوات مضت وهو أكثر من سيساعده بمحنته هذه وينقذ زوجته وابنه وحينها اتصل من هاتفه وكانت صدمته كبيرة عندما وجد صوت سامي فكري على الخط معه هو وياسين فأغلق الاتصال سريعًا.. وكان مرتبكًا للغاية.. وجد سامي يتصل به في الحال على هاتفه هذه المرة.. انقبض قلب يحيى بالحال وخشي أن يجيب على الهاتف ولكنه كان مضطرًا فاجاب اتصاله ليصله صوت سامي وهو هادئ ورزين ولكن بنبرة حادة: «أي مكالمة هتعملها لأي حد في أي مكان في العالم هنبقى عارفين . ده أول وآخر إنذار ليك».. ثم أغلق الهاتف سريعًا.. ابتلع يحيى ريقه بقلق وهو مندهش كيف استطاع سامي أن يخترق مكالمته هكذا.. هل يضعون جهاز تنصت بهاتفه أم ماذا.. وفي كل الأحوال علم أن هاتفه الآن أصبح مصدر خطر أكبر عليه.. انتهى الصف سريعًا ووقف يحيى أمام ماكينة النقود وسحب منها 100000 وكم كانت دهشته عندما وجد رصيده قد غطى هذا المبلغ هذا.. يعني أنهم استطاعوا لوصول لحسابه البنكي أيضًا.. سحب النقود وابتعد عن الصف منسحبًا ووضع النقود بملابسه بحرصٍ وتحرك إلى مكان هادئ بالشارع وقام بالاتصال بسامي

فكـري الـذي ردَّ عليـه سريعًـا: «أنـا سـحبت الفلـوس زي مـا قُلـت أهـو».. سـامي مهنئًـا: «مـبروك عليـك نجـاح تـاني مهمـة مـن مهماتـك يـا بطـل، شـفت بقـى الموضـوع سـهل ازاي».. تنهـد يحيـى بضيـق: «قـول عايزيـن منـي إيـه تـاني أنـا عايـز أخلـص..»

«عيـوني هقولـك حـالاً، بـس أنـا عايـزك تطلـع موبايلـك مـن جيبـك اليمـين».. اندهـش يحيـى بالحـال كيـف علـم أن هاتفـه بجانبـة الأيمـن.. وضـع يـده بجيبـه وأخـرج الهاتـف فتحـدَّث إليـه سـامي «أيـوه شـاطر.. شـايف بقـى العربيـة الكبـيرة الـلي جايـة ناحيتـك دي.. عايـزك ترمـي موبايلـك تحـت العجـل بتاعهـا».. نظـر يحيـى حولـه مذهـولاً ليجـد بالفعـل سـيارة نقـل كبـيرة تتقـدم جهتـه.. انتظـر قليـلاً حتـى اقتربـت منـه ثـم ألقـى بهاتفـه أسـفل عجلهـا فتهشـم في الحـال.. نظـر يحيـى إلى هاتفـه المهشـم بالقـرب منـه وصرخ عـلى سـامي غاضبًـا: «إيـه ده إنتـم شـايفنِّي وبتراقبـوني».. سـامي مبتسـمًا: «طبعًـا.. مـش لازم نتطمـن عـلى البطـل بتاعنـا».. أخـذ يحيـى ينظـر حولـه مترقبًـا يبحـث عـن كامـيرات قريبـة فتحـدث إليـه سـامي: «بتـدور عـلى إيـه يابطـل.. الكامـيرة وراك عـلى اليمـين فـوق أهـو».. نظـر يحيـى خلفـه سريعًـا إلى الجهـة التـي أخـبره بهـا سـامي ليجـد الكامـيرة بالفعـل.. وهنـا علـم يحيـى أن سـامي يرسـل لـه برسـالة أنهـم يراقبونـه عـن طريـق الكامـيرات ويعلمـون خطواتـه ويبـدو أنهـم لا يعيرونـه اهتمامَ أن يعلـم أنهـم يراقبونـه أم لا.. تابـع سـامي حديثـه إلى يحيـى: «يـلا يـا بطـل.. المهمـة الثالثـة المـرة دي أبسـط مـن الـلي فاتـت كـمان.. عـارف شـارع طلعـت حـرب طبعًـا».. يحيـى سريعًـا: «أيـوه عارفـه».. سـامي ملاحقًـا: «طيـب تمـام جـدًّا.. هـتروح هنـاك بالقـرب مـن عـمارة في وسـط الشـارع مفهـاش ولا أبـواب ولا شـبابيك وتقـف

قدامها وتشحت 200 جنيه أو أكثر.. ولما تتجمع الفلوس كلمني».. هذا الأمر سقط على رأس يحيى كالصاعقة: «نعم.. أشحت؟! إنت اتجننت!»

سامي بحدة: «آخر مرة بفكرك.. أوامرنا مُطلَقَة.. تتنفذ بدون نقاش ولا جدال..»

أجابه يحيى مستنكرًا: «أشحت.. أشحت ليه.. ما انا لسه ساحب 10000 جنيه كاش معايا دلوقتي».. سامي بحدة: «200 جنيه أو أكتر.. قدامك نصف ساعة من دلوقتي.. نفّذ».. ثم أغلق الهاتف.. أخذ يحيى يفكر مذهولاً.. «أشحت.. أنا أشحت.. أشحت ليه وانا معايا كل الفلوس دي.. وفي طلعت حرب.. إشمعنى في طلعت حرب.. واشمعنى 200 جنيه.. أنا مش فاهم حاجة.. الموضوع مش منطقي أبدًا».. أخذ يتحرك مسرعًا وهو ينظر بساعة ثم ظل يتطلع بالشوارع وهو يخترقها سريعًا جهة ميدان طلعت حرب وهو يحاول أن يعلم سبب هذا الطلب العجيب منه.. استمر بطريقه متفكرًا متعجبًا حتى وصل إلى وجهته واخترق شارع طلعت حرب ثم لمح غايته من بعيدٍ.. مبنى مكون من ثلاثة طوابق، يبدو على طابعها الشكل القديم فتشعر وكأنك داخل أستوديو للتصوير السينمائي.. البناية مهدمة، لا يوجد بها أبواب أو حواجز تفصل شققها عن بعض.. كان مشهد تلك البناية مريبًا بوسط شارع طلعت حرب التجاري المليء بالحركة والمارة.. مر على المبنى سريعًا وهو ينظر له بتمعن.. فلم يجد شيئًا مريباً به إلا منظره المتهدم وهو بوسط الشارع التجاري هكذا.. ظل يتأمل المبنى لعدة دقائق وأخذ يبحث عن الكاميرات

حـول المنزل فلـم يجـد.. أي إنـه الآن ليـس تحـت أنظـار سـامي فكـري.. فكيـف سـيتأكد مـن أنـه نفـذ مهمـة بالتأكيـد سـوف يكـون تحـت مراقبـة لصيقـة مـن رجالـه.. وبالفعـل تأكـد يحيـى مـن ظنونـه عندمـا شـاهد ثلاثـة رجـال يتقفـون أثـره وهـو يتحـرك بالقـرب مـن المبنـى.. طـرأت فكـرة عـلى رأس يحيـى تمنعـه مـن أن يقـوم بالشـحاتة فعليًّا؛ فإنـه سـوف يتصنـع أنـه يقـوم بالشـحاتة لبعـض الوقـت ويقـف بمـكان بالقـرب مـن المبنـى الخـالي تقريبًـا مـن المـارة ثـم يتصـل بسـامي يخـبره بأنـه تحصـل عـلى 200 جنيـه كـما أخـبره أن يفعـل.. هـذا مـا قـد اعتـزم أن يفعلـه يحيـى وليكـن مـا يكـون، إنـه سـينفذ مهمتـه كـما أرادوا ولكـن بشروطـه هـو.. فهـو بعـد تفكـير شـديد لم يجـد أبـدًا أي فائـدة أو ضررًا يحـدث مـن مهمـة الشـحاتة تلـك ولمـاذا 200 جنيـه.. تنهَّـد يحيـى ووقـف أمـام المبنـى بجهـة تـكاد تكـون شـبه خاليـة ثـم قـام بتصويـر نفسـه بهاتـف سـامي وخلفـة المبنـى حتـى يثبـت أنـه فعـل المهمـة.. وضـع الهاتـف بجيبـه ثـم أغلـق عينيـه وتنهـد سريعًـا ثـم وقـف مطأطـأ الـرأس وهـو يمـد يـده أمامـه وهـو يشـعر بكرامتـه الممزقـة تتناثـر مـن فـوق رأسـه.. لم يكـن يحلـم بيـوم مـن الأيـام أن يفعـل ذلـك.. ولكـن كل شيء في العـالم يهـون في مقابـل سـلامة أسرتـه.. وكـما توقـع لم يجـد أي شـخص يقـترب مـن هـذا المـكان ووجـد بعـض الصبيـة الذيـن كانـوا ينظـرون إليـه وهـم يتفاوتـون بـردود أفعالهـم.. فمنهـم مـن كان مندهشًـا مـن رؤيـة يحيـى يشـحت هكـذا ومنهـم مـن كان يضحـك عـلى فعلـه هـذا.. ولكـن لفـت انتبـاه يحيـى أن ملامـح وملابـس هـذه الأطفـال ممتلئـة بالقـذارة ومهلهلـة.. لمـح بطـرف عينـه الثلاثـة رجـال الذيـن يرقبونـه مـن طـرف سـامي يشـاهدونه مـن بعيـد وتحدثـون فيـما بينهـم ثـم انسـل واحـد منهـم سريعًـا صـوب يحيـى الـذي كان متوقعًـا أن

يطلبوا منه أن يقوم بالشحاته بمكان يكون به مارة فهو يشعر بأنهم يريدون أن يذلوه وينتقصوا من كرامته بتلك المهمة.. ليستغلوا ذلك معه فيما بعد.. اقترب منه الرجل وسأله سريعًا: «أحلى مساء عليك يا برنس».. أجابه يحيى مقتضبًا: «أهلا».. تابع الرجل الذي كانت على ملامحه علامات الشراسة وسجِل إجرامه مخططًا على وجهه.. «إنت واقف هنا ليه لا مؤاخذة؟».. أجابه يحيى مقتضبًا: «واقف بشحت زي ما الراجل بتاعكم طلب مني..»

الرجل بضيق: «بتشحت.. هو انت حكومة ياباشا».. نظر له يحيى مستنكرًا: «حكومة.. لا حلوة دي.. منكم انتم بالذات».. اقترب منه الرجل مرتابًا: «يعني انت مش حكومة؟»

متنهدًا: «لأ مش حكومة.. في حاجة تاني.. عايز أشوف شغلي واخلص من أم الشغلانة بتاعتكم دي».. ابتسم الرجل سريعًا: «عايز تخلص.. حبيبي».. نظر خلفه سريعًا وصرخ بصوت جهوري: «بيكا.. بيكا».. وهنا صدح المنزل بكل أركانه بتلك الكلمة الغريبة.. «بيكا.. بيكا».. سارت تتقاذف على الألسنة كما تتقاذف الكرة فوق أمواج البحار.. الجميع ينطقها.. الأطفال والسيدات ولمراهقين.. اكتظ المكان فجأة بما يقارب الخمسين شخصًا أو يزيد من كل الفئات والأعمار وبعضهم كان به عاهات بجسده وبوجهه.. هذا الموقف واجتماع كل هؤلاء الأشخاص حوله أسقط قلب يحيى بقدمه وشعر بأنه بداخل كابوس بشكل ما.. وتحوَّل كابوسه إلى واقع سريعًا عندما أخرج الرجل من ملابسه سكينة طويلة وضخمة ووضعها بالقرب من رأس يحيى وهو يصرخ عليه.. «إنت

عبيط يالا ولَّا بتستهبل.. مين اللي بعتك منطقتنا.. جالك قلب يالا تيجي تقف تشحت قُدَّام عمارة الشحاتين».. تلك الكلمات وقعت كالصاعقة على رأس يحيى وهو يسأل نفسه.. لماذا أرسله سامي ليشحت أمام عمارة الشحاتين.. ولكن ضربه من قبضة السكين فوق رأس يحيى جعلته يتناسى هذا الأمر الآن.. وهو ينظر إلى الرجل وهو يصدح بصوته الجهوري: «قولي مين اللي بعتك يلا بسرعة قبل ما أطلع روحك هنا دلوقتي» ..حاول يحيى أن يتكلم، ولكن عيون الجميع وهي تنظر إليه وصدمة الموقف لم يجعلاه يستطيع أن ينبس ببنت شفة.. أمسك الرجل بتلابيبه وصرخ عليه: «مش هتنطق.. أنا هخليك تنطق حالاً.. طلَّع اللي في جيوبك يلا بسرعة».. هنا تذكَّر بالحال يحيى أنَّ معه عشرة آلاف جنيه وإذا وجدوا معه هذا المبلغ المالي الكبير لن يخرج من هنا حيًّا بالتأكيد.. وهنا فكر سريعًا بفكرة وحاول أن يطبقها لقد وضع يده وأمسك ببعض النقود من جيبه ثم سحبها بسرعة بيده وألقاها أعلى منه فوق الشحاذين الذي يحاوطونه.. كان الجميع بصدمة ولم يفهموا ماذا فعل يحيى إلا عندما التقت عيونهم بفئات المال المختلفه وهي ترف رفًا فوقهم وهنا اجتاح الجميع الجشع وأخذ يجمع النقود مسرعًا.. هنا دفع يحيى الرجل الذي يحمل السكينة بكل قوة وهمَّ بالهرب.. ولكن تبعه رهط من الشحاذين وهم يصرخزن عليه ويطاردونه بداخل شارع طلعت حرب.. مشهد مطاردة يحيى من قبل البلطجية والشحاذين أثار اندهاش واستغراب المارة الذي تابعوا ما يحدث ببرودٍ شديدٍ من بعيدٍ وأخذت تلتقط مطاردتهم تلك بعض الهواتف وتلتقط لها صورًا وفيديوهات.. كان يحيى يركض كالجحيم لا يولي أي شيء بطريقه اهتمامًا.. صرخات

مطارديـه وسـبابهم لـه خلفـه يجعلونـه يـدرك بأنـه إذا توقـف للحظـة واحـدة فسـوف يكـون مصـيرة المـوت الأكيـد وعـلى أعـين الجميـع.. حـاول أن يضـع يـده ليخـرج بعـض النقـود ولكـن سرعـة ركضـه منعتـه مـن ذلـك.. لم يجد لـه مخلِّصًـا ولا مُنجِدًا إلا حـلًّا واحـدًا هـو الـذي لاح لـه بتلـك اللحظـة لقـد اتجـه مسرعًـا صـوب السـيارات بوسـط الشـوارع وأخـذ يركـض تجاههـا وهـي مندفعـة عكـس اتجاهـه.. كان يركـض بسرعـة شـديدة جهـة السـيارات التـي كانـت تحـاول مفاداتـه بصعوبـة شـديدة ولكنهـا لا تسـتطيع مفـاداة مـن يطاردونـه وسـقط بعضهـم بعـد أن صدمتهـم تلـك السـيارات.. هـذا التكتيـك أربـك مطـاردي يحيـى وجعلهـم بحـيرة مـن أن يتبعـوه.. انطلـق يحيـى مسرعًـا جهـة منطقـة الإسـعاف المكتظـة بالسـيارات والمـارة وكان يتبـع تلـك الخطـة المجنونـة التـي كادت تكلفـه حياتـه مرتـين ولكنـه كان يهـرب مـن المـوت عـن طريـق الهـرب إلى المـوت لم يكـن لديـه خيـارٌ آخـر.. صدمتـه سـيارة ميكروبـاص مـن جانبـه الأيمـن فسـقط عـلى الأرض متألمًـا بالقـرب مـن أحـد أرصفـة الشـارع وهاجـت الأرض وماجـت مـن السـائقين والمـارة ويحيـى سـاقط عـلى الأرض بالقـرب مـن الرصيـف لا يتحـرك.. اقـترب منـه مطـاردوه ولكنهـم عندمـا وجـدوه ملقـى عـلى الأرض لا يتحـرك.. نظـروا إلى بعضهـم البعـض بقلـق ثـم أشـاروا إلى بعضهـم بالانسـحاب سريعًـا مـن المـكان.. قـام أحـد الأشـخاص بوضـع يحيـى بسـيارته مـع بعـض الأشـخاص الذيـن يحوقلـون وتصـدح ألسـنتهم بالدعـاء ليحيـى الـذي صرخ سريعًـا مـن الألم عندمـا وجـد السـيارة تتحـرك وهـو يمسـك جانـب قدمـه اليمنـى بعـد أن كان يحـاول كتـمان ألمـه وكان لا يتحـرك طـوال كل تلـك الفـترة حتـى يظـن مطـاردوه أنـه هلـك.. حـاول سـائق

السيارة أن يطمئن عليه ولكن يحيى شكره وأخبره أن يتوقف لأنه أصبح أفضل ويريد أن يتابع طريقه.. رفض السائق بالبداية وأراد أن يذهب به للمشفى، ولكن بعد إصرار شديد من يحيى رضخ الرجل وأنزله بالقرب من ميدان التحرير.. ترجل يحيى من السيارة وشكر السائق الشهم ذاك وأخذ يتلمس موضع الألم بقدمه وبدأ يشعر بأنه يخف تدريجيًّا.. وضع يده بجيبه يتحسس باقي النقود المتبقية معه وهو يشعر بالغيظ الشديد من ما حدث له منذ قليل.. قام بالاتصال على سامي فكري وهنا لم يرد عليه قام بالاتصال من أكثر من مرة ولكن بالنهاية لم يجب عليه إطلاقًا.. أخذ يسب ويلعن سامي وحظه الذي أوقعه معه.. لحظات قلية ومن ثم رنَّ هاتفه فقام بالرد عليه وهو يصرخ غاضبًا: «إيه اللي عملته ده تبعتني عمارة الشحاتين ليه.. إنتوا عارفين كانوا..»، قاطعه سامي بحدة: «جمعت الفلوس المطلوبة».. يحيى بقلق مترددًا: «الفلوس.. آه.. جمعت 200 جنيه».. أجابه سامي سريعًا: «تمام جدًّا.. اسمع كلامي كويس جدًّا لأني مش هعيده تاني.. تطلع على موقف الميكروباصات في التحرير.. تدور على عربية ميكروباص تويتا رقمه (ن س و825) لما توصل للميكروباص كلمني.. نفذ».. قال كلماته هذه سريعًا ثم أغلق المكالمة.. حاول أن يتحدث معه يحيى حينها.. «ألو.. ألو.. قفل ابن الكلب.. اخخخ.. لو شفتك.. ميكروباص إيه بس ولاد الذينَ دول.. ميكروباص إيه اللي هدور عليه.. رقمه كام بسرعة قبل ما أنسى.. (ن س و825.. ن سو 825.. ن س و825.. لا أنا أكتبها أحسن أنساها».. قام في الحال بتسجيل رقم سيارة الميكروباص على الهاتف معه ثم نظر

خلفه سريعًا واستوقف سيارة أجرة: «موقف ميكروباصات ميدان التحرير يا أسطى».. أومأ له السائق بالموافقة فدلف يحيى بداخل السيارة وسرعان ما قد وصل إلى وجهته.. فترجل من السيارة ونظر إلى موقف السيارات الممتلئ بصفوف الميكروباصات الطويلة.. أخذ يمسك رأسه بحيرة وهو يفكر كيف سيبحث عن السيارة بوسط كل تلك السيارات الكثيرة.. هل يجب أن يبحث عن رقم سيارة سيارة.. ولكن هذا الحل سيأخذ وقتًا طويلاً للغاية وهو يحتاج كل دقيقة من وقته الآن.. ظل ينظر للسيارات حائرًا للحظات حتى اختمرت برأسه فكرة قرر أن يجربها سريعًا.. اتجه مسرعًا جهة أحد بائعي الشاي والقهوة الجائلين بالموقف وتحدث إليه سريعًا: «السلام عليكم».. بائع الشاي: «وعليكم السلام».. «لامؤخذه ياصاحبي.. أنا طالب منك خدمة صغيرة وبما إنك البرنس في المنطقة هنا فانت اللي هتخلصهالي».. البائع مرتابًا.. «أؤمر..»

«الأمر لله.. المدام بتاعتي كانت راكبة ميكروباص من هنا الصبح ونسيت أوراق التحاليل والأشعة بتاعة ابني في العربية.. ولحسن حظنا افتكرت بعد ما نزلت بس مالحقتش الميكروباص ولكن لقطت نمرته أهو».. ثم قام بعرض الرقم على هاتفه ونظر إليه بائع الشاي بفضول.. «آه.. عربية تويوتا رقم لوحتها «ن س و 825 «.. أخذ ينظر بائع الشاي للهاتف قليلاً ثم داعب ذقنه.. «آااه.. طيب ماقلتلكش كانت راكبه خط إيه ولا رايحه محطة إيه؟»

يحيى مبتسمًا: «هي قالتلي بس للأسف أنا نسيت.. وهي في المستشفى مع الواد ومحتاجين التحاليل دي ضروري.. همتك انت

معانـا ياصاحبـي.. إنـت أكيـد عـارف النـاس هنـا كلهـا وحبايبـك.. شـوفلي المصلحـة دي وانـا هديـك 200 جنيـه..»

بائـع الشـاي فرحًـا: «200 جنيـه.. طيـب بقولـك إيـه تعـالى معايـا».. ثـم نـادى عـلى شـخص يقـف بعيـدًا عنـه قليـلاً.. «مانـدو.. خـلِّ بالـك مـن الفرشـة بتاعتـي لحـد مـا أجيلـك».. ثـم تحـرك مسرعًـا جهـة الموقـف وخلفـه يحيـى يتبعـه بهمـة.. لم يلبـث كثيرًا ثـم توقـف بائـع الشـاي أمـام تجمـع بعـض السـائقين ثـم أشـار إلى أحدهـم.. «هيـما.. أحـلى مسـا عليـك يـا صاحبـي».. بادلـه السـائق التحيـة.. «مسـا مسـا عليـك يـا أوكـا.. جبتـلي المصلحـة الـلي قلتلـك عليهـا؟»

«فـوت عليـا بالليـل خدهـا ياصاحبـي.. حبـة مسـتوردة وآخـر حـلاوة ومفعولهـا طويـل مـش بيخلـص بسرعـة بـس سـعرها أعـلى مـن الـلي فـات».. أجابـه السـائق ضاحـكًا: «يـا عـم عـادي هـو احنـا بندفـع حاجـة مـن جيبنـا مـا هـو كلـه مـن جيـب الزبـون».. نظـر السـائق إلى يحيـى مبتسـمًا.. «ازيـك يابرنـس».. يحيـى مجيبًـا.. «أهـلاً بيـك».. قاطعهـما بائـع الشـاي موجهًـا حديثـه للسـائق.. «بقولـك ياهيـما.. الكابتـن ده نـسي حاجـات في عربيـة في الموقـف هنـا ومـش فاكـر فـين وعايزيـن نلاقيهـا».. السـائق ضاحـكًا.. «يلاقـي إيـه بقـى كل سـنة وانـت طيـب.. زمانهـا اتباعـت خـلاص».. أجابـه يحيـى سريعًـا..»لأ مـا هـي مـش حاجـة مهمـة ..ده شـوية أوراق وتحاليـل عاملهـم لابنـي بعيـد عنـك وصـارف عليهـم دم قلبـي ومـش عايـز أدفـع مصاريـف ووجـع قلـب في عمايلهـم تـاني..»

السـائق: «لأ.. مـادام ورق وبتـاع هتلاقيهـم.. بـس عـلى الله مايكونـش

السواق رماهم ولا حاجة.. إنت نسيتهم في خط إيه».. قاطعه بائع الشاي: «ماهو مش فاكر يا هيما بس معانا رقم العربية وعايزينك تشوفهم.. وريله النمرة ياكابتن».. هنا قام يحيى بإخراج الهاتف فاوقفه السائق.. «استني.. استنى.. لو معاك نمرتها.. يبقى عليك وعلى الولا فاروق بتاع الكارتة.. هو اللي حافظ العربيات بنمرها بسواقينها بركابها ابن الهرمة.. روح اسأله علشان أنا مابكلموش».. بائع الشاي مستنكرًا: «ليه بس ياهيما.. إنتوا كل شوية تتخانقوا مع بعض ولا إيه».. هنا أمسك يحيى بيد بائع الشاي.. «بقولك إيه أوكا ياصاحبي.. عايزين نخلص موضوعنا وابقى اتكلم مع هيما بعد كده زي ما انت عايز».. تحدث إليهما السائق.. «روح معاه يا أوكا واقضي المصلحة وبعدين نبقى نرغي وأرسيك على الحوار كله».. بائع الشاي.. «ماشي ياهيما.. هجيلك تاني».. تحرك بائع الشاي بصحبة يحيى وتوجها إلى فاروق المسئول عن الكارته وكان شابًا أسمر اللون يرتدي بنطالَ ترنج أزرق وفانلة بيضاء ويقف أمام مخرج السيارات ويحاوطه بعض السائقين ويحمل العديد من العملات النقدية بيده.. توجه إليه أوكا وأخذ يتحدث معه دون أن يبدي فاروق أي اهتمام وأجابه باقتضاب: «عايز إيه انجز مش فاضيلك..».

أجابه أوكا سريعًا.. «احنا بندور على العربية اللي رقمها ده (ن س و 825).. استمع فاروق إليهما بتمعن ثم تحدث إليهما مرتابا وهو ينظر ليحيى: «بتدوَّروا عليها ليه؟».. أجابه أوكا متلعثمًا: «أصل . الب.. الكابتن.. نسي ورق بتاع».. قاطعهم فاروق بلا مبلاة: «عربية محمد رمضان موقف العاشر».. ثم تركهم وأخذ يخبط على باب

سيارة منطلقة أمامه.. ابتسم أوكا سريعًا.. «موقف العاشر كويس ده ورانا على طول».. هنا شكره سريعًا يحيى وقام بإعطائه مبلغ 200 جنيه فنظر أوكا النقود بيده فرحًا «ما تخلي ياصاحبي..»

«الله يخليك تسلم».. سأله أوكا سريعًا.. «تحب آجي معاك أوريك المكان..»

يحي مقاطعًا.. «لا تسلم.. متشكر جدًّا الله يخليك مش عايز أعطلك أكتر من كده»

«طيب خلاص هتكل أنا على الله.. لو عايز شاي ولا حاجة تعالي في أي وقت..»

«حبيبي تسلم يارب».. هنا تحرك أوكا عائدًا وهو فرح بينما تحرك يحيى سريعًا جهة موقف العاشر ليجد الموقف فارغًا من السيارات نهائيًّا ولا توجد سيارة إلا السيارة التي حدثه عنها تقف أمامه سيارة بيضاء تويتا ورقمها ن س و825 وبداخلها زبائن وحولها عددٌ كبيرٌ من الركاب من لم يجدوا أي سيارة غير هذه.. قام يحيى على الفور بالاتصال على سامي فكري فأجابه سريعًا عكس كل مرة.. «ألو».. أجابه يحيى سريعًا.. «أيوه.. أنا واقف قدام العربية هنا في موقف العاشر في موقف التحرير».. أجابه سامي ملاحقًا.. «تمام قوي.. مهمتك الجاية تركب العربية دي وتوصَّل الركاب واحد واحد لحد بيته».. أثار هذا الحديث حفيظة يحيى الذي صرخ عليه مستنكرًا.. «نعم.. هو انتم عايزين إيه بالظبط.. مرة شحات ومرة سواق ميكروباص.. انتم بتعملوا فيا كده ليه»..

باقتضاب شديد: «كل واحد في العربية يوصل لحد بيته وبعد

مـا تخلـص كلمنـي.. نفّـذ..» ثـم أغلـق الهاتـف.. أمسـك يحيـى الهاتـف بيـده غاضبًـا يريـد أن يحطمـه ولكنـه حـاول أن يهـدئ أعصابـه وهـو ينظـر إلى السـيارة المحملـة بالـركاب وهـو يحـدث نفسـه متنهـدًا.. «أوووف.. إهـدا.. إهـدا يـا يحيـى.. هيحصلـك إيـه أكـتر مـن اللـي حصلـك يعنـي.. طيـب هـاروح العـاشر ازاي.. أنـا مـا أعرفـش الطريـق.. أشـغل الجـي بي إس.. طيـب هركـب العربيـة.. طيـب والسـواق بتاعهـا.. طيـب أوصـل النـاس لبيوتهـا إزاي.. هقولهـم إيـه.. مـش عـارف أنـا بيحصـلي كـده ليـه.. لا إلـه إلا الله».. تحـرك يحيـى جهـة السـيارة قلِقًـا وفتـح بابهـا ودلـف إليهـا، ومـا إن دلـف إليهـا حيـث وجـد سـيلاً مـن الصريـخ عليـه مـن جميـع الـركاب.. «كنـت فـين يـا أسـطى وسـايبنا ملطوعـين كـده.. أيـوه ماهـو انتـم بتركبـوا طـوب مـش بنـي آدمـين.. يـا جدعـان اسـكتوا يـا جدعـان مـا صدقنـا السـواق جـه.. ياعـم إحنـا راكبـين بفلوسـنا. يـا كابتـن يـا إمـا تسـكت يـا إمـا تنـزل خلينـا نمشي عندنـا أشـغال وحيـاة أبـوك».. ووجـد يحيـى نفسـه فجـأة بمواجهـة موجـة عارمـة مـن غضـب الراكبـين بسـبب شيء هـو لم يكـن لـه سـبب بـه.. وهنـا لم يجـد سـوى حـلٍّ واحـدٍ فقـط لمواجهـة هـذه الموجـة الغاضبـة إلا أن يتقمـص الأعصـاب البـاردة لسـائقي الميكروبـاص وبالفعـل فعـل ذلـك حيـث قـام بالنـزول مـن السـيارة ووقـف بعيـدًا عنهـا.. فـصرخ عليـه بعـض الـركاب «يـلا يـا أسـطى مـش ناقصـة عطلـة..» أجابهـم يحيـى بحـدة: «والله أنـا كـده واللـي مـش عاجبـه ينـزل وفي ألـف غـيره مسـتنيه ينـزل».. وبالفعـل التـم عـدد كبـير مـن الـركاب الذيـن يبحثـون عـن توصيلـة لهـم بجـوار السـيارة وحاوطوهـا وكانـوا مترقبـين لأي فريسـة تقـع ضحيـة هـذا الاسـتفزاز ليركبـوا هـم بـدلاً منـه في الحـال وهنـا نـزل عـلى رؤوس ركاب السـيارة الطـير ولم ينطـق

أحدهم ببنت شفة.. هنا تحرك يحيى جهة مقود السيارة وتتقمصه روح سائق المايكروباص بداخله.. فقام بتشغيل كاسيت السيارة وصرخ الكاسيت بإحدى أغاني المهرجانات السمجة التي كان يستمع إليها يحيى وهو متقززا ولكنه كان يتبع كود سائقي الميكروباص على الرغم عنه.. وأخذ يبحث عن مفاتيح السيارة فوجدها وسط بعض الحاجيات على تابلوه السيارة.. قام بتشغيل الجي بي اس ووضع الهاتف أمامه ثم تحرك من الموقف وسط حسرة العشرات من الراكبين الذين لم يسعدهم الحظ بتواجدهم بتلك السيارة.. ظل ينظر يحيى إلى الركاب خلفه بقلق وهو لا يجد مبررًا كيف سيخبرهم أنه سيوصله إلى بيوتهم ولكنه بعد تفكيرٍ عميقٍ أراد أن يجرب حظه معهم بالنهاية فقام بإغلاق كاسيت السيارة وهمَّ بمخاطبتهم بصوت عالي وهو قلقا.. «إحم.. لا مؤاخذة يا جماعة على التأخير بس غصب عني والله».. هنا سأله أحد الفضولين: «قولي يا أسطى.. هو انتم ليه عاملين إضراب النهارده؟ ماحدش من السواقين نزل خالص ليه».. نظر له يحيى مندهشًا.. «إضراب.. إضراب إيه».. سأله شاب آخر..» الله.. هو انت مش سواق معاهم ولا إيه.. ازاي مش عارف».. هنا ابتسم يحيى عندما سنحت له فرصة ليطرح فكرته.. «آه معلش أصلي طول اليوم كنت مش موجود عقبال عندكم بقى الجماعة جابت حمزة النهارده بعد حرمان خمس سنين».. هنا صدحت ألسنة بعض الركاب بالتهنئة والدعاء له ولوليّ عهده الجديد.. فسألته إحدى السيدات البدينات في الحال.. «طيب هو في حد يسيب مراته وابنه يا ابني يوم ما ولدت وينزل الشغل».. هنا ضحك يحيى في الحال «أصل لو ماكنتش نزلت النهارده ياحاجة كان

زمانك واقفة في الشارع مع الواقفين».. هنا شعرت السيدة بالإحراج الشديد وصمتت في الحال وهنا تابع يحيى حديثه إليهم.. «أصل أنا كنت نادر ندر بصراحة.. إذا ربنا كرمني بالخلف الصالح في نفس اليوم هنزل الشغل واركب الناس كلها ببلاش وكمان هوصَّلهم لحد بيوتهم كمان واحد واحد».. وهنا نظر يحيى إلى الركاب خلفه فوجدهم جميعًا صامتين.. فشعر بالقلق الشديد.. هل فشل مسعاه.. هل سيرفضون طلبه.. هل ستفشل مهمته أم ماذا.. كان صمتهم يدب الرعب في قلبه.. ولم يدرِ ما يقول.. وهنا جاءته إجابة سريعًا عندما قامت سيدة بإطلاق الزغاريد وهي تهنئه وتدعي له بالنجاح له ولولي عهده الجديد.. وصدح معظم الركاب بشكره والثناء على فعله الكريم هذا.. هنا ابتسم يحيى وشعر بالفرح لنجاحه في إقناع الركاب بمهمته وهي توصيلهم لمنازلهم..

****

ياسين جلس بسيارته بالقرب من مسرح الجريمة وأخذ يدوّن بورقة أمامه وهو يضع اسميّ عمر فودة ومحمد فودة ويخرج من تحت كل اسم عدة خطوط وكتبًا ملاحظات كثيرة أسفل كل اسم منهم.. ظل يحدق بالورقة أمامه كثيرًا وهو يفكر بتمعن شديد ويحدث نفسه بصوت غير مسموع «عمر فودة اتقتل من سواق تاكسي بالليل.. والنهارده الصبح مات أبوه محمد فودة.. الاتنين كانوا من أكبر رجال الأعمال في المجال الطبي، ومحمد فودة كان في كلام إنه هيمسك وزارة الصحة للمرة التالتة خلال أيام.. طيب عمر اتقتل ده شيء أكيد والقاتل بينكر إنه يعرفه أو شافه قبل كده وإنه

مش فاكر إنه قتله.. لكن كل الشواهد والأدلة أثبتت إنه هو اللي قتله.. بس لسه ماعرفناش الدافع إيه.. طيب اللغز هنا محمد فودة.. هل هو مات مقتول هو كمان زي ابنه.. ولكن الشهود والأدلة والبراهين بتقول عكس كده؛ إنه مات قضاء وقدر مع انتحار الشاب علي.. طيب صدفة إن الأب والابن يموتوا في خلال ساعات وفي أماكن مختلفة.. نظريا آه.. لكن عمليًّا مستحيل إن الصدفة تبقى متقاربة كده.. الدافع ورا موت عمر فودة هو اللي ممكن يكشف حل اللغز في القضية دي.. تقرير الطبيب الشرعي والأدلة الجنائية هتوضّحلي حاجات كتير لسه».. قطع تفكيره هنا دخول ضابط آخر أدنى منه رتبة وهو يحضر له بعض الأكياس البلاستيكية ويعطيها له بداخل السيارة.. «الحاجة آهي ياباشا».. طيب تمام قوي ياحمادة جبت المخلل والسلطة».. الضابط متأفافا.. «جبتهم.. جبتهم ياباشا.. وعلى فكرة أنا اسمي أشرف.. إنت ماسكلي اسم حمادة ده من الصبح».. أخذ ياسين يقضم الطعام بسرعة ويحدث ويتناثر الطعام من فمه.. «ياعم عادي ..ماهي.. كلها أسامي ربنا.. حمادة زي عبادة زي شحاتة.. أهو كله بيمشي.. ثم هو أنا عقلي دفتر أنا كل يوم بقابل خلق ياما..» أخذ يشير إليه أن يأتي.. «تعالى تعالى.. تعالى خد سنادوتش طعمية.. دي بايتة ومعمولة بزيت العربيات وطعمها زي الزفت تعالى».. شعر أشرف بالتقزز.. «لا يا باشا.. شكرًا.. أنا بعتّ الأمين يجبلي غداء والله».. سحبه ياسين من يده بقوة: «تعالَ يا عم دوق الزفت ده.. هاتسيبني أروح المستشفى لوحدي.. خد.. إمسك».. فتح كيس الطعام وأخرج منه ساندوتش وأعطاه إياه.. وجلس يتناول طعامه بنهم شديد.. عندما شاهده أشرف هكذا

ابتلع ريقة وأمسك بالساندوتش بيده وقضم منه قطعة فبصقها في الحال.. «إيه القرف ده».. أخذ يحدثه ياسين وهو يلوك الطعام بفمه بسرعة: «كل يابا مايهمكش.. أومال جايبين كل الممثلين علشان يتبرعوا لمستشفيات السرطان لله.. مش لازم يلاقوهم عيانين.. كل.. كل ماتخافش.. معايا فول بالسوس تاخد؟».. نظر له أشرف بتقزز شديد وأمسك فمه وركض مبتعدًا مسرعًا.. فأخذ ياسين يقضم من الساندوتش بيده وهو يضحك ساخرًا.. «باين عليه ظابط نونو من بتوع التجمع.. أومال لما يشربماية مجاري هيعمل إيه..»

****

تعدت الساعة السابعة والنصف مساء.. وكان يحيى يقوم بتوصيل آخر راكبة معه بالسيارة أمام مسكنها وأخذت تصدح له بصالح الدعاء.. كان مرهقا للغاية من كثرة أحداث هذا اليوم والمجهود الذي بذله.. شعر بالجوع الشديد والإرهاق يدب ببدنه فتوقف بالسيارة على أحد الأماكن الهادئة وقام بالاتصال على سامي فكري.. الذي كان في تلك اللحظة يقف أمام إحدى السيارات بمحطة وقود بملابس العاملين بالمحطة وأخذ يمسح زجاج إحدى السيارات بهمة شديدة وعندما سمع صوت هاتفه يرن ونظر عليه ليجد يحيى فقام بالانتهاء سريعًا من مسح السيارة الذي أخذ سائقها يضع بيده بعض الجنيهات كإكرامية فأخذهم سامي وهو يشكر بشدة ويحييه بيده.. ثم اتجه إلى مكان هادئ بجوار المحطة وقام بالرد على يحيى.. «ها.. نفذت المهمة».. جاءه صوت يحيى من الهاتف».. أيوه.. ووصلت كل الزباين لحد باب بيتهم بس في كام زبون مارضيش ونزل في محطته..»

سامي بلامبالاة: «مش مهم.. أهم حاجة باقي الزباين كانت مبسوطة.. شفت بقى مهماتك سهلة ازاي..؟»

بضيق: «سهلة قوي فعلاً»..

«طيب بمناسبة نجاحك في المهمة تحب تسألني عن أي حاجة؟»

بلهفة: «ايوه.. إنتم اخترتوني ليه.. وليه بتعملوا معايا كده؟»

ابتسم سامي بالحال: «وانا اللي كنت فاكرك هتسأل على ابنك ومراتك ياراجل..»

شعر يحيى بالخجل فسأله سريعًا: «أيوه فين مراتي وابني.. عاملين إيه دلوقتي؟»

أجابه سامي سريعًا: «ماتقلقش، ابنك خرج من العمليات من عشر دقائق والعملية نجحت وهو دلوقتي تحت الملاحظة.. هيقعد هناك لمدة يومين وساعتها تكون خلَّصت باقي المهمات وتروح لهم بالسلامة..»

يحيى فرحًا: «العملية نجحت.. بجد.. طيب أنا عايز أتأكد.. أنا عايز أكلم مراتي سمر وأتطمن منها بنفسي.. «

سامي مبتسمًا: «حقك طبعًا.. هخليك تكلمها بعد ما تنفذ آخر مهمة النهارده.. هي مهمة سهلة بس عايز منك مجهود شوية.»

يحي قلقًا: «مهمة إيه؟»

معقبًا: «هتروح مستشفى الدقي الساعة تمانية وربع.. تسأل عن الدكتورة منى الشيمي وتقابلها».

يحيى بفضول شديد: «أيوه أقابلها وبعدين؟»

سامي بحدة شديدة: «تقنعها إنها تموِّت بنتها..»

يحيى مصدومًا: «إيه.. إيه إلى انت بتقوله ده انت اتجننت.. أعمل كده ازاي.. مستحيل طبعًا..»

سامي بثقة شديدة.. «نفّذ اللي يتقالك.. لو مانفذتش المهمة دي اعتبر كل المهمات اللي فاتت اتلغت وانسى انك هتشوف ابنك ومراتك تاني..»

يحي بغيظٍ شديدٍ.. «اخ ياولاد الكلب.. انتم مش بني آدمين أبدًا..»

بهدوءشديد..» الموضوع واضح وصريح.. ياما تختار بنت مني الشيمي ياما تختار ابنك..»

ابتلع يحيى ريقه وهو مندهش.. فتابع سامي حديثه: «الساعة تمانية وربع.. مستشفى الدقي.. منى الشيمي.. تخليها تموِّت بنتها.. نفِّذ».. ثم أغلق الهاتف وتوجه مسرعًا وهو مبتسمٌ جهة إحدى السيارات بمحطة الوقود ويقوم بمسح زجاجها بهمة ووهو يتحدث إلى سائقها مبتسمًا: «كل سنة وانت طيب ياباشا».

بينما شل عقل يحيى بعد أن أنهى مكالمته مع سامي مصدومًا وهو يُحدِّث نفسه: «أقنعها تموت بنتها ازاي.. أعملها ازاي دي بس.. هو في أغلى من الضنا في الدنيا دي».. أخذ يمسك رأسه مصدومًا يائسًا.. «أعمل إيه يااربي.. أعمل إيه؟»

****

تقف سمر أمام سرير ابنها وهي تنظر له بشفقة شديدة وهو مغطى بمختلف الأنابيب والخراطيم الطبية وحوله العديد من الأجهزة الطبية.. ظلت تنظر له وهي تمتم لنفسها: ربنا يشفيك يا حبيبي..

إن شاء الله كنت أنا.. ربنا يشفيك ويقومك بالسلامة يارب».. ثم نظرت بهاتفها غاضبة.. «هو راح فين يحيى بس.. إزاي يسيبني لوحدي كده أنا ومروان.. أكيد في حاجة مش طبيعية أنا مش متطمنة».. ثم قامت بالاتصال عليه من هاتفها.. ولكن بعد لحظات أغلقته بضيق..» مقفول بردو .. من أول اليوم وهو مقفول.. لا دي حاجة ماتطمنش أبدًا.. أنا لازم أسأل عليه الدكتور اللي جابني هنا».. وهمت بالتحرك سريعًا إلى خارج الغرفة، ولكن عندما فتحت الباب وجدت على الفور سامي فكري أمامها وهو يبتسم ويرتدي نظارة طبية ومعطفًا أبيض وحيَّاها بترحابٍ حين رآها.. «أهلا يا مدام سمر.. حضرتك كنتي خارجة ولَّا إيه..»

سمر مرتبكة.. «أيوه.. كنت خارجة اسأل على دكتور معتز».. أجابها سريعًا وهو مبتسم: «وكنتي عايزة معتز ليه يا مدام.. أؤمريني..»

بقلقٍ: «هو حضرتك مين؟»

مبتسمًا وهو يخلع نظارته ويمسكها بيده: «آه.. أنا آسف.. نسيت أعرفك بنفسي.. أنا الدكتور سامي فكري صاحب يحيى اللي معتز قالّك عليه».. هنا شعرت سمر بالسرور «هو حضرتك الدكتور سامي.. أنا متشكرة جدًّا جدًّا لحضرتك.. إنت أنقذتنا أنا ويحيى بعملية مروان النهارده، أنا مش عارفة أشكرك إزاي..»

ابتسم سامي ووضع النظارة على وجهه مرة أخرى.. «لا شكر على واجب يا مدام سمر.. يحيى ده زي أخويا ودي أقل خدمة أقدر أعملها معاه.. هو ماحكلكيش عني قبل كده ولَّا إيه؟»

مرتبكـة: «بصراحـة لأ.. ولا مـرة جـاب سـيرتك قبـل كـده».. سـامي ضاحـكًا.. «أخ يحيـى الخلبـوص ده.. أصـل أنـا كنـت أعـرف كل غرامياتـه والمواقـف المحرجة بتاعتـة قبـل الجـواز.. فطبعًـا مش هيقولـك عـلى الصنـدوق الإسـود لفضايحـه.. بـس أنـا زعـلان منـه بـردو .. إزاي ماحكالكيـش عـلى... يمكـن علشـان أنـا كنـت مسـافر بقـى..»

«هو حضرتك كنت مسافر؟»

«أهـا.. أنـا كنـت مسـافر كنـدا بقـالي سـبع سـنين.. وكنـت راجـع مـصر مـن شـهر ولحسـن الحـظ النهـارده قابلـت يحيـى في السـوبر ماركـت وماتعرفيـش كنـت مبسـوط أدّ إيـه مـن الصدفـة السـعيدة الـلي جمعتنـي بيـه في اللحظـة دي.. اتكلمنـا عـن حاجـات كتـير ومنهـا حالـة الكتكـوت الصغـير مـروان وهنـا ولحسـن الحـظ كان جـاي معايـا مـن كنـدا دكتـور متخصـص في جراحـة القلـب لكنـه لازم يسـافر بكـرة تـاني كنـدا وعلشـان كـده عملنـا المسـتحيل أنـا ويحيـى النهـارده علشـان نوفِّـر الظـروف لإجـراء العمليـة النهـارده قبـل مـا يسـافر.. وعلشـان كـده يحيـى ياعينـي مـن أول اليـوم وهـو مسـحول في المواضيـع دي ومـش لاقـي وقـت حتـى يـأكل.. بصراحـة جـوزك ده يسـتاهل ياخـد جايـزة.. أنـا للأسـف هسـافر بعـد يومـين أنـا كـمان علشـان كـده مـش فـاضي لكـن لـولا كـده كان زمـاني مـع يحيـى دلوقتـي خطـوة بخطـوة ماسِـبتوش».. ابتسـمت سـمر إليـه: «بصراحـة أنـا مـع كلام الدكتـور معتـز ودربكـة موضـوع العمليـة فجـأة الصبـح ماكنتـش فاهمـة حاجـة ومقلقـه لكـن دلوقتـي حضرتـك وضحتلي الصـورة كلهـا دلوقتـي.. إنـت ماتعرفـش انـت ربنـا بعتـك لينـا نجـدة مـن السـماء.. مـن غـيرك ماكنتـش هعـرف أنـا ويحيـى هنعمـل إيـه..»

«ماتشكرنيش أنا.. اشكري الظروف السعيدة اللي حطت يحيى في طريقي..»

«بس أنا كنت قلقانة بصراحة ونفسي أتطمن على يحيى.. لكن تليفونه مقفول ومش عارفة أوصلُّه».. «أها أنا قابلته من شوية وقالي إنه تليفونه فصل شحن وهو مش فاضي دقيقة واحدة يشحنه حتى.. سلم عليا على الواقف ومشي على طول..»

بلهفة شديدة: «إيه ده.. هو هنا؟»

«آه هنا.. تحبي تشوفيه؟ تعالي ورايا..»

تحرك سامي وتحركت خلفه سمر وتوجها إلى خارج الغرفة ووقفا بالقرب من درابزين السلم وشاور بيده ناحية الكونتر بمكان استقبال المشفى ليظهر لهما من بعيدًا يحيى وهو يتحدث إلى إحدهن منهمكًا: «آه يحيى هناك أهو.. شايفاه».. نظرت له سمر وهي فرحة «آه فعلاً هو يحيى.. ده متبهدل كده ليه؟».. حدَّثها سامي سريعًا: «مش بقولك مسحول من الصبح في الإجراءات والأوراق.. إنتي عارفة الروتين في مصر عامل ازاي.. لو اتأخر لحظة في اللي بيعمله كل الإجراءات دي هتبوظ ويبقى عمل العملية بشكل غير قانوني وممكن يتحبس فيها.»

سمر مصدومة: «يانهار اسود يتحبس..»

«أومال إيه.. إنتي معتقدة إن الموضوع سهل للدرجة دي تعمل عملية في يوم وليلة كده.. دي كانت فرصة ومجازفة كبيرة وكويس إننا عرفنا نعمل عملية مروان».. بشفقة شديدة.. «ياعيني يا يحيى..

وانـا الـلي كنـت بلومـك علشـان مـش جنبـي أتاريـك شـايل كل الهـم لوحـدك».. أخـذ يومـئ سـامي لهـا برأسـه متعاطفًـا معهـا.. «الله يكـون في عونـه.. تحبي أندهلـك عليـه؟».. ثـم نـادى عـلى يحيـى سريعًـا.. «يحيـى».. قاطعتـه سـمر سريعًـا..»لا سـيبه.. سـيبه.. خلِّيـه يركـز في الـلي هـو فيـه.. ربنـا معـاه».. ثـم نظـرت إليـه للحظـاتٍ وعـادة مسرعـة إلى الغرفـة ورمقهـا سـامي وهـي تنـصرف ثـم نظـر إلى يحيـى وأخـذ يومـئ برأسـه.. «ربنـا معـاه..»

****

قبـل بضـع دقائـق كان يقـف يحيـى أمـام المشـفى وهـو ينظـر لـه بعيـون حائـرة لا تـدري مـاذا تفعـل.. تنهـد وهـو يخطـو بخطـوات مـترددة بداخـل المشـفى وهـو متأكـد أنـه بمهمـة مسـتحيلة التنفيـذ.. ولكنـه كان يطـرد أفـكاره السـلبية تلـك وهـو يتقـدم بخطـواتٍ محسـوبة جهـة مكتـب الاسـتقبال وهـو ينتـوي أن يتحصـل عـلى أهـم سـلاح بـأي خطـة وهـي المعلومـات.. وقـف سريعًـا أمـام إحـدى الفتيـات باسـتقبال المشـفى وحدَّثهـا بثقـة: «سـلام عليكـم».. أجابتـه الفتـاة سريعًـا بلامبـالاة: «وعليكـم السـلام ..أؤمـر».. يحيـى مبتسـمًا: «أنـا رفعـت حسـن.. مُعِـد بقنـاة الحـدث اليـوم.. وكنـا بنـدوَّر عـلى دكتـورة تطلـع معانـا في برنامـج طبـي عـلى القنـاة.. وأكـتر مـن حـد شـكر في الدكتـورة منـى الشـيمي.. هـي عندكـم هنـا صـح..» «أيـوه هـي هنـا عـلى طـول».. «طيـب ممكـن أحصـل عـلى شـوية بيانـات كـده عنهـا قبـل مـا أتكلـم معاهـا علشـان أشـوفها مناسـبة ولا لأ للبرنامـج قبـل مـا أكلمهـا وماتنفعـش وأتحـرج وأحرجهـا معايـا».. أجابتـه بارتيـاب: «معلومـات زي إيـه؟».. مبتسـمًا:

«لأ عـادي معلومـات طبيـة عـن التخصـص بتاعهـا.. حاجـات عاديـة يعنـي.. أنـا معايـا ليسـتة بالأسـئلة لـو تحبـي تقريهـا..»

أجابتـه باقتضـابٍ: «لأ والله ماعنديـش بيانـات عنهـا وكـمان مـش فاضية».. هنـا ابتسـم يحيى وأخـرج مـن جيبه 200 جنيـه وأعطاهـا لهـا: «طيـب ممكـن تدلينـي عـلى حـد يكـون عنـده بيانـات كافيـة وفـاضي».. أخـذت منه النقـود وهـي مبتسـمة: «اسـأل عـن الممرضـة منـال في الـدور الثـاني.. قولهَّـا إنـك مـن طـرف سـهام وراضيهـا وهـي تقولـك عـلى كل الـلي انـت عايـزه».. هنـا سـمع يحيـى شـخصًا يناديـة فنظـر خلفـه سريعًـا فلـم يجد أحـدًا.. فنظـر إلى فتـاة الاسـتقبال مبتسـمًا: «طيـب متشـكر جـدًّا.. ألـف شـكر».. ثـم تحـرك إلى الطابـق الثـاني وسـأل أكثـر مـن شـخص حتـى وجـد ضالتـه؛ الممرضـة منـال وهـي سـيدة بدينـة في نهايـة العقـد الخامـس مـن عمرهـا كانـت تجلـس بغرفـة مـع ثـلاث ممرضـات أخريـات يرتشـفن الشـاي ويتضاحكـن.. فدلـف يحيـى جهتهـن وألقـى السـلام عليهـن: «السـلام عليكـم.. مـدام منـال هنـا».. أجابتـه إحداهـن: «وعليكـم السـلام.. أيـوه مـين؟».. أجابهـا يحيـى سريعًـا: «أنـا رفعـت حسـن مُعِـد بقنـاة الحـدث اليـوم جـاي مـن طـرف سـهام بتاعـة الاسـتقبال بعتتنـي لمـدام منـال علشـان أعـرف منهـا كام حاجـة كـده».. هنـا حدَّثَتْـه منـال مبتسـمةً: «أهـلاً.. أهـلاً بالصحافـة والتلفزيـون.. أنـا منـال.. أؤمـرني»..

«الأمـر لله.. بـس كنـت عايـز أتكلـم مـع حضرتـك خمس دقائـق كـده عـلى جنـب..»

أجابتـه مبتسـمة: «آه طبعًـا طبعًـا مـن عيـوني يـا بيـه».. تحدثـت إحـدى زميلاتهـا إليهـا: «طيـب هنسـيبك دلوقتـي يـا منـال ونرجعلـك تـاني..»

أجابتها سريعًا: «ماشي يا بنات..» تركاها زميلاتها وجلس يحيي بجوارها سريعًا وهي تسأله بفضولٍ: «أؤمرني يابيه».

«الأمر لله.. إحنا في القناة بنعمل برنامج طبي ومرشحين دكتورة عندكم هنا اسمها منى الشيمي وطبعًا قبل ما نكلمها لازم نعرف معلومات عنها كويس علشان انتي عارفة فيه فئات في الدكاترة عندنا فيه اللي بنديهم فلوس كتيرة لو دكتور مشهور وفيه اللي بنديله حاجات بسيطة وفيه اللي بيدينا احنا فلوس ..علشان كده لازم أعرف معلومات عن كل دكتور بنجيبه علشان نحدد هنتعامل معاه ازاي.. وطبعًا ماتقلقيش كلامك ده هيبقى في الحفظ والصون وفي نفس الوقت هنعوض تعبك ده.. القناة هتديكي في الخمس العشر الدقائق اللي هنقعد مع بعض 500 جنيه.. ها إيه رأيك؟»

بفرحٍ شديدٍ: «500 جنيه.. عيوني يابيه.. اللي انت عايزة اسأل عنه..»

هنا أخرج يحيى من جيبه ورقة وفردها أمامها: «دي قائمة بالأسئلة اللي بنسألها عن كل الدكاترة.. الأول بيانات عن الحالة الاجتماعية وكده.. متجوزة.. متطلقة.. مخلفة أولاد.. الحاجات العادية دي».. أخذت تفكر قليلاً: «هي مطلقة دلوقتي.. وجوزها كان دكتور مشهور شغال معانا هنا.. لكن من ساعة اللي حصل لبنتها يا عيني وقعدوا يتخانقوا مع بعض فترة طويلة وبعدين انفصلوا».. هنا سألها يحيى متلهفًا: «حصل إيه لبنتها طمنيني؟»

«كانت بتلعب مع صحابها في المدرسة ياعيني ووقعت على راسها من مكان عالي ودخلت في غيبوبة بقالها خمس سنين بعيد عن السامعين»..

بدا التأثر على وجه يحيى: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. طيب والغيبوية دي ماهاش علاج؟»

«هو أنا كنت متابعة الموضوع ده فترة ساعتها سمعت إن الغيبوبة دي نادر جدًّا لما تزيد عن أسابيع ولو قعدت أكتر من كده بتتحول لحاجة اسمها.. اسمها إيه يارب.. أنا كنت معلماها بالخُضرة.. حالة.. حالة نباتية.. لأ استنى.. آه حالة إنباتية.. لأن المريض فيها بيبقى بيتنفس وينمو لكن مش واعي ولا بيتحرك زي النبات.. هوليها كلام علمي كتير بس أنا مش فاكراه خالص دلوقتي».. أخذ يحيى يحدث نفسه مندهشًا: «غيبوبة.. علشان كده.. فهمت دلوقتي..»

منال بفضول: «فهمت إيه؟».. هنا جاوبها يحيى سريعًا: «يعني مفيش أي أمل لعلاج البنت دي من الغيبوبة؟».. منال بصوت خافت: «ماهو ده اللي زعَّل الدكتورة منى مع جوزها.. بعد سنتين من دخول البنت الغيبوبة ياعيني.. أبوها كان عايز يفصل عنها الأجهزة علشان هو قالها كان ممكن في أمل لو البنت في الحالة الإنباتية دي.. لكن بنتهم ياعيني كانت في موت دماغي.. يعني مخها ميت تقريبًا.. وقالها إن الحالة دي ماهاش علاج وإن البنت تعتبر ميتة خلاص.. لكن الدكتورة منى رفضت ياعيني وهي لسه عندها أمل إنها ترجع تاني مع إن تكاليف العلاج بتاعة البنت بتخرب بيتها كل شهر بس هي صابرة ومستحملها ربنا ما يوري اللي فيها لحد يارب».. هنا تحدث إليها يحيى سريعًا: «لأ دي كده لازم نساعدها بقى.. أنا هخلي البرنامج يتفق معاها ويديها فلوس كمان».. منال بلهفة: «آه والنبي.. دي ولية غلبانة ومحتاجة اللي يساعدها».. مبتسمًا:

«واضح إنك بتحبي الدكتوره منى قوي يا ست منال..»

«طبعًا دي ست سكرة وسمحة وعمرها ماقالتلي كلمة وحشة ولا اتنّكت عليا زي ما باقي الدكاترة بتعمل.. دي حتى ضايفاني عندها على الفيس بوك والانستجرام».. هنا ابتسم يحيى في خبث.. ثم أخرج من ملابسه نقودًا وأخذ يعدّها أمام منال التي ابتلعت ريقها عندها مشاهدتها للنقدية أمامها: «طيب أنا كنت عايز أبص بصة سريعة كده على صفحات الفيس والانستجرام عندها يا ست منال لو تسمحي يعني؟».. منال أخذت تنظر للنقود وهي مترددة: «أيوه يابيه.. بس دي حاجات خاصة واحنا حريم لامؤخذة وكده».. يحيى ملاحقًا: «متقلقيش ده أنا هبص بص سريعة من على موبايلك وانتي هتبقي جنبي وشايفة كل حاجة.. بس دي حاجات مهمة علشان تقييمها في البرنامج.. إنتي مش عايزة تساعديها ولا إيه».. ثم أعطاها النقود مبتسمًا.. فأمسكتها بسرعة ولهفة وهي تعدهم بالحال: «لا طبعًا عايز أساعدها.. عيوني حاضر يابيه.. «

ثم أخرجت هاتفها من ملابسها وأخذت تضغط على بعض الأرقام عليه وأعطته وهي مترددة إلى يحيى وظلت بالقرب منه ترقب ما يفعل.. أخذ يبحث يحيى سريعًا على الفيس بوك ولكنه تركه سريعًا وأخذ يتعمق في صفحات الانستجرام ويرى صور منى الشيمي مع ابنتها في أماكن مختلفة وهي تلهو وتلعب ويبدو على الصور أنها قديمة.. أخذ يقرأ عناوين الصور بتمعن والتعليقات أسفل منها وظل هكذا لفترة طويلة قاربت على النصف ساعة وشعرت منى بالضجر منه ومن وجوده خاصة بعد أن امتلكت

النقـود.. فتنهـدت سريعًـا.. فهـم يحيـى سريعًـا مـا بحلقهـا.. فأعطاهـا الهاتـف وهـو يشـكرها: «متشـكر جـدًّا جـدًّا لتعبـك معايـا يـا سـت منـال.. ممكـن بقـى تقوليـلي ألاقـي الدكتـورة منـى فـين؟»

«لا شـكر عـلى واجـب يابيـه.. الدكتـوره منـى هتلاقيهـا في الـدور الخامس أوضـة 78.. دي الأوضـة الـلي فيهـا بنتهـا ربنـا يشـفيها».. ابتسـم يحيـى وهـو ينصرف في الحـال مودعهـا.. اخـترق المشـفى سريعًـا وتوجـه إلى الطابـق الخامـس وظـلَّ يبحـث عـن غرفـة 78 حتـى وجـد ضالتـه.. انقبـض قلبـه في الحـال عندمـا شـاهد الغرفـة أمامـه.. عـلى الرغـم مـن معرفتـه بحالـة الفتـاة الميـؤس مـن شـفائها ولكـن محاولـة إقنـاع أمهـا بالتخـلي عـن حياتهـا مـازال شـيئًا صعبًـا ومؤلمًـا في نفـس الوقـت وقـد يكـون مسـتحيلاً.. ولكنـه لم يكـن لديـه أي بديـل سـوى أن يجـرب حظـه مـع تلـك التجربـة.. طـرق البـاب وهـو يبتلـع ريقـه للحظـات ومـن ثـم سـمع صوتًـا نسـائيًا هادئًـا يجيبـه: «ادخـل».. فدلـف يحيـى إلى داخـل الغرفـة التـي كانـت صغـيرة الحجـم وممتلئـة بالأجهـزة الكهربائيـة وتقـف أمامـه منـى الشـيمي التـي كانـت بيضـاء ممتلئـة قليـلاً وببدايـة العقـد الرابـع مـن العمـر.. وبجوارهـا سريـر تنـام عليـه فتـاة غـير واضحـة الملامـح وجسـدها ووجهـا ممتلئـان بالأنابيـب والأجهـزة الكهربائيـة ويبـدو عليهـا أنهـا في سـن 11 أو 12 عامًـا تقريبًـا.. قابلتـه منـى بالحـال بملامـح ممتلئـة بالفضـول: «أيـوة.. أؤمـر حضرتـك».. تحـدَّث إليهـا يحيـى بالحـال: «حضرتـك الدكتـورة منـى الشـيمي..»

أومـأت برأسـها بالحـال: «أيـوه أنـا منـى الشـيمي».. اقـترب يحيـى مـن السريـر وهـو يشـير إلى الطفلـة فوقـة..» يبقـى أكيـد ديناديـن بنـت

حضرتـك».. مسـتنكرة: «أيـوه هـي.. حضرتـك مـين؟».. نظـر إليهـا مبتسـمًا: «أنـا محمـد شـلبي».. ثـم تابـع حديثـه وهـو ينظـر إلى الطفلـة: «حضرتـك بتؤمنـي بالقـدر يادكتـورة».. نظـرت لـه باقتضـابٍ: «مـش فاهمـة..»

«قصدي إنك بتعتقدي إن كل حاجة بتحصل هي بإذن ربنا..»

«آه طبعـا ده شيء مافهـوش نقـاش».. مبتسـمًا: «طيـب يبقـى تمـام جـدًّا.. حضرتـك هتسـهلي عليـا كلام كتـير مـن الـلي عايـز أقولهولـك..»

سـألته بحـدة: «حضرتـك مـين وعايـز إيـه؟».. ابتسـم لهـا: «هقولـك حـالاً.. أنـا زي ماقلتلـك اسـمي محمـد شـلبي.. واحـد لا يعرفـك ولاتعرفيـه.. مـش معـروف أو مشـهور.. مفهـوش أي شيء مميـز في حياتـه إلا إنـه بيـزوره نـاس طيبـة في منامـه.. منهـم واحـدة جميلـة ورقيقـة وعلى طـول بتضحـك وتلعـب.. جـات تقولـه عايـزاك تبعـت رسـالة لمامـا.. تقولهـا إنهـا فاكـرة لمـا كانـت بـتروح الفسـطاط معاهـا.. وفاكـرة لمـا كانـوا بيروحـوا ياكلـوا دُرة في البلـد مـع خالتـه.. وفاكـرة لمـا اتعـورت وتعبـت ومامـا منامتـش علشـانها وعارفـه إن مامـا بتحبهـا جـدًّا.. حتـى لمـا كانـت بتزعقلهـا وتتخانـق معاهـا».. نظـرت لـه منـى مصدومـة مـن حديثـه ولذكـره أحـداث حدثـت مـع ابنتهـا ناديـن مـن قبـل.. وظلـت تتابـع حديثـه باهتـمامٍ شـديدٍ وبـدت عيناهـا تنضحـان بالدمـوع.. فأشـاح يحيـى بناظـره عنهـا وأخـذ ينظـر للطفلـة ويتابـع حديثـة: «كانـت فاكـرة إن مامـا بتزعقلهـا علشـان متضايقـة منهـا.. لكنهـا فهمـت دلوقتـي إن مامـا كانـت بتعمـل كل ده علشـان بتحبهـا.. بـس هـي بتعاتـب مامـا.. بتقولهـا إنهـا تعبـت.. تعبـت كتـير وعايـزة تسـتريح.. ليهـا صحـاب كتـير بيجـوا يلعبـوا

معاها وبيروحوا مكان كله خضرة ويقولوها تعالي معانا.. وهي بتقولهم ماما مش راضية».. هنا سمع منى خلفه وهي تنفجر باكية بعد سماعها تلك الكلمات.. بكاؤها هذا أشعر يحيى بالاضطراب وحاول أن ينظر إليها ولكنه تراجع سريعًا وظل يكمل حديثه وهو يستمع إلى نحيبها خلفه..«قالتلي قول لماما.. أنا عايزة ألعب وأجري من تاني وأبقى مبسوطة مع صحابي».. صرخت عليه منى وهي تبكي: «إنت.. بُصّلي.. إنت عرفت الحاجات دي كلها منين؟!».. ابتلع يحيى ريقه ونظر إليها ووجها قد أصبح أحمر اللون وعيناها تنضحان بالبكاء الشديد.. مشهد دموعها هوى بقلبه أرضًا وشعر بالشفقة الشديدة عليها، ولكنه تذكَّر وجه ابنه فأغلق عينيه بصعوبة وهو يحاول التركيز: «زي ماقُلتلك يادكتورة.. أنا أول مرة أشوفك وتشوفيني.. لكن مش أول مرة أشوف نادين وأقعد أتكلم معاها.. كانت بتجيلي كل يوم في منامي ونقعد نتكلم مع بعض بالساعات».. أمسكت منى بفمها بصدمة للحظات وهي تبكي ثم سألته سريعًا: «إنت بتكلم بجد.. إنت شُفت نادين وقعدت معاها؟».. أومأ يحيى براسه بالإيجاب: «أيوه.. أيوه.. بقالها إسبوعين بتجيلي كل يوم»..

نظرت له بتحدٍّ: «إنت بتكذب عليا.. إنت كذاب.. مسعود طليقي اللي بعتك علشان تكدب عليا مش كده؟!».. شعر يحيى بالاضطراب هنا للحظات.. ثم ابتلع ريقه وحدثها: «والله العظيم أنا ماشفت طليقك ده ولا سمعت عنه إلا منك دلوقتي.. يادكتورة أنا عارف إن الموضوع صعب عليكي ولكن فكري للحظات كده.. أنا هستفاد إيه من إني أكذب عليكي.. أنا أول مرة أشوفك.. ولولا رسالة نادين اللي كانت عايزة تبعتها ليكي ماكنتش حطيت نفسي

في الموقـف المحـرج ده أبـدًا..».. أمسـكت منـى رأسـها وهـي تبكـي مصدومـة، فتابـع يحيـى حديثـه إليهـا: «أنـا عـارف الـلي بقولهولـك ده صعـب.. أنـا حاسـس بيكـي».. ثـم نظـر إلى ناديـن وهـي عـلى سريرهـا وأخـذ يتحـدث بصـوتٍ هـادئٍ: «الأطفـال دول كائنـات غريبـة.. عـلى الرغـم مـن كل مشـاكلهم والقـرف الـلي الواحـد بيشـوفه علشـانهم.. ولكـن بينسـى كل التعـب والهـم ده بمجـرد مـا يشـوف ابتسـامتهم.. ده بيسـاوي الدنيـا والـلي فيهـا عنـده».. أخـذت تسـتمع منـى إليـه وهـي تتحسـس رأس ابنتهـا.. وتابـع يحيـى حديثـه إليهـا وهـو مبتسـمٌ: «أنـا اشـتغلت سـواق ميكروبـاص واشـتغلت شـحات ومسـتعد أشـتغل أي حاجـة وأعمـل أي حاجـة علشـان ابنـي.. ولكـن في نفـس الوقـت أنـا بعمـل كل ده علشـان أسـعده بـأي طريقـة.. حتـى لـو كانـت إني أضحـي بسـعادتي أنـا وأسـيبه يرجـع لـلي خلقـه»..

هنـا نظـرت لـه منـى مصدومـة وهـي تبكـي: «لكـن في أمـل.. كل يـوم الطـب بيتقـدم.. في أمـل في يـوم مـن الأيـام ترجـع زي الأول».

تنهـد يحيـى وأخـذ يُحدِّثهـا بهـدوء: «أنـا متأكـد إنـك عايـزة بنتـك تخـف وترجـع زي الأول.. لكـن هـي نفسـها قالتـلي إنهـا بتتعـذب. تحبـي انتـي تبقـي مرتاحـة وانتـي عنـدك أمـل بعلاجهـا ولكـن في الحقيقـة ناديـن متعذبـة.. صدقينـي ده مـش حـب ..دي أنانيـة.. الحـب يخلينـا نتخـلى عـن الـلي بنحبـه علشـان يعيشـوا سـعداء ومرتاحـين في أي مـكان تـاني.. مـش لازم يكـون معانـا.. ليـه نتمسـك بحيـاة صغـيرة مليانـة ألم وعـذاب.. مـدام هنقـدر نعيـش مـع بعـض في مـكان تـاني للأبـد..»

هنـا انفجـرت منـى في البـكاء وهـي تحدِّثـه بأسـى: «كان نفسي أشـوفها

بتجري حواليا من تاني.. كان نفسي تسمع ودني ضحكتها زي الأول.. كان نفسي تقولي أنا عايزة آكل بيتزا من اللي بتعمليها ياماما.. كان نفسي أفرح بيها وأشوفها بفستان الفرح مع جوزها وألعب مع ولادها».. هنا لم يستحمل قلب يحيى هذا الحديث وكاد يبكي ولكنه حاول التماسك بعد أن دمعت عيناه فمسحها بالحال.. وهنا اتجهت إليه منى وأمسكته من ملابسه بترجٍّ: «إنت بتشوفها بجد.. طيب قالتلك إيه.. احكيلي كانت بتقولك إيه؟.. أرجوك».. هنا قام يحيى بمحاولة التماسك وهو يتذكر عدة صور برأسه لنادين ومعها أمها في أماكن مختلفة وكانت تضعها على الانستجرام.. وأخذ يسرد لها من مخيلته مواقف من وجهة نظر نادين حينها.. واختلق الكثير منها.. واستعان بأشياء حدثت معه هو شخصيًّا وابنه مروان وأخذ يُحدِّثها بكل ذلك وظلت تستمع إليه منى باهتمامٍ شديدٍ وفوق وجهها الحزين ابتسامة خافتة.. مرَّ الوقت سريعًا إلى ما يقارب الساعة.. هنا تحرك يحيى من مكانه بهمة وقد لاحظ مدى التأثر على وجه منى فسألها سريعًا: «أنا هضطر أمشي دلوقتي.. بس كنت عايز أعرف منك.. لما نادين تسألني النهارده.. ماما هتخليني أروح لأصحابي ولا لسه سايباني أتعذب.. أرد ساعتها وأقولها إيه؟»

هنا وقفت منى وهي تمسح دموعها: «الناس كلها كانت بتقولي مفيش أمل.. الدكاترة والإخصائين كلهم قالوا كده.. وانا كنت بهاجمهم وصدهم دايمًا.. حتى جوزي مسعود سيبته علشان خاطر نادين.. ومستعد أقف في وش الدنيا كلها علشان خاطر بنتي.. لكن ماقدرش أبدًا.. أبدًا.. أعذب بنتي.. لو سمحت سيبني مع بنتي لوحدي».. هنا شعر يحيى بالاضطراب الشديد.. فلقد طلبت منه

منى المغادرة ولكنه لم يدرِ ما الذي ستفعله بعد.. هل نجحت خطته أم لا.. لم يكن له بد سوى أن نظر إلى نادين فوق سريرها ورمق منى التي أشاحت بنظرها عنه فوقع قلبه بقدمه.. وتحرك إلى خارج الغرفة وأغلقها خلفه.. ووقف خلف الباب يلوم نفسه على ما فعله وتلاعب بمشاعر تلك الأم المكلومة.. هو لم يعلم هل ما فعله هذا جيد أم لا.. ولكنه تذكر ابتسامة منى الخفيفة عندما استمعت إلى حكايته وأشعره هذا بالاطمئنان قليلاً.. تنهَّد وهو ينظر إلى الساعة التي كانت تقترب من العاشرة وهو لا يعلم ماذا سيقول لسامي.. هل نجحت مهمته أم فشلت ولكن جاءه الرد سريعًا من داخل الغرفة عندما سمع إلى صوت ماكينة توقف القلب وهي تدوي بقوة ولم يغلبها إلا صوت منى الشيمي وهي تصرخ من داخل الغرفة وتبكي وتنادي على اسم ابنتها نادين.. صوت منى وهي تناجي ابنتها مزَّق قلب يحيى ولم يستطع أن يغالب دموعه التي انهمرت وهو يغادر من خلف الباب..

****

تغلَّب يحيى على دموعه وهمَّ بمغادرة المشفى وقام بالاتصال على سامي الذي أجابه سريعًا: «مبروك لنجاح مهمتك يايحيى.. بصراحة ماكنتش متوقع إنك تقدر تعملها..»

أجابه يحيى: «أنا مش هسامحك أبدًا.. أبدًا على اللي إنت عملته فيها ده.. أنا عايز أكلم مراتي دلوقتي».. أجابه سامي سريعًا: «طبعا هتكلمها زي ما اتفقنا.. أهم حاجة ماتروحش بيتك أبدًا الفترة دي رجالة البهادرا مستنينك هناك.. روح في أي مكان يكون بعيد عن العيون.. مهماتك النهارده انتهت.. إستنى اتصال من مراتك الساعة 11..

سلام يا بطل».. أغلق يحيى الهاتف وهو يحاول أن يعلم ما الأسباب التي خلف تلك المهمات غير المفهومة أبدًا.. ولكنه لم يجد مغزى مهما حاول التفكير بعقلانية.. ظلَّ يتحرك على غير هدى وتوقف بإحدى الحدائق العامة وفرش جسده على الأرض ليتسريح، لم يمضِ كثيرًا حتى وجد هاتفه يرن فقام بالرد عليه فاستمع إلى صوت زوجته وهي تحدِّثه: «يحيى.. إزيك ياحبيبي».. هنا انتفض قلب يحيى في الحال وهو يستمع إلى زوجته مصدومًا.. فهو كان يمنِّي نفسه بأن زوجته وابنه ليسا مع سامي وأن الأمر كله مجرد خدعة ولكن ها هو يستمع إليها.. شعر بالحيرة وعدم التصديق لثوانٍ: «سمر.. إزيك يا سمر».. أجابته وهي تشعر بالفرح الشديد: «أنا الحمد لله.. مروان عمل العملية يا يحيى ونجحت الحمد لله».. سألها بفضول شديد وهو فرح: «بجد يا سمر العملية نجحت؟».. «آه والله.. العملية نجحت وإن شاء الله مروان هيبقى كويس وزي الفل».. هنا سمع صوت شخص يتحدث بجوارها.. «هاتيه أسلم عليه».. تحدثت إليه سمر في الحال: «خُد الدكتور سامي فكري صاحبك عايز يسلم عليك».. هنا قفز قلب يحيى في الحال من مكانه عندما استمع إلى صوت سامي يحدثه ثانية: «أيوه يا يحيى.. إزيك يا بطل.. أنا مع المدام ومروان أهو بتطمن عليهم».. صرخ عليه يحيى غاضبًا» «إنت ياوسخ انت إبعد عن مراتي وابني إنت فاهم؟».. أجابه سامي مبتسمًا وبلامبالاة: «أيوة ياحبيبي ماتقلقش.. دول في عيني.. خد كلم المدام وهسيبكم أنا على راحتكم».. ثم عاد صوت زوجته من جديد يحدثه: «يحيى».. أجابها سريعًا: «أيوه معاكي يا سمر».. فرحة: «أنا متشكرة أوي أوي على اللي عملته النهارده.. سامي فكري صاحبك قالي على التعب

الـلي تعبتـه النهـارده علشـانّا».. يحيـى مصدومًـا: «قالـك.. قالـك إيـه بالظبـط..؟»..

«قـالي عـلى التعـب والتنطيـط مـن مـكان لمـكان علشـان تخلـص اجـراءات العمليـة لمـروان النهـارده قبـل الدكتـور الكنـدي مايمـشي».. مضطربًـا.. «اه.. اه.. فهمـت.. لا كل حاجـة تهـون علشـانكم ياحبيبتـي.. معلـش ياسـمر أنـا مشـغول قـوي ومـش هتقـدري تشـوفيني اليومـين الجايـين دول..»

«آه يـا حبيبـي ماهـو سـامي قـالي.. وانـا كـمان شـفتك النهـارده وكان بايـن عليـك البهدلـة يـا عينـي..»

يحيى مصدومًا: «إيه.. شفتيني.. شفتيني فين؟»

«شُـفتك مـن كام سـاعة كـده في المستشـفى وانـت بتخلَّـص الـورق وسـامي نـادى عليـك بـس مارضتـش أقلقـك».. هنـا كان سـينفجر يحيـى مـن الغيـظ الشـديد.. ولكنـه أتبعهـا متسـائلاً: «إنتـي لسـه في المستشـفى دلوقتـي يـا سـمر..»

«لا ياحبيبـي.. ودونـا مستشـفى تانيـة بـس مـش عارفـة فـين علشـان كنـت جـوه عربيـة الإسـعاف مـع مـروان.. يبقولـوا دي المستشـفى الـلي مـروان هيقعـد تحـت الملاحظـة فيهـا.. سـامي قـالي إنـه بلغـك.. هـو مابلغكـش؟».. يحيـى متلعثـمًا: «لأ.. قـالي قـالي.. بـس كنـت فاكـر إنكـم هتروحـوا بكـرة مـش النهـارده».

«أصلهـم قالـولي إنـه لازم يبقـى في مستنشـفى متخصصـة للعمليـات دي وكان لازم ينقلـوه النهـارده»

«ماشي.. ماشي يا سمر.. أنا عايزك تخلي بالك من نفسك انتي ومروان.. وسامي لو قالكم على أي حاجة اسمعي كلامه».

«ماشي يا يحيى.. هتوحشني يا حبيبي.. إرجعلنا بسرعة أنا ومروان محتاجينلك أوي..»

يحيى متأثرًا: «أنا بعمل كل ده علشان خاطرك إنتي ومروان يا سمر..»

«ماشي يا حبيبي.. هاسيبك علشان هيدوا الدواء لمروان.. خلّي بالك من نفسك.. لا إله إلا الله».. يحيى متنهدًا: «محمد رسول الله.. سلام يا سمر».. ثم أغلق الهاتف وألقاه بعيدًا عنه بغضب: «اااااخ يا ابن الكلب.. كنت عَمَّال تلعب بيًّا طول الوقت ده ومراتي وابني كانوا جنبي طول الوقت ده.. ااااااااااااااااه».. هنا التمعت عينا يحيى وهو ينظر بالهاتف بتحدٍّ وهو ينتوي يأن ينفذ ما كان يدور برأسه منذ عدة ساعات وهو كان يتردد بكل مرة.. لقد كان ينفذ خطوات سامي بالحرف الواحد.. لقد حان الوقت الآن لكي يقوم هو بخطوة..

****

في صباح اليوم التالي كان الضابط ياسين يجلس على مكتبه وهو يبدو عليه أنه لم ينم جيدًا.. ظل يقرأ في الأوراق أمامه وصور عمر ومحمد فودة ومنهم على المنتحر ويسجل بعض الملاحظات.. قام أحد الأمناء بالطَّرق على الباب ثم دلف سريعًا إليه ووضع له قهوة على المكتب أمامه.. فحدثه ياسين سريعًا: «متشكر يا حمادة.. معلش الواد العسكري حمادة بعته يجبلي سجاير وخرمان أوي».. الأمين ضاحكًا: «إنت تأمرني ياباشا.. أنا خدَّام ساعتك».

أخذ ينظر للتلفاز خلفه وهو يصدر إعلان بصوت عالٍ: «باور فانك أفضل مشروب طاقة تبدأ بيه يومك.. باور فانك معاك طول اليوم الساعة 10 تشربه وانت راكب عربيتك».. أخذ ينظر ياسين إلى الأمين وهو يتابع الإعلان باهتمام فابتسم وهو يرتشف قهوة: «إيه ياحمادة.. إنت أول مرة تشوف حريم في الإعلانات ولا إيه».. الأمين محرجًا: «لا والله ياباشا.. أم العيال كفياني والله.. أنا بتفرج على الإعلان بتاع باور فانك.. أصله مشروب حلو قوي».

ساخرًا: «إنت بتأكل من الكلام ده يا حمادة؟ ياد ده شغل

إعلانـات.. مـشروب إيـه الـلي يخليـك عنـدك طاقـة.. وتقعـد تجـري في الشـوارع زي مـا عاملـين.. ده الواحـد بيطلـع السـلم ينهـج دلوقتـي».

مبتسـمًا: «لا يـا باشـا لا مؤاخـذة جلـت منـك المـرة دي.. أنـا مجربـه بنفسي وبصراحـة طلقـة.. بـص هـو عامـل زي التامـول كـده بـس الفـرق إنـه مُرَخَّـص ومـش ممنـوع..»

ياسـين يداعـب ذقنـه باهتـمام: «ياراجـل زي التامـول.. وبيعمـل نفـس مفعولـه في كل حاجـة؟»

الأمـين مبتسـمًا ويشـير لـه بعلامـة ok.. «بيعمـل مفعولـه في كل حاجـة يابيـه.. عـن تجربـة..»

مـترددًا: «طيـب.. طيـب لـو كـده.. روح هاتـلي علبتـين منـه.. أنـا جسـمي مهـدود وعايـز حاجـة تفوقنـي.. خصوصًـا إني رايـح المديريـة بعـد شـوية».. الأمـين يحـرك سـبابته أسـفل عينيـه: «بـس كـده.. عيـوني ياباشـا.. بـس انـت رايـح ليـه المديريـة بـدري كـده؟»

متنهـدًا: «عاملـين لنـا اجتـماع.. شـكله في تكليـف كبـير هيتـم».. وضـع يـده في جيبـة وأخـرج مبلغًـا ماليًـا وأعطـاه للأمـين..» خُـد.. هاتـلي اتنـين مـن البـاور حمـادة ده.. عـلى السريـع.. هشربـه وأطلـع عـلى المديريـة عـلى طـول».. الأمـين يمـد يـده بالنقـود مـرة أخـرى.. «مـا تخليهـا علينـا المـرة دي يـا باشـا».. ياسـين بضيـق: «ياعـم يـلا انـت هتمثـل.. ده انـت لـو لقيتنـي جنيـه هتاخـده.. يـلا اتـكل عـلى الله.. عايزهـم عـلى السـخَّان.. مـش تـروح تمـوت زي العسـكري ابـن.. بيجبـلي سـجاير مـن الصومـال بـروح أمـه».. تحـرك الأمـين إلى خـارج المكتـب مسرعًـا.. بينـما ظـل ياسـين

يحدق بشاشة التلفاز ويتابع الإعلانات وهو يحدث نفسه: «أنا إيه اللي دخَّلني الشرطة بس.. ماكنت دخلت طب بيطري ولا زراعة مادام كده كده بتعامل مع بهايم.. يلا.. كلنا في الآخر هنتعلق من الترتره».

****

وقف يحيى يتناول طعام الإفطار أمام إحدى عربات الفول بأحد الشوارع وهو يبدو عليه الإنهاك الشديد وأخذ يتابع بعينيه بتمعن محيطة بحرصٍ شديدٍ ويتتبع حركة المارة ليرى هل هناك من يراقبه فلم يجد.. ظلَّ يدقق في الكاميرات حول المباني فلم يجد منها الكثير.. انتهى من تناوُل طعامه وأعطى للبائع بضعة نقود وتحرك مغادرًا بثقة وبهدوء شديد فهو قد أعد كل شيء برأسه مسبقًا ولم يتبقَّ إلا أن ينفذ خطته الآن.. تحرك يحيى في الشوارع المختلفة حتى وجد ضالته؛ شارعًا هادئًا قليلاً لا يوجد به أي كاميرات فتوقف بوسط الشارع متأهبًا وهو ينظر للمارة بتمعن فوجد ضالته؛ شخصًا ملابسه ممتلئة بالألوان ويحمل حقيبة ممتلئة بأدوات النقاشة فتوجه له يحيى مبتسمًا: «سلام عليكم يا أستاذ».. الرجل مرتابًا: «وعليكم السلام».. يحيى سريعًا: «ممكن أعمل من عندك تليفون صغير.. أصل تليفوني فصل شحن ومحتاج أكلمهم في الشغل أقولهم إني هتأخر شوية.. وهديك 200 جنيه أهم..» ثم أخرج 200 جنيه وأعطاهم للرجل الذي أخذهم مترددًا: مكالمة.. ها.. طيب.. حاضر».. ثم قام بإخراج هاتفٍ صغيرٍ من ملابسه وهو يشير ليحيى عليه: «بُص وانت بتكلم اقلبه علشان صوته واطي شوية.. معلش بقى تليفون رخيص كده

جايـه علشـان مابهدلـش التليفـون التـاني في الشـغل».. أمسـك يحيـى الهاتـف بيـده فرحًـا: «لا ده كـده هـو عـز الطلـب.. ده أحـلى حاجـة التليفونـات الرخيصـة ولا جـي بي اس ولا حـد يتتبعك ولا أي حاجـة.. تسـلم هعمـل مكالمـة عـلى السريـع حـالاً».. أمسـك الهاتـف وأعطـى ظهـره للرجـل الـذي ظـل يتابعـه بتحفـزٍ شـديدٍ ويحيـى ينظـر إلى الهاتـف قلقًـا ثـم نظـر حولـه فلـم يجـد أيَّ شـخصٍ بالشـارع غيرهـم فابتلـع ريقـه وضغـط عـلى رقـم النجـدة 122.. ثـم انتظـر حتـى سـمع صـوت رنـين الهاتـف على الجهـة الأخـرى فـدق قلبـه بشـدة وهو يترقـب ما سـيحدث.. لحظـات قليلـة حتـى سـمع صوتًـا هادئًـا وواضحًـا: «122 بوليـس النجـدة».. انقبـض قلـب يحيـى في الحـال وأخـذ يجيبـه مسرعًـا: «ألـو.. لـو سـمحت أنـا عنـدي مشـكلة كبـيرة قـوي ومحتـاج مسـاعدتك فيهـا».. هنـا لم يسـمع يحيـى أي إجابـة نظـر إلى الهاتـف فوجـد المكالمـة قـد انقطعـت.. فنظـر للرجـل صاحـب الهاتـف سريعًـا ثـم ضغـط عـلى الرقـم 122.. ليسـتمع إلى صـوت رنـين مـرة أخـرى ثـم انقطعـت المكالمـة.. نظـر يحيـى باندهـشٍ إلى الرجـل..» المكالمـة كل شـويه بتقطـع كـده في حاجـة في التليفـون ولا إيـه».. أخـذ الرجـل الهاتـف مـن يـده سريعًـا وتفقـده: «لأ.. هـو الصـوت واطـي لكـن مابيقطعـش».. هنـا رن الهاتـف بيـد الرجـل.. فنظـر إلى يحيـى ثـم أجـاب الهاتـف سريعًـا..»ألـو.. لأ مـش أنـا.. هـو جنبـي أهـو».. ثـم أعطـى الرجـل الهاتـف ليحيـى..» في نـاس عايزينـك».. التقـط يحيـى الهاتـف سريعًـا وهـو فـرح..»ألـو.. بوليـس النجـدة».. ليظهـر لـه صـوت سـامي فكـري وهـو يـصرخ بـه بحـدة..» عايـز بوليـس النجـدة ليـه يـا يحيـى؟».. هنـا شـعر يحيـى بالصدمـة الشـديدة وأخـذ ينظـر حولـه بتمعُّـن عـن أي شـخص يراقبـه فلـم يجـد.. بينـما تابـع سـامي حديثـه

بغضبٍ.. «أنا بحذَّرك يا يحيى للمرة التانية والأخيرة.. أفعالك هتخسَّرك مراتك وابنك.. ماتفتكرش علشان إحنا مش شايفينك بالكاميرات يبقى مش عارفين انت فين وبتعمل إيه.. لو كررت الموضوع ده مرة تانية أو ضيعت التليفون أو حاولت تتخلص منه.. هيبقى جيم أوفر.. ومفيش تحذير تاني».. وأغلق سامي الهاتف سريعًا وأصبح يحيى ينظر إلى الرجل أمامه مصدومًا.. فأشار الرجل إلى يحيى ليعطيه الهاتف فأعطاه له وهمَّ منصرفًا وهو مندهشٌ.. كيف استطاع سامي فكري الوصل إلى الهاتف الذي اختاره عشوائيًّا وتأكد أنه من موديل رخيص لا يسهل التجسس عليه أو متابعته عن طريق الجي بي إس.. ولقد تأكد أيضًا أنه لا يوجد حوله كاميرات تراقبه أو أشخاص تتابعه.. فكيف علم سامي بأنه يتصل بالشرطة.. انطلق يحيى بطريقة مصدومًا مدهوشًا لا يدري ماذا يفعل بعد الآن لكي يُخلِّص نفسه من تلك الورطة.. يستطيع أن يفعل الكثير لولا وجود أسرته رهائن تحت رحمة سامي فكري.. شغلَ هذا الأمر تفكير يحيى كثيرًا وهو يتحرك إلى ناحية أحد الميادين المكتظة بالمارة.. أخرج الهاتف وظلَّ يحدق به بين يديه وهو يتردد بأن يتصل بسامي ليخبره عن مهماته التالية ليخلص من ذلك الأمر للأبد على أمل أن يحافظ سامي على وعده معه ويُخلِي سبيل زوجته وابنه.. كان يراوده هاجسُ أن يخلف سامي وعده معه، ولكنه كان يطرده دائمًا من رأسه لأنه لا بديل آخر غير أن يتشبث بهذا الأمل.. قام بالنهاية بالاتصال على سامي ووضع الهاتف على أذنه وهو يستمع إلى رنينه فأغلق عينيه وهو يتوقع أن يستمع إلى صراخ سامي وتوبيخاته له.. ولكن فجأة وجد الهاتف ينزع من يده.. فتح عينيه سريعًا ليجد أن الهاتف ليس بيده،

نظر على يساره سريعًا ليجد أن هاتفه قد أمسك به شخصان يقودان دراجة نارية وظلا يحدقان به وهما فوق الدراجة ويبتعدون سريعًا.. تجمَّد يحيى بمكانه للحظاتٍ وهو غير مصدِّقٍ أن هاتفه قد سُرَق وبتلك اللحظة من بين كل تلك الأعوام التي عاشها.. ترددت كلمات سامي إلى أذنه في الحال إنه إذا فقد الهاتف سينتهي كل شيء.. هنا تحرَّك جسده بدون وعي منه وهو يطارد السارقين فوق دراجتهما النارية وقد ابتعدا عنه كثيرًا.. لم يتملك نفسه حينها وأخذ يصرخ بعلو صوته..»حرااااامي.. حراااامي.. وهو يطارد الدراجة البخارية التي أخذ سائقها يقودها مُسرعًا أكثر فأكثر ليبتعد عن صراخ يحيى خلفه.. لقد قاما بتلك السرقات كثيرًا ولم يَقُم بمطاردتهما أحدٌ أكثر من لحظات معدودة بعد أن يستوعب ما حدث له ويكونا هما مبتعدين عنه تمامًا.. أما تلك المرة فالوضع مختلف.. فلقد وجدا أن من سرقاه تلك المرة يُطاردهما كالثور الهائج ويصرخ عليهما بصوت جهوري وينعتهما باللصوص.. وهنا حدث ماكانا يخشيانه دائمًا.. فلقد تجمع بعض سائقي السيارات والدراجات النارية الأخرى وقاموا بمطاردتهم بسرعة شديدة وهم يصيحون عليهما أن يتوقفا.. ارتبكا أكثر وأكثر وقاما بالاصطدام ببعض الأشخاص والمارة وهما مرتاعان وأفعالهما تلك جعلت مطارديهما يصرون على ملاحقتهما أكثر فأكثر.. تحولت الشوارع إلى كتلة كبيرة من البشر ينتابهم السرعة والغضب وهم يطاردون الدراجة النارية التي كانت كالشظية الخشبية الطافية بين نوبات الموج العاتية.. اللصان ظلا يتصارخان على بعضهما البعض وهما مرتاعيان من مطارديهما وهنا رنَّ الهاتف الذي سرقه اللص بيده.. نظر إلى الهاتف بسرعة وقام بغلق الاتصال ولكن

عـاد الاتصـال مـرةً أخـرى فنظـر اللـص إلى شاشـة لهاتـف ليجـد اسـم سـالم البـواب.. وهنـا صرخ عليـه زميلـة..» اقفـل أم التليفـون.. مـش كفايـة الـلي ورانـا دوول».. بادلـه اللـص الصريـخ وهـو يغلـق الهاتـف.. «مـا انـا بقفـل أمـه أهـو.. دوس بنزيـن خلينا نهرب مـن ولاد ال.. دول».. وهنـا ضغـط السـائق عـلى مقـود الدراجـة وظـل يتصـارع وسـيارة يقودهـا شـابان تـكاد تكـون ملاصقـة لهـما وتحـاول أن تجعلهـما يتوقفـان ولكـن هنـا قـام أحـد اللصـوص بإخـراج قطعـة حديـدة قصـيرة مـن ملابسـه وقـام بتحطيـم زجـاج سـيارة الشـابين ليتناثـر حطـام الزجـاج فوقهـما ويختـل مقـود السـيارة مـن يديهـما ليصطدمـا بسـيارة أخـرى بجوارهمـا بقـوة.. أخـذ اللصـان يتضاحـكان عـلى مشـهد السـيارة المحطمـة وظـلا يراقبـان بعـض مطارديهـم خلفهـما وهـم يتراجعـون عـن مطاردتهـما خوفًـا ممـا حـدث لزملائهـم السـابقين.. وأيقـن اللصـان بنجاحهـما وقُـرب خلاصهـما.. ولكـن فجـأة شـعر اللـص الـذي بحوزتـه هاتـف يحيـي بسـخونة شـديدة بجسـده.. فتحسَّـس مـكان تلـك السـخونة ليجدهـا مـن الهاتـف الـذي أمسـكه بحيرة ليجـد أن شاشـة الهاتـف عليهـا أرقـام تمـر بسرعـة شـديدة وترتفـع حـرارة الهاتـف بسرعـة فتحـدث إلى زميلـه.. «التليفـون سـخن قـوي ياعوكـه».. تحـدث إليـه زميلـه مندهشًـا.. «سـخن ازاي يـالا.. مـا تجمـد أومـال».. وهنـا سـخن الهاتـف بيـده بشـدة لدرجـة أنـه لم يتحمـل أن يحملـه بيـده وأمسـكه بملابسـه وهـو مندهـشٌ مـن تلـك الأرقـام التـي توقفـت عـلى الشاشـة فجـأة ثـم انفجـر الهاتـف بقـوة بجسـده.. وبسـبب ذلـك الانفجـار الصغـير اختلـت الدراجـة الناريـة التـي كانـت تلتهـم الطريـق بسرعـة ويسـقط اللصـان وجسـدهما ظـلا يُسـحلان عـلى الأرض بقـوة وعنـف شـديد لعـدة أمتـار بسـبب قـوة

الدفع بينما أخذت الدراجة النارية تتحطم وهي تطير بالهواء تارة وتسقط على الأرض تارة وتتناثر أجزاؤها بالطريق للحظات قبل أن تسكن بعد أن اخترقت زجاج سيارة كانت ترتكن بالقرب من أحد الأرصفة.. كان المشهد مخيفًا وغريبًا على المارة الذين حاوطوا اللصين اللذين كانا يتألمان ويد أحدهما قد بترت منها أصابعها وجرحت معدته بشدة، والآخر ظلَّ مُمسِكًا بقدمه وهو يصرخ ويتسنجد لأحدٍ أن ينقذه.. لحقهم مطاردوهم السابقين وتباينت ردود أفعالهم مابين الشفقة عليهم وما بين التشفي بهم من مبدأ الجزاء من صنف العمل.. وكان آخر الملاحقين يحيى الذي هبط من سيارة أجرة وأخذ ينظر إلى اللصين وهما محاوطين بين عددٍ كبيرٍ من الناس ودراجتهما النارية محطمة فوق سيارة أخرى بعيدًا.. شعر يحيى بالشفقة على اللصين للحظاتٍ ولكنه غيَّر اهتمامه وأخذ يبحث بعينيه سريعًا ما بين الحطام عن الهاتف الذي كان مصدر الاتصال الوحيد بينه وبين أسرته.. ولكن ما وجده هو جزءٌ صغيرٌ مُحتَرِقٌ من الهاتف كان بالقرب من أحد المارة فالتقطه بيأسٍ شديدٍ وهو يندب حظَّه الذي أوقعه بتلك المعضلة غير المفهومة.. وانصبَّ كل تفكيره حينها كيف سيصل بسامي فكري الآن.. وهل سيعتقد سامي بأنه قد قام بالتخلص من الهاتف متعمدًا.. ماذا سيفعل بزوجته وابنه حينها.. سيناريوهات سوداء دارت برأسه حينها وكاد أن يجن من التفكير والقلق ولكن ما حدث بعدها جعله ينسى كل ذلك من كثرة غرابته حيث بلحظة واحدة كان قد حدث أن بدأت هواتف جميع الحضور بالرنين بوقتٍ واحدٍ.. تخيل أن تقوم هواتف أكثر من 300 شخص كان متواجدًا بتلك اللحظة بالرنين بذات الوقت وبنغمات مختلفة..

ساد الصمت وخيَّم على رؤوس جميع الحضور من غرابة هذا الموقف وهم يشاهدون هواتفهم تعمل معًا.. جميع الموديلات والأحجام الحديثه منها والقديمة كانت تعمل وترن بصوتٍ صاخبٍ.. قام الكثير من الحضور بتلك اللحظة بالرد على هواتفهم.. أكثر من 200 شخص قالوا «ألو» بذات اللحظة.. أجابوا على هواتفهم ليستمعوا إلى صوت سامي يحدثهم من الجهة الأخرى ببضع كلمات مقتضبة: «قولوا ليحيى يشتري تليفون بي إكس 360 ويحط فيه أي خط..».. ثم أغلق المكالمة.. تباينت ردود أفعال المتواجدين ما بين الدهشة والضحك والاستنكار ولكن كان رد فعل معظمهم متسائلاً: «يحيى.. يحيى مين؟».. عندما استمع يحيى إلى اسمه من أكثر من شخصٍ أثاره الفضول فتحدَّث إلى بعض القريبين منه «في إيه .. حد اتصل بيكم يسأل على يحيى.. قال إيه..» . أجابه شخص منهم: «آه.. واحد كلمني قالي بلغ يحيى يجيب موبايل مش عارف إيه كده».. تدخَّل بحديثه أحد المتواجدين..»بي إكس 360».. اقترب منه يحيى بفضولٍ شديدٍ..»بي إكس 350.. قال حاجة تاني؟».. أجابه سريعًا شخصٌ آخر.. «اه.. يحط فيه أي خط».. «إيه ده.. هو كلكم جالكم نفس المكالمة».. أجابه شخصٌ آخر بحيرة.. «أنا بردو جاتلي نفس المكالمة.. بس مين ده وجاب نمرتي منين؟».. هنا تبادل الحضور أسئلتهم واستفساراتهم عن من هذا الشخص الغامض الذي حدَّثهم منذ قليل.. ومن يحيى هذا؟».. هنا انسحب يحيى من المشهد سريعًا مبتعدًا حتى لا يعلم أحد منهم أنه يحيى المنشود فيغرقوه ببحر أسئلتهم واستغرابهم ويضطر ليخبرهم إجابات هو من البداية لا يعلمها.. اتجه سريعًا إلى أقرب متجر للهواتف النقالة وقام بشراء

هاتف بي إكس وخط هاتف ببيانات وهمية بعد أن أجزل العطاء للبائع قليلاً وغادر المتجر سريعًا ولكنه توقف أمام كاميرا مراقبة التي أمام المتجر لعدة دقائق ليجد أن هاتفه يرن سريعًا ولكن الأغرب من ذلك أن اسم سليم البواب كان مسجلاً على شاشته على الرغم أن الهاتفق والخط ما زالا جديدين ولا يحتويان على أيِّ بيانات ولكن بعدما شاهد سامي يخترق المئات من الهواتف أمامه لم يستغرب يحيى من أي شيء بعد الآن.. أجاب على الهاتف سريعًا وتحدث إلى سامي بقلق.. «ألو.. أيوه يا سامي.. أنا عايزك نعرف إن الموبايل اتسرق واني ماليش يد باللي حصل ده خالص».. أجابه سامي بلامبلاة.. «هاتروح المريوطية اللي في شارع فيصل دلوقتي وكلمني لما توصل هناك».. ثم قام بغلق الهاتف في الحال.. كان يشعر يحيى بالضيق من طريقة سامي المقتضبة هذه في الحديث، ولكنه شعر بالارتياح قليلاً بعدم لوم سامي له على ما حدث.. أخذ يتوجه إلى أحد الشوارع الرئيسية ليوقف إحدى سيارات الأجرة ليتجه إلى شارع فيصل أحد أشهر الشوارع التجارية بمصر ليخوض من خلاله رحلة أخيرة بسلسلة مغامراته غريبة الأطوار التي تحدث له منذ أمس.. كان هناك شكٌّ قد نبت بداخله منذ أمس ولكنه تيقن منه اليوم.. أن سامي فكري لا يراقبه بالكاميرات فقط ولكنه يضَع مايكرفون بملابسه وهكذا علم بأنه قد قام بالاتصال بالشرطة عن طريق ذلك ولكن ما حيَّره بشدة هو كيف استطاع سامي أن يخترق أي هاتفٍ بسهولة شديدة كما حدثَ معه ومع بعض المحاوطين به منذ قليلٍ.. أيًّا كانت الطريقة فلقد تيقن يحيى بأن سامي يتحكم على امكانياتٍ ضخمة للغاية وأنه بالتأكيد ليس لديه القدرة الكافية على

معادته على الأقل بوجود زوجته وابنه رهائن لديه.. أوقف سريعًا سيارة أجرة وانطلق بطريقة إلى شارع فيصل ليبدأ مهمة الجديدة..

****

بعد مرور 4 ساعات كان ياسين يجلس ببهو واسع أمام باب مكتب يقف أمامه جنديان ويجلس بجواره 7 ضباط برتب مقاربة له.. أخذ ينظر لساعة متأفِّفا يُحدِّث زملائه.. «هو هنفضل مستنين كثير كده.. هو احنا مستنين نحلق ولا إيه؟».. ابتسم بعض زملائه وحدثه أحدهم محذرًا.. «يا ابني لِمّ لسانك شوية لاحد يسمعك وتروح في داهية».. ياسين بضيق.. «ياعم أنا اتخنقت مش كفاية وقفت قد كده في الإشارة وأنا جاي.. الترتره ورمِت ياجدع».. أجابه أحد الضباط الآخرين.. «ههههه إنت ظابط يا ابني في ظابط يقف في إشارة».. ياسين بضيق.. «أيوه يا عم.. لما يكون في وزير معدِّي الظابط بيتنيل يقف في الإشارة مستنيه».. ضحك الضابط.. «ههههه.. إنت اللي حظك فقري بقى أعملك إيه».. لفت انتباه أحد الضباط وهو يشاهد هاتفه باهتمامٍ شديدٍ وهو مبتسمٌ.. فحدَّثَه ياسين مناكفًا.. «إيه يا حمادة.. بتتفرج علًى إيه؟ إوعى تكون بتشوف سيكو سيكو في مديرية الأمن».. نظر له الضابط ضاحكًا: «لا ياعم والله.. أنا بتفرج على الواد اللي مصورينه في الفيس بوك..» اتجه ياسين إليه وأمسك الهاتف بفضول.. «ماهم بتوع الفيس بوك بيضحكوك على إيه؟ وريني كده».. أعطى الضابط الهاتف لياسين مبتسمًا.. «شوف الواد ده.. مصورينه وهو راكب جمل وبيجري بيه بين العربيات في شوارع فيصل».. ياسين مبتسمًا.. «راكب جمل.. هو فاكر نفسه في

قريش بروح أمه».. ظلَّ يشاهد ياسين يحيى وهو يتمسك بسنمة جمل بخوف شديدٍ وهو يركض بين السيارات وسط صخب أصحاب السيارت ما بين مستنكرٍ ومابين مهللٍ ومصفِّر.. شارك بعض الضباط مشاهدة الفيديو باهتمام شديد.. فتحدث إليهم مستنكرًا.. «النت جنن الناس.. كل واحد دلوقتي يعمل حاجة غريبة ويصورها على النت علشان يتشهر وبعدين يمثل ويتغنى وياخد ملايين واحنا اللي في الآخر بنتشتم ويطلع عين أبونا وناخد ملاليم».. أجابه أحد الضابط مصدقًا على كلامه.. «آه والله عندك حق.. ده اللي بيحصل دلوقتي كل عيل بشخة يطلع على النت يعمل كام فيديو وبعدين نلاقيه في المسلسلات والأفلام ويربيلي شنبه ويعمل نفسه ظابط مايعرفوش احنا بنتنفخ إزاي في الحقيقة.. استنى استنى.. مش الواد ده اللي كان متصور إمبارح والشحاتين بيجروا وراه في وسط البلد.. ده أنا طلع عين أهلي امبارح بسببه ونزلنا لمينا العيال الشحاتة دي كلها إمبارح وهيهدوا العمارة اللي كانوا حاطين إيديهم عليها..».. ابتسم الضابط إلى أحد زملائه.. «ده نزل على فيصل عندكم.. شكلك هتتنفخ زي امبارح».. أثار هذا الحديث فضول ياسين.. فظلَّ ينظر إلى يحيى بالفيديو ولكن الجودة كانت سيئةً ولكنه تعرف على ملامحه فحدَّث نفسه: «الواد ده مش عارف شفته فين قبل كده.. حاسس اني أعرفه بس مش فاكر اسمه».. ضحك أحد الضباط ساخرًا.. «إيه ده.. ياسين زهايمر أخيرًا افتكر حد.. ده أنا خلاص كنت شاكك إنك تفتكر اسمك.. زهقتنا من أم اسم حمادة بتاعك ده.. الوزارة كلها عندك اسمها حمادة..».. أمسك الضابط هاتفه غاضبًا.. «إيه ياجدعان إنتم مالقتوش غير أم تليفوني عمالين تتفرجوا عليه.. ما كل واحد

فيكم معاه تليفون..».. وهنا انفضَّ الجمع وعاد الجميع إلى مقاعدهم من بينهم ياسين الذي عاد إلى مقعده ولكنه تحدث إليه.. «بقولك إيه ياجما.. ياصديقي.. ابعتلي الفيديو ده على الواتس اب عندي..».. وهنا فتح باب المكتب سريعًا وخرج منه مجموعة من اللواءات بزيهم الرسمي.. فانتفض الجميع واقفين لهم وحيوهم بالتحية العسكرية.. وهنا أطل شخص في بدية الستينيات يرتدي ملابس مدنية بدعوتهم للدخول إلى مكتبه فتبعه الضباط ليجلس على مقعد يتوسط منضدة الاجتماعات وتوزع الضباط حول المائدة.. فتحدَّث إليهم مساعد وزير الدخلية بجادية شديدة.. «اجتماعنا النهارده مهم جدًّا.. يمكن ده أهم اجتماع هنعمله من ساعة ما دخلنا وزارة الدخلية.. لأنه هنتكلم فيه عن حاجة ماحصلتش في تاريخ الوزارة قبل كده».. ثم قام مساعد الوزير بفتح ملف أمامه وأخرج بعض الصور.. وأخذ يعلق على كل صورة.. «ده.. عمر فودة.. رجل أعمال مشهور وصاحب مشاريع استشارية ضخمة.. اتقتل أول امبارح.. وده أبوه محمد فودة.. وزير الصحة السابق واللي كان مرشح يمسك الوزارة تاني بعد ما وزير الصحة الحالي مات بأزمة قلبية.. محمد فودة هو كمان مات في حادثة انتحار أحد الشبان.. أظن إنت عارف الكلام ده كويس ياياسين».. ياسين ابتلع ريقه واعتدل بجلسته..» أكيد.. أكيد.. ياجما.. ياكمال باشا.. وأنا بحقق في كل حصل وبدقق في كل سنتوفه في القضية دي ياباشا».. أخذ يومئ كمال برأسه إليه.. «عارف.. عارف.. إنك عارف».. لكن اللي ماتعرفوش.. إن امبارح دول كمان ماتوا.. ثم أخرج بضع صور وقام بالتعليق عليهم.. «مسعود حامد.. رجل الأعمال المشهور واللي كان مرشح لوزارة السياحة..

رؤوف بنداري.. مؤمن مروان.. سعيد سمير.. محمد فضيل.. عاصم درهام.. هشام ماجد.. كرليس وهيب.. سعود مسعد.. كل دول ماتوا امبارح.. بطريقة مختلفة.. كلهم ليهم خلفيات وصفات مختلفة ولكنهم كلهم من رجال الأعمال المشهورين في الاقتصاد المصري.. 40٪ من فلوس البلد في إيدين الناس دي.. فاهمين الكارثة اللي احنا فيها دلوقتي.. معظم رجال الأعمال دي عندهم جرايد وصحفيين وإعلاميين شغالين تحت إيديهم.. عارفين ممكن يعملوا فينا إيه وهما بيقلبوا علينا الرأي العام..».. الضباط يستمعون إليه بقلق وبإنصات شديد..».. وهو يتابع حديثه إليهم.. «أنا عارف إن كل اللي حصل ده مش ذنبكم ولا لكم يد فيه.. ولكن أهالي الضحايا والصحافيين بتوعهم هيقلبوا علينا الدنيا.. لكن كل ده مايهمناش.. اللي يهمنا إن كل الناس البريئة دي ماتت وده اللي مش ممكن نسمح بيه أبدًا.. حد هو السبب ورا موت رجال الأعمال دول علشان يعمل بلبلة في البلد ويبين إن الشرطة في مصر مقصرة وده اللي مش هنسمح بيه أبدًا.. أنا هفتحلكم قنوات مع ظباط الأمن الوطني علشان تتبادلوا المعلومات معاهم.. كل اللي نعرفه دلوقتي من التحقيقات إن كل رجال الأعمال دول ماتوا بسبب حوادث أو بسبب ناس عادية خالص.. مفيش بينهم وبين رجال الأعمال أي اختلاط أو احتكاك.. ومفيش دافع يخليهم يقتلوهم ولا انتقام ولا سرقة ولا أي دافع ملموس.. والأسوأ من ده كله إن كل اللي قتلوهم دول بينكروا إنهم قتلوهم.. أو حتى شافوهم قبل كده.. وبيقولوا إنهم مش فاكرين أي حاجة خلال 24 ساعة اللي فاتت.. فاهمين ده يعني إيه.. يعني اللي بيحصل ده مش اعتباطًا.. ده شيء مُخطَّط له كويس جدًّا.. ووراه ناس منظمة للغاية

وممولـة بمبالـغ ضخمـة.. أنـا في حيـاتي المهنيـة كلهـا عمـري ماشـفت تخطيط وتنفيذ لجرائـم بالسرعة والدقة دي أبدًا.. عايزكـم مـن اللحظة دي تشـتغلوا بسرعـة ودقـة شـديدة عـلى قضاياكـم وتتبادلـوا المعلومـات مـع بعـض وكل المعلومـات دي تنصـب في الآخـر قدامـي عـلى المكتـب هنـا.. مـاشي.. مـش عايـز اقولكـم أن القضيـة دي مـش الوزيـر الـلي متابعهـا بـس.. ده السـيد الرئيـس بنفسـه بيتابعهـا شـخصيًّا.. الـلي ماتـوا دول مـش أي حـد مـن الشـارع.. دول صفـوة المجتمـع.. والـلي يمـس صفـوة المجتمـع ..المجتمـع كلـه هينهـار فـوق دماغنـا.. يـلا.. مـش هعطلكـم.. إتكلـوا عـلى الله واشـتغلوا يـلا.. ربنـا معاكـم..»

تحـرك الضبـاط بهمـة وبنشـاط وأخـذ ياسـين يفكـر بعمـق شـديد.. بمايحدث وهـو يسـترجع استنتاجاته بـأن تلـك القضايـا لم تكـن مصادفـةً أبـدًا.. تحـرك الجميـع خـارج المكتـب فأوقـف ياسـين سريعًـا الضابـط الـذي معـه الهاتـف.. «حمـادة.. صاحبـي.. ابعتـلي الفيديـو بتـاع الجمـل ده..».. نظـر إليـه الضابـط مسـتنكرًا.. «يـا ابنـي إنـت في إيـه ولا في إيـه.. إنـت ماسـمعتش المصيبـة الـلي شـفناها جـوه.. ده الدنيـا هتتقلـب علينـا خـلال سـاعات..».. ياسـين بضيـق.. «ياعـم إبعـت الفيديـو وبطـل حـوارات..»

الضابـط مستسـلمًا.. «خـلاص هابعتلـك أهـو.. إنـت رقـم الواتـس بتاعـك كام؟»

ياسـين بضيـق.. «ياعـم أنـا مـش فاكـر اسـمك.. هفتكـر رقـم تليفـوني.. ابعتهـولي عـلى الفيـس بـوك بسرعـة.. يـلا بسرعـة قبـل ماعلقـك مـن الترتـره »..

نظر له الضابط مستنكرًا للحظات ثم تنهد وهو يفتح هاتفه..

****

بأحد أحياء المعادي الراقية كان رجل رجل أجنبي ببداية الخمسينيات يركض بملابسه الرياضية ويمسك بيده اليمنى سلسلة كلبه الأليف وهو يركض معه وأخذ يتبادل التحية بشكل ودود مع أي شخص يقابله بطريقه.. لحظات ورن هاتفه النقال فأخرجه من ملابسه وظل ينظر على شاشته وهو مازال يركض ليرى صورة واضحة ليحيى وهو يركض من شيء ما غير ظاهر ومكتوب أسفل الصورة «the bird has wings».. ثم أسفل تلك الجملة «faisal street».. ابتسم الأجنبي ساخرًا وهو يركض «Ah poor bird»..

راقصة باليرينا أجنبية تتراقص برشاقة بداخل إحدى غرف التدريب وزميلاتها يتبعن تحركاتها خلفها.. فجأة رن هاتفها فحدثتهم بالروسية... فأومأوا إليها برؤوسهن وتابعن تدريباتهن بينما هي أمسكت بهاتفها من حقيبتها لتشاهد صورة يحيى وتحتها موقعه بفيصل فنظرت إليه بتمعن شديد.. وحدَّثَت نفسها: «xopomo.. خرشو»... ثم وضعت هاتفها بحقيبتها وحملتها مبتعدة إلى غرفة الملابس ..

رجل ببداية الأربعينيات يرتدي جلبابًا رمادي اللون ويجلس بمقهى بلدي غير نظيف يتابع بعض الإعلانات على التلفاز باهتمامٍ شديدٍ وهو نفث دخان نرجيلته باستمتاعٍ شديدٍ.. رن هاتفه فجأةً فأخرجه من طيات ملابسه ونظر إلى شاشته ليجد صورة يحيى ومكتوب أسفل منها فيصل بالإنجليزية.. أمسَك الرجل بهاتفه

بسرعة وترك النرجيلة على المنضدة بجواره وصاح بصوت عالٍ وبنبرة صعيدية واضحة.. «الحساب ياواد عمي..».. فتحرك جهته شاب قصير في الحال يحمل بعض الفحم المشتعل.. «جايلك حالاً يامعلم..».. حاسبه الرجل سريعًا ثم تحرك خارج المقهى بعزمٍ شديدٍ..

****

يحيى ينظر خلفه للجمل الذي يقف شامخًا كالجبال وراءه بعد أن لم يجد سبيلاً للنزول من فوقه الا أن ألقى بنفسه أرضًا.. ابتعد يحيى أخيرًا عن مغامرة الجمل العنيفة تلك التي لم يجد لها كالعادة أيَّ تفسيرٍ مثل باقي مهامه السابقة غير أنه أصبح أضحوكة ومسار سخرية من قبل الناس العادية.. ألقى بنفسه على أقرب مقعد رآه بأحد المقاهي بميدان الجيزة وأخذ يلتقط انفاسه.. حضر العامل بالمقهى وطلب يحيى مشروبًا باردًا ليروي حلقه الذي كان أجف من الصحراء الغربية.. ابتلع بعض دفعات الكوكا الباردة سريعًا ليخرج زفرة طويلة مريحة بالنهاية.. نظر إلى ساعته التي اقتربت من الواحدة والنصف ظهرًا.. أمسكَ هاتفه وقام بالضغط على اسم سليم البواب وقلبه ينبض بسرعة خوفًا من قدوم مهمة تودي بحياته بالنهاية.. استمر صوت رنين الهاتف لعدة لحظات ثم استمع لصوت سامي الهادئ اللعين يجيبه سريعًا: «ألو..».. أخذ يحيى يهدئ من روعه قليلاً ثم تحدث إليه.. «أنا نفذت مهمة فيصل وركبت الجمل زي ماقلتلي.. وطبعًا انت مش هتقولي أنا بعمل كل ده ليه زي العادة..».. ابتسم سامي ساخرا.. «ها.. جاهز للمهمة الجديدة»..

قاطعـه يحيـى سريعًـا.. «عايـز أتطمـن عـلى مـراتي وابنـي..».. سـامي مطمئنًـا.. «ماتقلقـش هتطمـن عليهـم زي إمبـارح.. أهـم حاجـة إنـك تنفـذ مهماتـك بدقـة وسرعـة.. مـش عايـز هفـوات زي ماحصـل للتليفـون الصبـح.. فاهـم؟».. يحيـى بقلـق.. «فاهـم.. فاهـم.. أوعـدك مـش هتكـرر تـاني..»..

« قُدامـك سـاعتين مـن دلوقتـي.. عايـزك تجمـع فيهـم عـشر فئـران.. وبعـد ماتجمعهـم اتصـل بي».. يحيـى مندهشًـا.. «بتقـول أجمـع إيـه..».. سـامي صارخًـا عليـه.. «جـرى إيـه يايحـي انـت هتسـتعبط.. عـشر فـيران.. ماتعرفـش الفـيران.. جمـع عـشر فـيران في سـاعتين..».. ثـم أغلـق الهاتـف سريعًـا بوجـه يحيـى الـذي أخـذ يحـدث نفسـه مذهـولاً.. «فـيران.. أجمـع عـشر فـيران.. أجيبهـم منـين دول.. فـيران.. هيعمـل بيهـم إيـه ابـن المجنونـة ده.. أنـا إيـه بـس اللي وقعنـي في الورطـة دي يـاربي..».. اقـترب منـه عامـل المقهـى في الحـال وأخـذ يمسـك كـوب المـاء الفـارغ وصينيـة التقديـم ومسـح المنضـدة بقماشـة في يـده.. فتحـدث إليـه يحيـى سريعًـا.. «بقولـك إيـه يابرنـس..».. العامـل سريعًـا.. «أؤمـر يـا أسـتاذ عايـز حاجـة؟».. يحيـى يضـع بيـده بجيبـه سريعًـا ويخـرج بعـض النقـود.. «بقولـك إيـه.. ماتعرفـش حـد بيبيـع فـيران هنـا الله يخليـك..».. نظـر لـه العامـل مسـتنكرًا.. «إيـه.. فـيران؟» «يحيـى بـترجٍّ.. «آه.. ماتعرفـش حـد وحيـاة ابـوك وهحلليـك بقـك..».. أمسـك العامـل بزجاجـة الكـولا بعنـف وصرخ عـلى يحيـى.. «بقولـك إيـه يـا عـم.. العمليـة مـش ناقصـاك.. إنـت عامـل دمـاغ وجـاي تطلعهـم علينـا ولا إيـه.. قـال فـيران قـال..».. ثـم نظـر إلى يحيـى نظـرة المصـاب بالجـذام وتركـه وانـصرف لداخـل المقهـى غاضبًـا وهـو يسـبه.. راقبـه يحيـى وهـو يختفـي مـن أمامـه ثـم

وقف بمكانه يحدث نفسه..»والله عنده حق.. حقه.. فيران إيه اللي هتتباع بس.. أنا هاديله بقشيش بزيادة».. فوضع بعض النقود على المنضده وتحرَّك مبتعدًا قليلاً.. ثم عاد مرة أخرى وأخذ بعض النقود وهو يُحدِّث نفسه.. «لا بقشيش إيه.. ده ابن كلب مايستاهلش..» ثم وضع نقوده بجيبه وانصرف مبتعدًا..» ..

****

بإحد القرى السياحية الساحلية كان يقف والد بمنتصف الثلاثينيات بصحبة ابنته الصغيرة ذات الثمانية أعوام أمام سيارته الفارهة ليخرج منها بعض البالونات الملونة الكبيرة ويحمل بعض الحقائب المجهَّزة للذهاب للشاطئ.. فقام بإعطاء البالونات لابنته التي ظلت تضحك وتقفز وهي فرحة وبيدها البالونات.. «هيه.. هيه.. أخيرًا وصلنا يابابي..».. والدها ضاحكًا على ردِّ فعلها.. «وصلنا يا ستي.. وهانلعب مع بعض طول اليوم.. وهجيبلك أيس كريم بالشوكليت اللي بتحبيها».. ظلت الفتاة تقفز من الفرح.. «هيه.. هيه.. هاتجبلي سوفت كريم ولاهارد كريم؟»

والدها يمسك ذقنه ليفكر قليلاً وهو يرفع حاجبيه.. «إمممم.. اختيار صعب.. لكن علشان أنا عارف إنك بتحبي الاثنين.. فهجبلك الاثنين السوفت والهارد كمان..».. أخذت تركض الفتاة بمكانها من الفرح وأمسكت والدها واحتضنته «بحبك يابابي.. بس ماما لو عرفت هتزعقلي..».. والدها قلقا..» اوعي تقولي لمامي.. هتقولي بدلعك ومش هتجيبك معايا تاني».. الفتاة خلاص.. خلاص مش هقولها.. يلا بقى بسرعة يابابي.. عايزة أروح البيتش بسرعة»..

والدها يخرج بعض الحاجيات من صندوق سيارته..»اصبري بس ثانيتين.. هاطلع الحاجات بتاعتنا من العربية..».. أخذت الفتاة تنظر إلى الشاطئ والبحر الذي كان لا يبعد كثيرًا عنهم.. بينما والدها ظل منهمكًا بإعداد حقائبهم وهنا وقف شخص خلفه وربت على كتفه فالتفت والدها إليه فسأله الرجل عن مكان ما فدلَّه والدها عن المكان.. فابتسم الرجل وتحرك سريعًا وهو يشكر والد الفتاة ويتحرك بطريقه.. بتلك اللحظة رن هاتف الفتاة الصغيره فأخرجت هاتفها من ملابسها وهي بمواجهة الشاطئ ووجدت صعوبة بمسك الهاتف بيدٍ واحدة مع حملها للبالونات بآنٍ واحدٍ ولكن بعد لحظات قليلة استطاعت فتح الهاتف ووضعه على أذنها واجابت وهي مبتسمة: «هاي مامي.. فاين.. الحمدلله.. أنا مع بابي أهو رايحين البيتش أهو.. بابي بيطلَّع الحاجة من العربية.. هاخليكي تكلّميه..».. نظرت الفتاة الصغيرية خلفها وهي تنادي على والدها.. «بابي.. كلم مامي».. ولكنها وجدت صندوق السيارة مفتوح والحقائب بداخلها ووالدها غير موجود.. فنظرت حولها مستغربة ونادت عليه.. «بابي.. بابي».. وسمعت صوت تحطم زجاج قوي فجفلت للحظاتٍ وشعرت بالخوف يجتاحها.. فصرخت على أبيها.. «بابي.. انت فين.. أنا خايفه..».. صوت أمها كان يصدر من الهاتف بيد الصغيرة، ولكنها لم تُجِب أمها وأخذت تتحرك وهي تبحث عن والدها.. فجأة صدر صوت إنذار سيارة بالقرب منها وصوت بوق بذات الوقت.. ألقت الفتاة بالهاتف من يدها ولكن يدها الأخرى ظلَّت متشبثة بالبالونات التي معها والتصقت بالسيارة وحاولت أن تتحرك ببطءٍ من خلفها.. وبعد تحرك بطيء وحذر ألقت نظرة خاطفة من وراء

السيارة لتجد أن والدها يقف بعيدًا أمام سيارة مركونة على الجهة الأخرى ويصدر منها صوت البوق والإنذار.. شعرت بالفرح عندما وجدت والدها ونادت عليه.. «بابي.. إنت سبتني لوحدي ورحت فين..».. ولكنها لم تجد من والدها أيَّ استجابة وكان يتحرك بشكل غريب بجوار السيارة.. شعرت الفتاة بالخوف يجتاحها وتحركت ببطءٍ بتجاهه وهي ما زالت تُحدِّثه.. «بابي.. أنت مابتردش على ليه؟».. ولكن لم تجد أيَّ ردٍ فعل منه.. شعرت بالخوف وركضت باتجاهه.. «بابي.. إنت بتعمل إيه».. وهنا شاهدت ماكان يفعله والدها أخيرًا.. فلقد كانت يده ملطخة بالدماء وممتلئة بالجروح من زجاج النافذة المكسور وهو يمسك رأس شخصٍ عجوزٍ يحطمه بقوة على تابلوه السيارة الذي كان مغطى بأكمله بالدماء ووجه العجوز محطم تمامًا وعلى الرغم من ذلك ما زال والد الفتاة يحطم رأسه بعنفٍ شديدٍ وبقوة وبدون أن يصدر أي فعل.. صرخت الفتاة مرتاعة وهي تشاهد أباها يفعل ذلك وطارت البالونات من يدها إلى أعلى.. «باااااااابي.. اااااااااااااااااااه..» ..

****

يحيى يمسك حقائب بلاستيكية ويبدو عليه الضيق الشديد وأخذ يتحرك بأحد الشوارع وهو يُحدِّث نفسه «400 جنيه.. 400 جنيه.. علشان أمسك شوية فيران.. ده أنا ماباكلش بيهم في الشهر.. مش مهم خلينا نخلص.. دلوقتي أم الفيران دي بتبقى موجوده في أي مكان في بشر ولكن بتبقى متواجدة بكثرة في الحقول والمخازن أو في المجاري أو في الزبالة.. وطبعًا أنا ما أعرفش مكان مخازن أو حقول دلوقتي..

ومش هنزل المجاري مش ناقصة قرف.. هعوم في المجاري علشان أصطاد فيران.. يبقى ماقداميش غير الزبالة.. جبت كل حاجة قريتها لصيد الفيران على النت.. وربنا يستر ويبقى حقيقي..».. تحرك يحيى بين عدة طرق حتى وجد ضالته بالنهاية.. مكان رائحته قذرة وممتلئة بالمهملات والنفايات الموضوعة بالقرب من صندوقي قمامة صَدِئين باللون الأخضر مكتوب عليهم النظافة من الإيمان وممتلئين بالنفايات وموضوعان بالقرب من أحد أسوار الأبنية المهدمة.. ابتسم يحيى للحظاتٍ ولكنه كتم أنفاسه سريعًا من الرائحة النتنة.. نظر إلى ساعته فوجد أنه ما زال لديه خمس وأربعون دقيقة على نهاية مهلة سامي له.. اضطربت معدته هنا عندما وجدَ أن الوقت تحرك بسرعة وخشي ألا يتمكن من صيد الفئران بذلك الوقت ولهذا تحرك بسرعة بعد أن اطمأن بأن هذا المكان لا يتطرق إليه البشر كثيرًا لأنه اضطر أن يغير المكان أكثر من مرة بسبب مرور البشر عليه وهو يتأكد بأن الفئران كائنات خجولة لن تظهر بظهور الإنسان.. أخرج من حقيبة بلاستيكية صندوقاً بلاستيكيًّا قويًّا مُربَّع الشكل ولونه أخضر مغطى من الأعلى بغطاء أبيض قوي ولكن من المنتصف به باب صغير يسقط أي شيء يقف عليه إلى داخل الصندوق.. فوضع يحيى الصندوق بين النفايات وهو مشمئز ليغطيها.. ثم أخرج من الحقائب البلاستيكية الأخرى بعض المعلبات التي سيستخدمها كفخ للفئران أمسك برطمانًا زجاجيًّا بأسى..» نوتيلا.. هاكل الفيران نوتيلا.. ده أنا مابكلهاش.. ذوقهم في الأكل أعلى من البني آدمين كمان.. وهحطلهم شوكلاته.. هدلعكم ياولاد.. الفيران..».. وضع الكثير من النوتيلا فوق الباب المتحرك ثم وضع قطع شوكلاته

وفتتها فوقها.. ثم حدَّث نفسه بقلق.. «مفيش وقت أستناهم.. لازم أغريهم للفخ ده..».. فقام على الفور بإلقاء بعض قطع النوتيلا على الأرض بالقرب من الفخ وبعض قطع الشوكلاته الصغيرة بخط مستقيم جهة الفخ الذي صنعه وجلس بهدوء بالقرب من مكب النفايات وهو يحاول أن يكتم أنفاسه من الرائحة وهو خائف أن يفشل بمهمة وأن لا تظهر الفئران أبدًا ليقعوا بفخه.. اضطربت معدته مرة أخرى وبدا القلق عليه ولكنه لم يكن له أيُّ حلٍ آخر سوى الانتظار وأن يتمنى أن يُوفَّق بخطته لجمع الفئران التي لاً يعلم ماذا سيفعل بها حتى إن أمسكها..

****

الضابط ياسين يجلس إلى مكتبه ويرتدي نظارة طبية ويقلب بأوراق أمامه تظهر بها صورة يحيى وأخذ يقارنها بالفيديو الذي لديه للحظات ثم ابتسم وهو يحدث نفسه: «أيوه.. أنا كنت متأكد إني عارفه.. هو يحيى كامل.. أنا مش فاهم أنا كنت ناسيه إزاي..».. ثم أخذ يقرأ الملف بيده بصوت مرتفع.. «يحيى كامل.. 37عام.. متزوج ولديه طفل.. اسم الزوجة سمر وفيق 32 عام.. يحيى كامل خريج كلية الصيدلة جامعة القاهرة.. عمل بعدَّة معامل وصيدليات ومستشفيات ومعامل أبحاث بعد تخرجه لمده ثلاثة أعوام.. عمل بمعمل أبحاث خاصة لمستشفى استثماري ألماني مع صديقه وزميله في الدراسة فؤاد علام.. صنع يحيى كامل بعد بحث لمدة خمس سنوات عقارًا يسمى التريبفون.. وهو عقار طبي لعلاج مرض السكري حيث ينتج إنزيمًا يجعل الجسم له القدرة على رؤية

مستويات الإنسولين بشكل صحيح بداخل الجسم ويجعله يتحكم بمستوى السكر بالدماء مرة أخرى دون أن يحتاج المريض استخدام أي أدوية أخرى.. ومع تكرار العلاج يستطيع جسد المريض الشفاء من مرض السكر نهائيًّا.. نجح عقار التريبيفون بشفاء جميع الفئران التي خضعت للتجربة وأصبح التريبيفون محض اهتمام كبرى شركات الأدوية بالعالم وعرضوا على يحيى كامل شراء حقوق الملكية الفكرية لعقاره ولكنه رفض المبالغ الضخمة التي تمَّ عرضها عليه لأنه كان يريد أن يجعل حقوق الملكية الفكرية مجانية حتى يتثنى لجميع المرضى بالعالم الاستفادة من هذا العقار دون أن تتحكم شركات الأدوية وتبسط جشعها على المرضى، ودخل يحيى بصراع عنيف مع صديقه ومساعده بالبحث فؤاد علام وبمساعدة شركة سماركو إحدى أكبر شركات الأدوية بالعالم.. تم رفع قضية بالمحاكم على يحيى كامل وادعاء فؤاد بأن يحيى قد قام بسرقة بحثه ونسبه لنفسه.. وبنفس الوقت قامت العديد من المستشفيات والأبحاث التي عمل بها يحيى كامل من قبل برفع قضايا على يحيى تتهمه بها بالسرقة وتبديد ممتلكات تلك المنشآت. وبعد عدة أشهر ما بين السجون والمحاكم خضع يحيى بالنهاية لتسوية من صديقه الأسبق فؤاد علام وشركة سماركو تنازَلَ بها عن حقوق ملكية عقار التريبيفون لشركة سماركو بدون أن يتحصل على أيِّ تعويضٍ مادي في مقابل التنازل عن كل القضايا والبلاغات المُقدَّمة ضده. وبعد خروجه من تلك المشاكل وقع يحيى بمشاكل أخرى بعد أن سلَّط الإعلام الضوء عليه أثناء تلك الحوادث لم ترغب أي منشآت طبية بضمه ضمن طاقم عامليها خشية من تسليط الأضواء عليها ليعمل بالنهاية كمندوب مبيعاتٍ

لمستحضرات التجميل الطبية ويتزوج من خطيبته سمر بعد ذلك وبعد فترة قصيرة خفتت عنه الأضواء والأعين تماما».. توقف ياسين عن قراءة الملف وارتشف من فنجان القهوة أمامه وألقى الملف من يده.. «أيوه أنا فاكر الفترة دي.. كنت ماسك أنا القضية بتاعت يحيى وكنت مقتنع ببراءته.. أصل مش معقول واحد زي ده كان حرامي وعَمَّال يسرق المستشفيات والمعامل اللي شغال فيها ويرفض عرض بملايين الدولارات من شركات الأدوية.. بس الموضوع ده كان من فتره طويلة.. إيه اللي رجع يحيى للمشهد تاني.. ويا ترى اتصل بيا ليه إمبارح الصبح؟».. أخذ يداعب ذقنه قليلاً.. ثم أخرج سيجارة وقام بإشعالها وأخذ نفسا منها ثم أخرج هاتفه وضغط على بعض الأرقام ووضعه على أذنه.. «أيوه.. ياهما.. أيوه يا أشرف.. إخلص يا أشرف أنا مفنيش دماغ.. عايزك تجبلي أي تفاصيل عن اللي هملليك اسمه ده يحيى كامل عادل عبد السلام.. أيوه.. استنى همليك رقم ملفه عندنا.. أيوه.. ولا أقولك هابعتهولك رسالة وأبعتلك معاها رقم موبايله.. عايزك تعرف النمرة دي فين.. هي مقفولة دلوقتي.. إعرفلي آخر مكان الرقم ده كان فين.. وسجل مكالماته كلها آخر عشر أيام.. ماشي يلا هابعتلك الرسالة دلوقتي».. أغلق الهاتف ثم قام بكتابه رقم أعلى ملف يحيى أمامه ثم وضع رقم هاتف يحيى وأرسله للضابط أشرف ووقف أمام مكتبه وأخذ ينفث دخان سيجارته وهو يداعب شعر رأسه.. «ممكن يحيى يكون ليه علاقة بموت رجال الأعمال والوزراء اللي بنحقق فيهم.. ولا الموضوع مجرد صدفة.. امم.. لكن صدفة.. هيتصل بي ليه.. أكيد في حاجة.. وايه حكاية مسح السلم اللي جات في المكالمة دي.. الموضوع غريب ومريب..

وانا لما في حاجة بتشغلني يبقى لازم اعرفها.. يا ترى مخبي إيه وراك يايحيى؟».

****

بتلك الأثناء كان يجلس يحيى على الأرض كاتمًا أنفاسه بضيقٍ وهو يشاهد بعض الفئران كبيرة الحجم تتحرك ما بين أرجاء النفايات بمهارة وجسارة على الرغم من مشاهدتها ليحيى الذي كان يرقبهم دون أن يحرك ساكنًا خشية أن يجفلوا ويهربوا ولكن تفاجأ بلامبلاة التي استقبلوه بها فيبدو أنهم اعتادو رؤية البشر وهم يهربون من أمامهم نظرًا لضخامة حجمهم المبالغ فيها فلقد كان حجمهم كبيرًا وملفت بالفعل.. أخذ يراقبهم وهم يأكلون النوتيلا وقطع الشوكلاته بسرعة شديدة ومن ثم يتحركون جهة الفخ المنصوب ثم يسقطون بداخله.. وكان قلبه يطرب فرحًا كلما سمع صوت ارتطام واحدٍ منهم بداخل الصندوق.. أخذ يرقب ساعته بقلق وهي توشك على الثالثة والنصف وبذلك تنتهي مهلة سامي التي أعطاها له.. سقط أكثر من فأر بداخل فخه ولكنه لم يعلم عددهم نظرًا لتوتره الشديد الذي جعله ينسى أعدادهم على الرغم من تذكره بأنهم أكثر من أربعة فئران بالتأكيد.. وهنا قرر أن يتصل بسامي ويخبره بأنه قد قام بجمع الفئران وأنهم عشرة كاملة وليكن ما يكون؛ فسامي بالنهاية لن يكون حاضرًا لعدّهم معه.. لم يكمل تفكيره العميق هذا حتى سمع صوت الهاتف يرن ويرى اسم سليم البواب أمامه.. إذًا إنه سامي يتصل به.. ابتلع يحيى ريقه بقلق وقام بالرد على الهاتف ليستمع إلى سامي.. «جمعت الفيران كلها؟» يحيى قلقا.. «آه.. كلها.. كلها..»..

سامي بفرح.. «تمام.. تمام جدًّا.. عايزك دلوقتي تروح مصر الجديدة في أسرع وقت ممكن اركب تاكسي.. اركب طيارة.. المهم هتكون هناك حالاً.. تدور على مطعم اسمه لاجور مانديز.. احفظ الاسم كويس.. لاجورمانديز..».. يحيى مرددًا: «لاجورمانديز.. مطعم لاجورمانديز.. خلاص حفظته.. اعمل هناك إيه في المطعم ده؟»

سامي ملاحقًا.. «هتاخد الفيران معاك وتخبيهم.. وتطلب أي أوردر.. وبعد عشر دقائق بالظبط تطلق الفيران في المطعم وتهرب بسرعة».. يحيى مندهشًا كالعادة بعد أي مكالمة لسامي..»أسيب الفيران في المطعم.. ليه أنا مش فاهم حاجة؟».. سامي ملاحقًا.. «مش مهم تفهم.. المهم تنفذ.. يحيى.. مش عايز أي أخطاء، نفّذ المهمة حالاً».. ثم أغلق الهاتف بوجه يحيى كالمعتاد ليتركه لحيرته من جديد.. ولكن يحيى وضع الهاتف بجيبه بلامبالاةٍ وهمَّ بالاقتراب من مصيدة الفئران التي كان تحيطها عددٌ كبيرٌ من الفئران فأخذ يزيحهم باشمئزاز من فوق المصيدة التي أصبحت ملطخة ببقع النوتيلا والشوكلاته وأقدام الفئران وأمسكها بيده ليجد وزنها ثقيلاً للغاية ومازالت بعض الفئران تقف فوقها فأزاحها يحيى مشمئزًا وهو ينظر إلى النفايات خلفه ويحيطه عبق تلك القذارة المتراكمة فأمسك أنفه متأففًا وهو يُحدِّث نفسه مهونًا.. «كله علشان خاطرك يامروان.. على الله يطمر فيك لما تكبر يا ابن الكلب.. ماتعرفش ابوك بيعمل إيه علشانك».. تحرك يحيى مبتعدًا عن مكان القمامة التي شاركها بعض رائحتها فتوقف عند مدخل أحد المتاجر ليشتري شيئًا يغيّر به رائحته ولكنه تفاجأ بإصدار أصوات قوية من الفئران بدأت تثير الريبة بمن حوله وهذا بالطبع سيلفت أنظار عمال المطعم

وسيمنعون دخوله وتفشل مهمته.. لهذا هداه تفكيره لابتياع بعض الأشياء التي يعتقد أنها هامة لتنفيذ مهمته..

كانت الساعة الرابعة والثُّلث تقريبًا عندما وصل يحيى بالقُرب من المطعم وهو بداخل سيارة أجرة.. عندما توقفت السيارة التفت السائق إلى يحيى وأخبره أنهم قد وصلوا إلى وجهتهم ليتفاجأ بيحيى يمسك عبوة نوتيلا ويصب محتوياتها بداخل صندوق بلاستيكي يحمله ويصدر من الصندوق بعض الأصوات الغريبة.. عندما شاهد يحيى السائق وهو يراقبه ارتبك بشدة ولكنه ابتسم بالحال وألقي عبوة النوتيلا بأكملها بداخل الصندوق ثم أغلقه ووضع قطعة قماش ثقيلة فوقه وتحرك إلى الخارج بعد أن أعطى السائق بعض النقود.. انطلقت سيارة الأجرى ووقف يحيى أمام مطعم لاجورمانديز الذي كان اسمه مكتوبًا بحروف لاتينية أنيقة بواجهة فاخرة أسفل مبنى تجاري كبير.. دقت ضربات يحيى كالطبول وهو يتوجه إلى داخل المطعم وبيده صندوق الفئران ويتمنى أن تسير خطة كما يتمنى.. دلف إلى المطعم بتأنٍّ وتعدى بوابته ليستقبله سريعًا هواء التكييف البارد وإضاءة المكان الساطعة.. جال بعينيه متفحصًا بين أرجاء المطعم فوجده فخم التصميم شديد الأناقة ذا بصمة أجنبية واضحة وجميع رواده من الفئات العليا والكثير منهم أجانب.. قبض بقوة على الصندوق البلاستيكي بيده وفوقه قطعة القماش الثقيلة وهو يبحث عن أقرب طاولة بالقرب من مدخل المطعم تحسُّبا لساعة هروبه فلم يجد إلا طاولة بمنتصف المطعم تقريبًا هي التي تبدو شاغرة.. تقدم إليها بثقة وسرعة وجلس على المقعد ووضع الصندوق بخفة أسفل الطاولة.. رمقه بعض الحضور بنظرات

مستهجَنَة نظرًا لملابسه غير المهندمة وغير النظيفة.. رمقه بالحال نادل أجنبي يعمل بالمطعم بزيه الرسمي المعتاد وصدم بشدة عندما شاهد يحيى بملابسه الرثة غير المهندمه.. شاهد يحيى نظرات النادل إليه فأشاح بوجهه عنه سريعًا ونظر أمامه.. تحرك النادل جهته بعزمٍ وتحدث إليه بالإنجليزية.. «كيف أستطيع خدمتك ياسيدي؟».. أجابه يحيى بإنجليزية محترفة.. «أريد قائمة الطعام من فضلك».. ابتسم النادل من إنجليزية يحيى الجيدة وابتعد عن ناظره سريعًا.. بينما أخذ يحيى يغمض عينيه وهو يُطَمْئِن نفسه..»اطلب اوردر.. وسيبهم وامشي.. الموضوع سهل يايحيى.. ماتقلقش..».. فتح عينيه سريعًا عندما سمع صوت النادل يحدثه.. «القائمة ياسيدي».. أومأ يحيى له شاكرًا برأسه وتوقف النادل أمامه منتظرًا.. فشعر يحيى بالتوتر.. ففتح القائمة سريعًا وجال بعينه سريعًا واختار وجبة وأشار إليها.. نظر النادل إلى الوجبه ثم ابتسم إلى يحيى وحدثه..» هذه الوجبة ب 1200 جنيه».. نظر له يحيى غاضبًا من كلماته.. فأخرج عددًا كبيرًا من النقود بجيبه وأظهرها أمامه..» هل تريدني أن أدفعها لك مقدمًا».. ابتسم له النادل.. «لا ياسيدي.. سوف تحاسبنا بعد أن تستمتع بوجبتك.. سوف أحضرها لك حالاً..».. وتحرك النادل مبتعدًا عن يحيى الذي كان مغتاظًا منه ولكنه كظم غيظه سريعًا وأخذ يتابع مهمته من جديد.. ظل يترقب رواد المطعم من حوله وهم يشيحون بأنظارهم عنه بتقزز.. فشعر بالضيق أكثر ولكنه شعر بالامتنان على الرغم من ذلك حيث بسبب ضيقه هذا قد تخلص من توتره.. لاحظ الكاميرات الصغيرة الموزعة بشكل غير واضح حتى لا تشعر رواد المطعم بعدم الراحة.. نظر إلى ساعته

فوجدها تعدت الرابعة والنصف.. فجأة سمع جلبة من أسفل طاولته.. فأزاح قماش الطاولة بيده بهدوء ليشاهد الصندوق البلاستيكي يتحرك من على الأرض بقوة.. يبدو أن الفئران التهمت جميع الطعام الذي كان يضعه يحيى لهم بالصندوق حتى يهدأوا.. وأخذوا بالصياح وهم يضربون الصندوق البلاستيكي بقوة.. هنا شعر يحيى بالقلق وعلم أنه إن لم يتخلص من هذا الآن فسوف يفتضح أمره وتفشل مهمته.. فرفع قماشة المنضدة وتحرك بيده تحت غطاء الصندوق ولكنه توقف مذعورًا عندما سمع صوت النادل وهو يقف خلفه ويحدثه بالإنجليزية: «ماذا يحدث هنا ياسيدي.. ماذا تفعل؟».. ارتعشت يد يحيى وغزا العرق وجهه وارتفعت درجة حرارة جسده.. هل انتهى كل شيء.. هل ستفشل مهمته؟ ماذا يفعل.. إن حياة أسرته على المحك الآن.. توقف عقله عن التفكير وشل جسده عن الحركة.. حتى سمع صوت النادل يحدثه من جديد بضيقٍ شديدٍ.. «لقد سألتك ماذا يحدث هنا ياسيدي».. وهنا لمعت أعين يحيى وابتسم ثم تصنَّع الغضب على وجهه وحاول أمساك يد النادل.. فسحب النادل يده بعنف وابتعد عن يحيى الذي تجاهل فعله وأخذ يصرخ عليه بصوتٍ عالٍ بالإنجليزية حتى يسمعه الجميع.. «أنا الذي أوجه لك هذا السؤال.. أنا أتيت إلى هنا لكي أنعَم بوجبه هادئة ولكن على الرغم من ذلك أجد هذا الشيء الغريب أسفل طاولتي.. ما هذا الشيء؟.. أنا آمرك أن تفتح ذلك الصندوق الآن.. هل هناك شيء خطير بداخله.. هل هناك قنبلة أو ما شابه؟.».. بدا القلق على رواد المطعم وظهر الذعر بينهم وتعالت الأصوات الهامسة المستهجِنة.. نظر النادل بقلقٍ إلى الصندوق

البلاستيكي ثم إلى يحيى مندهشًا.. فحدثه يحيى: «افتح هذا الصندوق الآن لنرى ما فيه».. شعر النادل بالقلق وتراجع وهو ينظر إلى يحيى مستنكرًا.. استغل يحيى تلك اللحظة وأمسك بالصندوق سريعًا من تحت الطاولة ووضعه أعلاها وقام بفتح الغطاء البلاستكي ليتفاجأ هو بالفئران المغطاة بالشوكولاتة والنوتيلا وأصبح منظرهم مقززًا ومخيفًا بنفس الوقت.. وقفزوا بوجه يحيى إلى خارج الصندوق وكانت أعدادهم وأحجامهم كبيرة.. ففزع يحيى من أشكالهم وسقط على الأرض وبسقوط يحيى وانتشار الفئران بين أرضية المطعم ورواد.. انقلب المكان رأسًا على عقب وتعالى الصريخ وقفز الرجال من أماكنهم وسقطت بعض النساء مغشيًا عليهن.. وساد الهرج والمرج المكان.. حاول عمال المطعم السيطرة على الموقف ولكن تحرك الفئران العشوائي أصابهم هم أيضًا بالذعر وعندما دلف أحد تلك الفئران إلى بنطال عامل منهم أخذ يصرخ مثل النساء ليزيد الطين بلة.. ابتسم يحيى على هذا المشهد الذي تحقق بسببه ولكنه لمح بمن يراقب تلك الابتسامة.. إنه النادل الذي كان يسخر منه منذ قليل شاهده وهو يبتسم فنظر له النادل غاضبًا.. «أنت من فعل ذلك».. بتلك اللحظة سقط رجل عجوز أشيب الشعر بصحبة زوجته على الأرض بالقرب من النادل وتعلَّق بملابسه وهو يحاول النهوض.. فأمسك النادل بيده وساعده على النهوض وأخذ يطمئن عليه.. فشكره العجوز هو وزوجته وأخذ يربت على يديه.. استغل يحيى هذه اللحظة وانشغال النادل بالعجوز وفرَّ هاربًا إلى خارج المطعم تاركًا وراءه حالة من الهرج والمرج وأصوات جلبة وصل صداها له حتى بعد أن أطلق ساقيه للرياح هربًا من رواد المطعم المذعورين..

لم يعلـم هنـا لمـاذا كان يشعر بالعـادة وهـو يركـض.. إحسـاس الانتعـاش والـسرور كان يمـلأه عـلى الرغـم عنـه.. لَم يعلـم لمـا كان يضحـك بـسرورٍ شـديدٍ وهـو يتلفت خلفـه ويـرى المطعـم وهـو يبتعـد رويـدًا رويـدًا.. قـد يكـون بسـبب شـعور الإهانـة الـذي قـد ألمَّ بـه عندمـا شـاهدوه رواد المطعـم وكانـوا يعاملونـه كأقلِّ منهـم قـد يكـون هـذا السـبب الحقيقـي.. أم إن السـبب يرجـع أنـه قـد اسـتطاع إنهـاء مهامـه الغريبـة تلـك حتـى الآن وهـذا جعلـه يشـعر بالنشـوة والغـرور.. فهـو قـد حقـق جميـع مهامـه مهـما كانـت صعوبتهـا أو غرابتهـا.. لقـد أكملهـم عـلى أكمـل وجـه.. عندمـا شـعر يحيـى بهـذا الشـعور الغريـب يجتاحـه للمـرة الأولى توقـف عـن الركـض في الحـال وأخـذ يلـوم نفسـه.. إنـه يفعـل هـذا منذ البدايـة لإنقـاذ زوجتـه وابنـه وليـس لـيرضي غـروره الشـخصي.. عـاد إلى رشـده سريعًـا وأوقـف سـيارة أجـرة وتحركـت بـه، وأثنـاء ذلـك قـام بالاتصـال عـلى سـامي فكـري.. ولكـن هـذه المـرة لم يجبـه سـامي.. كـرر اتصالـه أكثـر مـن مـرة.. فهـو لا يعلـم أيـن يتجـه بوجهتـه الآن.. ويخشـى أن يذهـب إلى أقـصى المـشرق ويختـار حينهـا سـامي أن يذهـب إلى أقـصى المغـرب ويضـع لـه وقتًـا محـدودًا فيزيـد الصعوبـة عـلى نفسـه.. ولكـن حيرتـه لم تَـدُم كثيرًا حينـما رنَّ هاتفـه بمكالمـة سـامي الـذي كان صوتـه مختلفًـا هـذه المـرة.. كان يبـدو عليـه الـسرور بكلامـه.. «برافـو عليـك يـا يحيـى.. نفّـذت مهمتـك مظبـوط».. أخـذ يحيـى يتصنـع الغضـب..»أنـا بعمـل كل ده علشـان أرجّـع مـراتي وابـن الـلي خطفتوهـم..».. هنـا توقـف قائـد سـيارة الأجـرة فجـأة ونظـر إلى يحيـى خلفـه بخـوف.. «خطـف.. خطـف إيـه يابيـه.. إنـزل مـن العربيـة وحيـاة أبـوك.. أنـا مـش ناقـص مشـاكل».. شـعر يحيـى بالحمـق

من قوله هذا الأمر أمام قائد سيارة الأجرة.. وتمالك نفسه في الحال وأخذ يبتسم له وهو يضحك..» ههه لا مؤاخذة يا اسطى.. هههه ده أنا بهزر أنا وواحد صاحبي..».. السائق حدَّثه بقلق.. «يابيه بالله عليك العربية عليها أقساط ومش ناقص مشاكل».. يحيى مرتبكًا.. «يأ أسطى قلتلك ماتخافش.. أنا بهزر أنا وواحد صاحبي.. ثم انت رامي ودنك معانا ليه..».. ضرب السائق مقود السيارة أمامه.. «لا إله الا الله.. ماشي.. رايح على فين لامؤاخذة بقى ياباشا علشان لو مش في طريقي تبقى تنزل معلش..».. ضحك سامي ساخرًا بالهاتف.. «هههه إيه يا يحيى.. إبقى امسك لسانك شوية.. قول للسواق يأخدك ويطلع على قسم إمبابة.. واديله فلوس بزياده علشان مايعملكش مشاكل.. لما توصل قسم إمبابة كلمني..».. ثم أغلق الهاتف.. أمسك يحيى بهاتفه وهو مندهش كالعادة ويفكر بعمق.. «قسم إمبابة.. ماذا سيفعل هناك..».. ولكن قطع تفكيره نظرات قائد السيارة الذي ظل ينظر له بالمرآة الأمامية.. فأشار له يحيى حينها.. «اطلع على قسم إمبابه يا أسطى..».. أخذ سائق السيارة يضرب مقود سيارته.. «لا إله إلا الله.. قسم إمبابة.. يابيه بالله عليك أن مش عايز مشاكل..».. أجابه يحيى بضيق.. «في إيه يا أسطى.. أنا بقولك حاجة غريبة.. أنا ساكن جنب قسم إمبابة فيها حاجة دي.. ماتخافش مفيش حاجة.. اطلع يلا بسرعة وهديلك 100 جنيه زيادة فوق العداد».. أثارت 100 جنيه لعاب السائق فأمسك بمقود السيارة من جديد وأخذ يتحرك بطريقة..» لا إله إلا الله.. ربنا يسترها علينا يارب».. شعر يحيى بالاستياء من هذا الموقف

وتذكر مواقف سائقي سيارات الأجرة معه من قبل وما مدى جشعهم وتحكمهم بالراكبين.. فأخذ ينفخ بطريقه وهو ينظر إلى الشوارع من نافذة السيارة..

****

وصلت سيارة الأجرة إلى قسم إمبابة وتابع السائق يحيى بترقب وهو يهبط من سيارته ويعطيه أجرة السيارة وفوقها المائة جنيه كما وعده فابتسم السائق وحيَّاه وتركه مسرعًا.. نظر يحيى بتمعن إلى قسم إمبابه الذي كان موضوع أمامه بعض الحواجز الحديدية ويقف أمامه بعض الجنود وبالقرب منه تقف سيارة أمن مركزي وكان المواطنون يتدفقون من وإلى داخل القسم بكثافة.. مشهد القسم أثار الخوف بقلب يحيى نظرًا لسمعة القسم السيئة المعروفة على مستوى البلاد كلها.. مضطربًا متعرقًا أعطى يحيى ظهره للقسم وتحدث إلى سامي على الهاتف ليسمع صوته سريعًا.. «أيوه يا يحيى..».. يحيى مقتضبًا.. «أنا قُدّام قسم إمبابة أهو.. أعمل إيه؟ سامي بثقة.. «هتخش جوه القسم وتسأل عن الأمين متولي..».. ثم صمت.. فسأله يحيى ملاحقًا.. «أيوه وبعد ما أسأل عن الأمين متولي.. أعمل إيه بعديها؟»..

سامي بثقة شديدة: «هتقرب منه وتضربه بالقلم على وشه بأقصى قوة عندك».. يحيى صارخا وهو مصدوم.. «إيه.. إنت بتقول إيه.. عايزني أخش قسم إمبابة وأضرب أمين شرطة جوه بالقلم.. إنت اتجننت.. إنت مش عارف هيعملوا فيا إيه.»..

سامي باقتضاب.. «يحيى.. نفّذ..».. ثم أغلق الهاتف سريعًا

ليتركه في صدمة شديدة للغاية.. جميع المهمات كانت صعبة بالتأكيد ولكن تلك المهمة هي انتحار بلا شك.. أن يعاديك أحد رجال الشرطة في مصر فسوف يذهب بك إلى وراء الشمس ولن يكون خلفه مراقب أو محاسب.. فما بالك بأن تذهب أنت إلى رجال الشرطة لكي تعاديهم.. هذا هو الانتحار بعينه.. أخذ يحيى يمسك رأسه يأسا.. وهو يفكر مجهدًا.. «لماذا يفعل معه سامي هكذا.. وكيف سينفذ هذا الأمر.. ألم يخبره من قبل ألا يبلغ الشرطة.. إذا لماذا يجعله يذهب إلى الشرطة بعقر دارهم.. أفعال وطلبات سامي كانت غير منطقية أبدًا أبدًا.. ولكن هذه المرة تخطت كل المعقول.. وظل يحدث نفسه محتارًا.. «أعمل إيه بس يا ربي.. أعمل إيه.. أخش أقولهم إنهم خطفوا مراتي وعيالي.. طيب وهو باعتني هنا ومش عامل حسابه إني هعمل كده.. أكيد طبعًا عامل حسابه ومحضَّر نفسه لكده.. مش هينفع أبلَّغ.. مراتي وابني هيبقوا في خطر.. واشمعنى يعني قسم إمبابة.. ومين الأمين متولي ده.. أعمل إيه يا ربي؟ أعمل إيه؟!»..
ظل يحدق بالسماء فوقه قليلاً ثم أغلق عينيه وتنهَّد بقوة ثم توجَّه بثقة تكذبها قدماه المرتعشتان.. دلف إلى داخل القسم فوجده مزدحمًا وممتلئًا بالمارة.. تحدَّث إلى أحد العساكر بالقرب منه.. «لو سمحت هو الأمين متولي فين».. فجاوبه العسكري بلامبالاة.. «إستنى دورك واقف في الصف».. نظر يحيى مستغربًا إلى العسكري الذي كان يقف أمامه بعض الأشخاص يصرخ عليهم وظن أن يحيى منهم.. فتركه يحيى سريعًا وأخذ يبحث عن أحد ما يدله على متولي ولكن كان القسم يشغل بالعمل والمارة كخلية النحل.. ولكن لفت أنظاره رجل عجوز يحمل صينية حديدية عليها بعض المشروبات الساخنة

ويتجول بطرقات القسم بمهارة متمرسة.. فاستوقفه يحيى سريعًا.. «لو سمحت ياحاج..».. توقف العجوز أمامه.. «أيوه يا أستاذ أؤمرني».. يحيى مرتبكًا.. «معلش أنا كنت عايز أسال عن الأمين متولي ماتعرفش هو فين؟».. انتفض العجوز في الحال واخذ ينظر خلفه مترقبا واقترب من يحيى هامسًا.. «إنت عايز الأمين متولي».. أومأ يحيى إليه برأسه «أيوه كنت عايزه في حاجة كده».. أخذ العجوز ينظر حوله مترقبًا مرة أخرى ثم همس ليحيى.. «يا ابني أبعد عن الأمين متولي ده وكل عيش ده راجل مفتري وقادر.. حتى الظباط بيتقوا شره.. لو ليك مصلحة ولازم تخلصها أدلك على حد تاني.. الأمين متولي ده لو صباعك تقطعه..».. ابتلع يحيى ريقًا خوفًا من تحذيرات العجوز وانقبض قلبه وشعر بوجع بمعدته.. «يانهار اسود.. للدرجة دي!».. العجوز هامسًا.. «وأكتر.. ده شخصية ربنا مايرمي حد في طريقه..»

يحيى بأسى.. «معلش ياحاج.. أصل أنا مضطر أتعامل مع الأمين متولي ده بالذات».. نظر له العجوز بشفقة ثم أشار بيده إلى الخلف.. «هو بيقعد في المكتب اللي في آخر الممر على الشمال.. ربنا معاك.. وياريت ماتقولوش إني قُلتلك حاجة.. أنا راجل غلبان وعندي عيال بربيهم الله لايسيئك».. أخذ يحيى يبتسم له وهو يومئ له برأسه.. «حاضر ياحاج».. ثم تركه العجوز وانصرف وارتعدت قدما يحيى مما سمعه وكادت تهوي به.. وفكر للحظات بأن يعاود أدراجه عائدًا.. ولكن لاحت ابتسامة ابنه مروان أمامه فجأةً وهو يتمسك بقدمه ويحتضنها.. تذكُّره لهذا الموقف أسعده وألقى بأي شك بقلبه.. إنه سيذهب للجحيم من أجل إنقاذ ابنه حتى لو كان هذا

الجحيم متمثلاً بداخل قسم إمبابة على هيئة الأمين متولي.. بخطوات عازمة وبعقلية مرتبكة تحرك يحيى جهة مكان الأمين متولي ليجده بنهاية الممر كما وصف العجوز على شمال الممر غرفة صغيرة بابها مفتوح ويتواجد بها ثلاثة أشخاص يرتدون الملابس الرسمية بأجسام متفاوته ما بين الضخم والعادي وهم يتضاحكون بشدة فيما بينهم.. ابتلع يحيى ريقه عندما شاهدهم واقترب سريعًا وهو يفرك يده اليمنى بقوة وبسرعة وحدثهم بصوت مرتبك.. «السلام عليكم.. لو سمحتوا كنت عايز الأمين متولي..».. نظر له أمناء الشرطة الثلاثة باستنكار دون أن يتحدثوا إليه.. ولكن سأله أحدهم سريعًا.. «عايز الأمين متولي في إيه؟».. نظر له يحيى بترقب «كنت عايزه في حاجة خاصة كده على انفراد..».. نظر له أمين الشرطة لثوانٍ ثم انفجر ضاحكًا «على انفراد.. هههههههه..».. أخذ أصدقاؤه يتشاركون الضحك معه ويحيى ينظر لهم مستنكرًا لعدة لحظات ثم أجابه أمين الشرطة.. «أيوه.. خير أنا الأمين متولي..».. هنا أمسك يحيى بيده اليمنى وفركها بسرعة بأصابعه وقام بالاستعداد لإطلاق عنان يده قبل أن يوقفه فجأةً صوت أمين آخر معهم..»يا أخي بطل هزار بقى ليصدق..».. ثم تحدث الأمين الثاني إلى يحيى.. «أيوه ياكابتن عايز إيه؟ أنا الأمين متولي.. هتديني فلوس ولا إيه؟ ارتبك يحيى هنا.. فلقد وجد اثنين يدعيان أنهما الأمين متولي.. وزاد ارتباكه عندما دخل الأمين الثالث على الخط وكان أكثرهم ضخامةً وقوةً وبشارب كثٍّ كثيف.. «بطَّل هزار يا ابني انت وهو.. أنا الأمين متولي عايز إيه؟».. إذًا الثلاثة يدّعون أنهم الأمين متولي.. إذا الحل الوحيد هو أن يصفعهم جميعًا وبالطبع سيكون متولي أحدهم وبهذا سيكون قد قام بمهمته..

ولكنه بنفس الوقت سوف يزيد الطين بلة.. بدلاً من أن يتلقى غضب أمين شرطة واحد سوف يواجه غضب ثلاثة دفعة واحدة.. وهداه تفكيره لحل آخر أقل ضررًا من الأول.. فتحدث إلى إليهم بثقة.. «أنا جاي النهارده مخصوص علشان أقول إن الأمين متولي ده شخصية قذرة بنت كلب».. هنا وقف الأمين الثالث ضخم الجثة كثيف الشارب وصرخ به بغضبٍ.. «إنت جاي تشتمني يلا..».. هنا ابتسم يحيى عندما نجحت خطته وثار الأمين متولي الحقيقي لكرامته وبالحال وبدون تردد صفعة صفعة قوية للغاية بيده اليمنى وصل صوتها إلى خارج الغرفة.. نظر متولي إلى يحيى مصدومًا مشدوهًا وهو يضع يده على وجهه الذي امتقع بحمرة الغضب الشديد.. بينما الأمينان الآخران ظلا ينظران إلى المشهد مصدومين من فعل يحيى غير المتوقع هذا.. لم يتوقعا أبدًا أن يتجرأ أحد من المواطنين أن يفعل ذلك بفرد شرطة أبدًا وبداخل القسم.. فعلة يحيى عقدت ألسنتهم وظلوا ينظرون إلى متولي الذي كان يغلي من داخله وهو ينظر أمامه إلى يحيى الذي كان يكاد ينفجر من الإثارة والخوف بذات الوقت.. كان المشهد غريبًا للغاية ومربِكًا.. لم ينطق أو يتحرك أي شخص بداخل الغرفة لعدة لحظات قبل أن يتحرك متولي من مكانه وهو يمسك يحيى بقبضته الضخمة من ملابسه ويدفعه دفعًا ليأتي معه.. وهنا وقف صديقا متولي وأمسكوا يحيى من ملابسه أيضًا وهم يسبُّونه ويصرخون عليه ويتوعدانه بالهلاك.. «إنت هيطلع.. أمك النهارده.. إنت هتتعلق من رجلك.. إنت هتتنفخ يا ابن...».. صرخ متولي غاضبًا على زميليه.. «ماحدش يقرب منه.. سيبوهولي أنا هتصرف معاه».. أخذ أمناء الشرطة يتحدثون إلى يحيى ساخرين..

«إحنا كنا هنرحمك شوية.. ولكن متولي هي...».. شعر يحيى هنا أنه هالك لا محالة بينما متولي يسحبه سحبًا بقوة وغضب شديد إلى غرفة أخرى بجوارهم وأغلق عليهما الباب.. ونظر إلى يحيى وهو مشتعلٌ من الغيظ.. وأخذ يتحسس وجهه الذي تورَّم قليلاً.. ابتلع يحيى ريقه وهو يشاهده يغلق الباب بالمفتاح ببطءٍ.. حاول أن يتحدث إليه بمنطقية قليلاً.. «أنا عارف إن اللي أنا عملته معاك غلط.. بس لو ادتني فرصة إني أشرحلك بس هتفهم أنا عملت كده ليه..».. نظر له متولي نظرات حادة للغاية ثم وضع يده بجانبه وأخرج سلاحه من جرابه وتحرك ببطء جهة يحيى ووضع سلاحه على المكتب أمام يحيى الذي نظر إلى السلاح قلقًا.. هل سيعقل أن يستخدمه ضدي.. فكر حينها يحيى بأن يمسك هو بالسلاح الناري ويقوم بالإطلاق على متولي ولكنه تردد قليلاً.. ولكنه قد قرر إذا حاول متولي أن يهاجمه فإنه سيدافع عن نفسه وليكن ما يكون.. تحرك متولي ببطء جهة المكتب وفتح درجه ومدَّ يده بداخله وهو ينظر ليحي بغيظ شديد ثم اقترب منه سريعًا وضرب المكتب بيده فجفل يحيى منه للحظات ثم نظر إلى متولي فوجده ذهب ليجلس إلى مكتبه وأخذ يتحسس وجه متألمًا.. شعر يحيى بالاندهاش من فعل متولي هذا ونظر أمامه على المكتب ليجد أن متولي وضع أمامه ظرف أبيض صغير فمدَّ يده إليه مترددًا وهو ينظر إلى متولي الذي أخذ يتحسس وجه دون أن يعيره أي اهتمام، أمسك يحيى بالظرف سريعًا وهنا ضرب متولي المكتب بقبضة بعنفٍ فجفل يحيى مرة أخرى وصرخ عليه متولي..» قولهم أنا نفِّذت اللي هما طلبوه بالظبط أهو.. الظرف في إيدك.. قولهم بعد كده يشوفولهم حاجة تاني بدل القلم ده.. مش هستحمل

كل مرة أتضرب بالقلم وبالذات من غبي زيك رايح يضربني قُدام زمايلي انت اتجننت؟!».. نظر له يحيى مندهشًا دون أن يتحدث.. بينما أخذ متولي يفرك وجهه بغيظ.. «إيه ده.. إنت إيدك ثقيلة قوي.. مش عارف تخفها شوية..».. ابتسم يحيى متشفيًا.. «هما اللي قالولي كده..».. نظر له متولي بضيقٍ.. «وهما قالولك كمان تشتمني..».. يحيى مبتسمًا.. «دي أوامرهم بردو وانت عارف مقدرش ما أنفذش الأوامر».. وقف متولي غاضبًا.. «طيب يلا غور من قدامي يلا بدل ما اتجنن وأكسر على دماغك المكتب كله..».. يحيى قفز فرحًا.. «حالاً.. هامشي أهو حالاً..».. وضع الظرف بجيبه سريعًا ثم قفز جهة باب المكتب ثم تحرك بسرعة شديد إلى خارج القسم ولم يصدق نفسه أنه أصبح بالخارج.. أخذ يتلفت حوله قلقًا وهو مبتعد حتى قطع مسافة كبيرة واختفى القسم من أمامه فقفز فرحًا بالشارع وظل يهلل فرحًا بنجاته من هذا الموقف العسير.. لقد خرج من الجحيم الذي اعتقد بأنه به نهايته.. لم يصدق أبدًا أن يئول هذا الأمر إلى ذلك.. تنفس الصعداء وجلس على أحد الأرصفة ليلتقط أنفاسه.. فلقد شعر بأنه فقدَ نصف عمره بتلك الدقائق الماضية.. «مش معقولة.. أنا مش مصدق نفسي.. الحمدلله يارب.. الحمدلله..».. أمسك الظرف بيده وأخذ يتفقده.. «يا ابن الإيه ياسامي.. لعبت بأعصابي لحد ماكنت هتشلني.. مش عارف تقول هتروح لمتولي تاخد منه ظرف لازم الدراما دي كلها علشان تشيِّب شعري كده.. عايز توصَّلي إن حتى الشرطة ليكم فيها رجالة.. الرسالة وصلت ياسامي.. الرسالة وصلت».. أمسك الظرف بيده.. «طيب وأعمل إيه بالظرف ده.. مكتوب فيه مهمتي الجاية ولَّا إيه؟!»..أمسك

الظرف ومزقه ليجد ورقة مكتوبة بداخله بخطٍّ كبيرٍ (محمد أحمد.. بنطلون أسود وقميص أبيض.. محطة السادات خط حلوان الساعة 8).. أخذ يقلب بالورقة فلم يجد أي شيء غير ذلك.. فلم يفهم منها شيئًا.. ثم قام بالاتصال على سامي ليجيبه سامي سريعًا.. «نفذت المهمة».. يحيى متأفِّفًا..»خلصتها ياعم.. ومتولي إداني ظرف».. سامي باهتمام.. «ظرف.. الظرف ده في إيه؟». هنا شعر يحيى بالاندهاش.. هل يعقل بأن يكون سامي لا يعلم بمحتويات الظرف أم إنه يختبره.. وبالنهاية قرر أن يخبره بالحقيقة.. «الظرف كان في ورقة مكتوب عليها.. محمد أحمد بنطلون أسود وقميص أبيض محطة السادات الساعة 8..».. سامي صمت قليلا ثم تحدث إليه.. «ركز معايا يا يحيى.. المهمة الجاية دي عايزة تركيز كبير جدًّا.. احفظ البيانات اللي في الظرف ده كويس جدًّا.. هاتروح لمحطة مترو السادات.. تدور على واحد اسمه محمد أحمد.. لابس قميص وبنطلون ألوانهم زي اللي في الورقة معاك وتسلمه للبوليس».. ضحك يحيى بهستيرية لعدة دقائق.. وسامي يستمع إليه بالهاتف ثم سأله مستنكرًا.. «بتضحك على إيه يا يحيى».. يحيى يجاوبه وهو مازال يضحك: «بضحك ..هههههه.. بضحك على كلامك ..هههه.. عايزني أدوَّر في المترو اللي بيركبه 3 مليون كل يوم على واحد اسمه محمد ولابس قميص وبنطلون.. فأنت أكيد بتهزر..».. صرخ عليه سامي.. «يحيى.. ركز كويس.. ركز علشان مراتك وابنك.. أنا مابهزرش.. دي مهمتك فعلاً.. هتمسك محمد أحمد ده وتسلمه للبوليس وضروري الكلام ده الساعه 8.. لو الساعة عدت تمانية ونصف ومالقتوش.. هاتبقى فشلت في مهمتك..».. صمت يحيى فجأة وأخذ يستمع له بتركيز..

فتابع سامي حديثه.. «أناعارف إن المهمة المرة دي صعبة.. ولكن لازم تقوم بيها.. آه.. نسيت أقولك حاجة مهمة.. محمد أحمد معاه 2 كيلو متفجرات سي 4..».. يحيى مصدومًا.. «سي فور.. يانهار أسود..»..

«أنا عارف إنها مهمة صعبة طبعًا..»

«صعبة إيه.. دي مستحيلة..»

«ركز.. ركز يا يحيى..».. ثم أغلق الهاتف.. هنا شعر يحيى باليأس ووضع يده على عينيه وافترش الرصيف بجسده.. «أعمل إيه ياربي.. أنا كل ما أخلص من مصيبة تطلعي كارثة أكبر».. نظر بساعته فوجدها السادسة والربع.. فقفز واقفًا.. «مفيش وقت.. لازم أروح المترو دلوقتي وربنا يحلها ساعتها..».. وتحرك بطريقة سريعًا وهو ينفض التراب من على ملابسه ويوقف سياة أجرة.. «مترو التحرير يأ أسطى».. ثم صعد بداخل السيارة وانطلق بطريقه..

****

ياسين يقف أمام مكتبه ويضع لوحة بيضاء أمامه صور ليحيى بأماكن مختلفة ويضع أسلاكًا وروابط بينها والضابط أشرف بجواره.. أخذ يبحث ياسين عن سجائره بملابسه فلم يجدها فتحدث إلى أشرف.. «سجايري خلصت.. هات سيجارة ياحمادة..» أشرف بضيق يعطي له سيجارة.. «يباشا خنقتني من إسم حمادة ده.. أنا لما بيندهولي بأشرف في البيت مابردش.. مخي لزق عليه إسم حمادة ده خلاص..».. ياسين أخذ يشيح له بيده بضيق.. «يا أخي بقى فكك من الحوار ده.. اعتبره إنه إسمك الدلع..».. أشرف بضيق.. «على فكرة لو إسم دلع بردو مش هيبقى حمادة..».. ياسين بضيق..

«يـوووه.. عايـزني أدلعلـك أشرف أقولـك إيـه.. يـاشر شر.. عجبـك الإسـم ده.. تحـب أقولـك يـاشرشر».. أشرف متقـززًا.. «لا.. شرشر إيـه.. خـلاص حمـادة أحسـن..».. قـام بإعطـاء ياسـين السـيجارة التـي أشـعلها وقـام بتدخينهـا بالحـال ثـم قـام بزفـير دخانهـا وهـو مسـتمتع ويحرك يديـه باسـترخاء فـوق صـدره.. «يـاه ياجدع ..أحلى إحسـاس في الدنيـا وانـت بتحـس إن النيكوتـين داخـل يحـرق صـدرك مـن جـوه».. نظـر إلى أشرف بجـواره وأخـذ يشـير إلى صـور يحيـى على اللوحـة أمامـه.. «قـولي يـا حمـادة.. حصلـت أي عمليـات اغتيـال لرجـال أعـمال أو وزراء أو حتـى لنـاس عاديـة في الأماكـن اللي ظهـر فيهـا الـواد ده ..؟ ».. أجابـه أشرف سريعًـا.. «لا ياباشـا.. أنـا تحريـت في الأماكـن دي زي مـا بلغتنـي ومالقتـش أي جرائـم قتـل حصلـت فيهـا خالـص».. ياسـين ينفـث دخـان سـيجارته وهـو يفكـر بعمـق.. «يعنـي إيـه.. إحسـاسي غلـط والـواد يحيـى ده مـاوروش حاجـة؟»..

«ياباشـا ركـز في القضيـة بتاعتنـا.. تقاريـر الأمـن الوطنـي قالـت إن كل الـلي ماتـوا دول كانـت في مشـاورات كبـيرة إنهـم يبقـوا في الحكومـة الجديـدة الـلي هتشـكل خـلال أيـام وإن عمليـات الاغتيـال دي عاملـة ذعـر للـوزراء الجـدد والقـدام كـمان..4 وزراء قدمـوا اسـتقالتهم النهـارده وأكثـر مـن مرشـح اعتـذر عـن المنصـب..».. أخـذ ياسـين يداعـب رأسـه.. «إممم.. يعنـي الاغتيـالات دي خلـت الـوزراء القـدام يخافـوا همـا كـمان.. ودي حاجـة ماتطمنـش.. الأمـور اتطـورت بسرعـة شـديدة قـوي خـلال أيـام قليلـة..».. أخـذ ينظـر إلى صـور يحيـى خلفـه فـوق اللوحـة.. «مـش عـارف عـلى الرغـم إن مفيـش دليـل بـس حاسـس إن ظهـور الـواد ده في الوقـت ده مـش صُدفـة وممكـن يكـون ليـه علاقـة بالقضيـة

بتاعتنا.. على العموم أنا عايزك تركّز عليه ولو ظهر في أي مكان تبلغني فورًا..» ثم ألقى السيجارة من يده بعد أن انتهت وأشار إلى أشرف بجواره.. «هات سيجارة».. قام أشرف بإخراج علبة سجائره فأخذها منه ياسين..».. فصاح عليه أشرف مستنكرًا.. «إيه ياباشا دي بتاعتي..».. ياسين أشاح له بيده.. «خلاص ابقى اشتريلك واحدة غيرها».. وأشعل سيجارة منها ونفث دخانها في وجه أشرف الذي ظلَّ يسعل بضيقٍ..

****

السابعة إلا عشر دقائق.. هذا ماكنت تُشير إليه عقارب الساعة الكبيرة المعلقة على رصيف محطة السادات بالمترو وسط الآلاف من ركاب المترو الذين لا يتناقصون قيد أنملة كل دقيقة يختفون لتظهر دفعات أخرى أكبر من سابقتها.. واقفًا وحيدًا وسط الجموع لا يفعل شيئًا غَير مراقبة المارة وملابسهم.. لاحظ هُنا أن الجميع تقريبًا يرتدي اللون الأبيض والأسود اليوم.. لا يعلم هل هذا بفعل مخيلته أم إن مصر كلها تتآمر لتفشله بمهمته.. أخذ يفكر كيف له أن يمسك محمد أحمد المزعوم هذا وهو معه متفجرات سي 4.. هو يعلم أن مادة السي 4 مادة شديدة الانفجار وأنها مصنوعة من موادٍ بلاستيكية ولهذا لا تستطيع أجهزة الكشف عن المتفجرات اكتشافها بسهولة ولكنها لا تنفجر بمفردها يجب أن يكون هناك مفجِّر ولا يستطيع محمد أحمد بالتأكيد الدخول بالمفجر ومتفجرات السي فور معًا لأنهم سيظهرون على جهاز كشف الحقائب وستعلم الشرطة أنها متفجرات بالحال.. إذا يجب أن يكون هناك شخصٌ آخر معه

المفجر وأنه سيتقابل مع محمد ويصنعون قنبلة السي فور.. ولكن كيف علم سامي ومتولي عن محمد أحمد هذا.. إذًا على مايبدو أنهم استطاعوا القبض على الشخص الذي يحمل المفجر من قبل ولكنه لم يستطيعوا الحصول على معلومات غير التي أعطاها لي متولي.. إذًا لا خوف من أن يتم تفجير القنبلة بالمترو اليوم ولكن إذا استطاع محمد أحمد الهرب مني فالبتأكيد سوف يستخدمها بمكان آخر ويستطيع الحصول على مفجِّرٍ آخر بسهولة.. إذًا يجب أن أنجح في الحصول على السي 4 اليوم.. ولكن السؤال هنا لماذا يرغب سامي بالقبض على محمد أحمد وحصول الشرطة على السي 4.. بالتأكيد هذ الأمر سيكون مفيدًا له بالمستقبل.. هذه معلومة جيدة.. لقد حصلت على معلومات كثيرة من تنفيذي لُمهَّماته ولكني لم أجد رابطًا لهم حتى الآن..».. أثناء انشغال يحيى بالتفكير العميق هذا تعثَّر شَخصٌ به فنظرَ له يحيى بضيقٍ فتأسف له الرَّجلُ وانسحب مبتعدًا.. هنا خشيَ يحيى أن يكون قد سرقَ من الشخص الذي تعثر به فتحسس ملابسه وهاتفه سريعًا ولكنه وجد كل شيء بمكانه طبيعيًّا فتنفس الصعداء أخيرًا وهو يحمد الله أنه لم يسرق هاتفه ليزيد الطين بلة مرة أخرى.. تحرك إلى الوراء ليستند إلى الحائط حتى لا يتعثر بأحدٍ ويستطيع أن يشاهد المارة بشكل أوضح أيضًا.. تعدت الساعة السابعة والربع ودق ناقوس الخطر بعقل يحيى.. يجب عليه أن يتصرف الآن ولكنه لم يجد أي شيء يثير تفكيره لكي يضع خطة ما.. كيف سيستطيع أن يبحث عن شخصٍ بتلك المواصفات الشائعة.. هناك بعض المعلومات التي تجعله يقلل دائرة بحثه قليلاً أولها أن الشخص الذي يبحث عنه اسمه محمد أحمد أي إنه رجل وبهذا يستبعد أيَّ سيدات

عن طريق بحثه والثاني أنه يحمل متفجرات سي 4 أي إنه يحمل حقيبة بشكلٍ ما والثالث هي ملابسه الخليط ما بين الأبيض والأسود هو لا يعلم هل هي ألوان خالصة أم إنها مختلطة بألوان أخرى.. وعلى الرغم من تقليل دائرة بحثه قليلاً ولكن لماذا الأمر صعبٌ وأقرب إلى المستحيل.. فتح باب عربة المترو لتخرج دفعات من البشر يدفعهم للداخل دفعات أخرى معاكسة لهم والكل باستعجال شديد كان مشهدًا سيرياليًّا مُضحكًّا إذا دقَّق أحدٌ به من بعيد ولم يكن طرف بوسط تلك المعجنات من البشر بداخل عربة المترو.. لفت انتباه يحيى رجل قصير ونحيل يقف وراء سيدة وهي تحاول أن تدلف إلى عربة المترو وهو يدفعها للخلف.. علم يحيى بالحال أن هذا الرجل هو شخصٌ غير سوي يريد أن يتحرش بالسيدة.. تابعه يحيى باهتمام شديد ليرقبه وهو يمسك بالجرم المشهود ولكن تراجع الرجل فجأة وترك السيدة بداخل عربة المترو.. شعر يحيى بالاندهاش من فعل الرجل.. هل ترك ضحيته هكذا بسهولة أم إنها شعرت به ودرءًا للفضائح انحسب الرجل بهدوءٍ ولكن عندما شاهد الرَّجُل يضع الهاتف بملابسه بحرصٍ شديدٍ أيقن هُنَا أنَّ هذا الرجل ليس متحرشًا.. بل إنه لِصٌّ.. وتأكد عندما تذكَّر لون الهاتف لقد كان له لون وردي وبجرابه بعض الأشياء اللامعة.. هذا لا يمكن أن يكون هاتف لرجل أبدًا.. أخذ اللص يجول بعينيه بترقب حوله ليرى هل شاهده أحدٌ ما بجرمه المشهود وهنا قام يحيى بوضع يده على وجهه وتصنع بأنه يسعل حتى لا يرى وجهه اللص.. نظر اللص إلى يحيى فوجده يسعل فلم يشك به وأخذ يقف من جديد وسط

الأفواج الجديدة القادمة لتركب عربة المترو.. هنا ارتسمت على وجه يحيى ابتسامة غريبة وهو ينظر إلى الرجل فأخرج محفظته ووضع بها بعض النقود بشكل غير مرتب حتى يكون شكل المحفظة منتفخًا.. ثم وضعها بأعلى جيبه الخلفي قليلاً ووقف بمكانه يراقب اللص دون أن يشعر.. وهنا اقترب قطار المترو من الرصيف.. فتحرك يحيى سريعًا ووقف خلف اللص الذي دخَلَ من باب العربة التي أمامه.. وهنا تحرك يحيى مسرعًا ليقفز بداخل باب العربة الثاني بحيث يكون اللص خلفه.. وقف يحيى يراقب اللص من بعيدٍ وشاهده وهو يتحرك وينسلُّ بين الناس بسهولة شديدة.. وعندما اقترب قليلاً من يحيى وقف يحيى بزاوية جانبية بعربة المترو ليظهر جيبه المنتفخ بمحفظته وأخذ ينظر بأسًى أمامه ويتصنع أنه يفكر بعمقٍ شديدٍ.. وقف اللص خلفه ولكن لم يُبدِ يحيى أي رد فعل نهائيًّا حتى بعد أن شعر بأصابع الرجل تنسل إلى جيبه ثم ارتطم به برفق وتحرك مبتعدًا.. تعجب يحيى من سرعة ودقة اللص الذي انتشل محفظته بسهولةٍ وبِحِرَفيَّةٍ على الرغم من أنه يعلم بأنه سيسرقه ولكن فعلها بسرعة شديدة.. خشي يحيى أن يفقد اللص فأمسكه من يده بسرعة وهو يحمل محفظته.. ارتبك اللص عندما شاهد يحيى يبتسم أمامه فانسلت يده الأخرى وحملت سكينًا صغيرًا شهرها بوجهه.. يحيى مبتسمًا.. «ماتخافش.. مش هقول لحد إنك حرامي.. ده أنا هكافئك واديلك 500 جنيه لو عملت اللي قولتلك عليه..» ..

اللص فرحًا.. «500 جنيه.. عايزني أعمل إيه؟»

يحيى مبتسمًا بثقة: «حاجة بسيطة جدًّا.. هتفجر المترو..» ..

الثامنة وخمس دقائق.. كان اللص يتحرك بإحدى عربات المترو بمهارة بين الركاب ولكن هذه المرة لا يسرقهم بل يحمل بعض الأقلام وماكينات الحلاقة بيده ويصيح على الركاب ويتصنع بيعهم وأخذ يصدح بصوت جهوري..»أيوه ياهانم.. أيوه يابيه.. أبو مية بقى ربع جنيه ..

ولا يِنّ ولا دولار.. إحنا اللي فجَّرنا المترو بالأسعار..

لاتقولي ولاكحك ولا بيتي فور.. إحنا يابا اللي معانا السي فور..».. أخذ اللص يتحرك وهو يحمل البضائع بيده ويصدح بتلك الجمل بداخل عربات المترو.. ويتبعه من الخلف بتحفزٍ شديدٍ يحيى وهو يتمعن بوجوه الركاب ويترقب رد فعلهم.. كانت خطة يحيى مع اللص بسيطة للغاية قد أعطاه مبلغًا ماليًّا صغيرًا وأخبره أنه سيعطيه الباقي بنهاية مهمته واشترى بعض الحاجيات من الباعة الجائلين وأعطاها للص وأخبره أن ينطلق بداخل العربات وهو يتجول ويصيح بتلك الكلمات التي بها انفجار مترو وسي فور.. لأنه مهما كان حِرصُ أيِّ شخصٍ فإنه سوف يرتبك عندما يستمع إلى بعض تفاصيل مهمته السرية على لسان شخص آخر.. وكانت مهمة يحيى أن يتتبع اللص ويراقب رد فعل الركاب ليجد محمد أحمد ضالته المنشودة.. كان رد فعل معظم الركاب لا يخرج عن ثلاثة: الضحك والسخرية من اللص.. أو عدم المبالاة التامة أو متابعة اللص بفضولٍ.. قام يحيى واللص بالتحرك بداخل ثلاث عربات من قطار المترو واستبعدوا بالطبع عربة السيدات من المعادلة وهكذا يكونون قد غطوا 5 عربات وتبقى 4 عربات فقط.. كانت خطة يحيى تعتمد

على هذا الأمر فقط.. كان يخشى كثيرًا ألا تنجح خُطَّتَه أو أن يكون محمد أحمد فطن اللي خطته ولم يقع بها أو أن اللص يسأم ويفض شراكته القصيرة تلك فجأة.. كانت معدته تضطرب كلما فكر بأي من تلك الاحتمالات السلبية ولكنه كان يحاول عدم التفكير بتلك الأمور والتركيز فقط مراقبة ردود أفعال الركاب.. استمر الأمر على هذا المنوال حتى وصلوا للعربة السابعة التي ركبوها بمحطة حدائق المعادي.. كان متبقيًا بعد تلك العربة عربتان أُخريين وتصيب مهمة الفشل الذريع.. تحرك اللص بين الركاب ولكن بهمة أضعف بكثير من السابق وواضح أنه شعر بالضيق وأحس أن السرقة أسهل بكثير من العمل بكد كبائع متجول.. أخذ يصيح بصوت قويٍّ ولكن بدون حماسة.. ..»أيوه ياهانم.. أيوه يابيه.. أبو مية بقى ربع جنيه ..

ولا يِنّ ولا دولار.. إحنا اللي فجَّرنا المترو بالأسعار..

لاتقولي ولاكحك ولا بيتي فور.. إحنا يابا اللي معانا السي فور..».. تحرك يحيى خلفه كالمعتاد وأخذ ينظر للركاب وردود أفعالهم وهنا شاهده بوضوحٍ.. بجسده النحيل ووجه الأسمر، يرتدي قميصًا وبنطالاً باللونً الأبيض والأسود ويحتضن حقيبة قماشية صغيرة.. ينظر إلى اللص بوجه محتقن مذعور.. شعر يحيى بالفرح الشديد عندما وجد هذا الرجل.. هل يكون هذا هو هدفه المنشود.. اقترب منه سريعًا ووقف أمامه وتحدث بصوت عالٍ..» محمد أحمد».. وهنا نظر الرجل إليه فزعًا وسأله بخوفٍ.. «إنت مين؟».. ابتسم يحيى بفرح وقام بمسك الرجل بقوة شديدة وصرخ بعلو صوته.. «حرامي.. أنا مسكت حرامي..».. فزع اللص الحقيقي

من فعل يحيى ووقف يراقبهم من بعيدٍ.. بينما محمد أحمد أخذ يصرخ على يحيى ويقاومه بشدة.. تجمع بعض الركاب لمحاولة معرفة الأمر فصرخ عليهم.. «ده حرامي.. سرَق موبايل واحدة سِتّ قُدَّامي وانا شُفته أنا والراجل ده..» وأشار بيده إلى اللص الحقيقي الذي ارتبك قليلاً ثم صدَّق على حديثه..»أيوه.. أيوه.. ده حرامي وشفته بيسرق فعلاً».. نظر له يحيى.. «قولهم.. قولهم إنك شُفته وهو بيسرق الموبايل أبو جراب وردي من البنت.. فتشه وانت تلاقي معاه الموبايل في جيبه».. وقف اللص مذهولاً من حديث يحيى بينما محمد أحمد أخذ يصرخ عليه ويُريد أن ينفلت من يحيى.. فصرخ يحيى على اللص.. «هتفتشه ولا أخلِّي حد تاني يفتشه».. صاح أحد الركاب..»أنا هفتشه».. هنا صاح اللص عليهم.. «لا.. أنا اللي هفتشه قدامكم أهو».. وببراعة شديدة أخرج الهاتف من ملابسه وقام بتفتيش محمد أحمد وأخرج منه الهاتف.. «أهو التليفون أهو.. كان سارقه الحرامي الغشاش».. نظر له يحيى مستنكرًا.. «فتشوا تاني هتطلع منه حاجات كثير كان سرقها لو ماطلعتهاش كلها هطلعها أنا».. ابتلع اللص ريقه بقلق.. «لا.. أنا هطلع منه كل المسروقات اللي سرقها ابن الرفضي ده..».. وأخذ يخرج من محمد أحمد جميع المسروقات التي سرقها هو ويضعها في ملابس محمد ويخرجها منه.. ومحمد أحمد يصرخ مصدومًا وهو لايدري كيف أتت إلى ملابسه كل تلك الأشياء.. هنا أمسك الركاب بخناق محمد أحمد وهم يتصارخون ويصيحون أنه يجب أن يتم تسليمه للشرطة.. ربت يحيى على كتف اللص بعد أن أرغمه على إعادة جميع المسروقات التي سرقها ثم وضع باقي الـ 500 جنيه في جيبه.. بينما أخذ اللص ينظر له بغيظٍ شديدٍ..

أمسكت جموع كبيرة من الركاب بمحمد أحمد وهموا عليه بالضرب والسب وسلموه للشرطة فسألهم أحد الضباط.. «إيه في إيه.. ماسكين الراجل ده ليه..».. صاح أحد الركاب الممسكين بخناق محمد أحمد.. «مسكنا حرامي ياباشا.. واحد من الركاب شافه وهو بيسرق وطلعنا منه الحاجات دي».. تحدث إليه الضابط مستفسرًا..» فين الشاهد اللي شافه بيسرق».. أجابه الرجل ثقة.. «موجود أهو ياباشا..».. ثم نظر حوله على يحيى فلم يجده.. وأخذ جميع الركاب يبحثون عنه فلم يجدوا له أثرًا.. ولكنهم شاهدوا اللص وهو يحاول أن يتسحب فشاوروا عليه.. «أهو ياباشا.. واحد تاني شافه وهو بيسرق أهو».. وقف اللص مصدومًا وبعض رجال الشرطة يقتربون منه ليستجوبوه بالحادث.. فتحدث اللص إلى نفسه مغتاظًا.. «عملتها فيها ولبستهاني..أخ يابن الـ..»..

يحيى يتحرك مسرعًا بين جموع المغادرين لمحطة المترو.. ركض على درجات السلم بفرحٍ شديدٍ كالطفل الصغير.. لفحه هوء الشارع ووصلت إلى مسامعه أصوات السيارات.. أخذ يبتسم وهو غير مصدقٍ بنجاح خطته وإتمامه لمهمته.. رنَّ هاتفه سريعًا فرفعه إلى أذنه ليجد صوت سامي يضحك..»برافو.. برافو عليك يا يحيى..».. ضحك يحيى رغمًا عنه عندما سمع مديح سامي له.. ولكنه تذكر وضعه فصمت في الحال.. فتابع سامي حديثه.. «بمناسبة نجاحك بمهمتك دي أنا عندي ليك خبر هيبسطك..».. يحيى مترقبًا.. «خبر.. خبر إيه..»

سامي مبتسمًا.. «المهمة الجاية دي هتبقى آخر مهمة ليك.. لو نفِّذتها بنجاح هترجع لمراتك وابنك على طول».. يحيى فرحًا.. «بجد.. إنت مش قُلت إن المهام في تلات أيام؟!»

يحي ضاحكًا.. «ماهو البركة في كفاءتك وشطارتك نفذت المهام كلها زي ما احنا عايزين.. ثم انت زعلان إنك هتقابل مراتك وابنك بدري.. إنت شكلك حبيت اللعب معانا ولَّا إيه» يحيى مرتبكًا.. «ايه.. إيه اللي إنت بتقوله ده.. أنا مفيش حاجة أهم في الدنيا عندي كلها زي رجوع مراتي وابني لي..».. سامي ملاحقًا: «هيرجعولك.. هيرجعولك.. بس بعد ما تنفذ المهمة الأخيرة».. أخذ يشيح يحيى بيده مغتاظًا.. «وطبعًا المهمة دي هتبقى مصيبة كبيرة.. أخطف طيارة مثلاً.. ولَّا أطلع بصاروخ على القمر..».. سامي ضاحكًا.. «هههههه.. لا.. لا ماتقلقش.. دي مهمة بسيطة جدًّا.. وفي نفس الوقت خطيرة جدًّا..».. يحيى قلقًا.. «يعني إيه.. مش فاهم..»..

«هتفهم.. هتفهم كل حاجة.. اطلع على العنوان ده 28 شارع محمود مختار.. شقة رقم 5 الدور الثالث.. هتلاقي مفتاح الشقة تحت مشاية الجزم.. أول لما توصل هناك كلمني.. يلا شد حيلك يا بطل.. كل ما تنفِّذ مهمتك بسرعة كل ماتبقى مع عيلتك أسرع.. سلام مؤقت»..

أغلق يحيى الهاتف وهو مضطرب متعرق.. وأخذ يفكر بحيرة: «إيه.. خلاص دي آخر مهمة.. يا ترى هيصدقوا معايا ويرجعولي سمر ومروان.. معقول.. معقول الكابوس ده هينتهي قريب.. مهمة واحدة وهبقى مع مراتي وابني.. طيب يا ترى المهمة دي هتبقى

إيـه.. ربنـا يسـتر.. ربنـا يسـتر».. تحـرك يحيـى جهـة إحـدى سـيارات الأجـرة وركبهـا..

****

توقفـت سـيارة الأجـرة أمـام أحـد المبـاني وهبـط يحيـى مـن السـيارة التـي انطلقـت مبتعـدة عنـه.. وقـف يتأمـل المبنـى أمامـه الـذي كان قديـمًا ولكنـه لا يخلـو مـن لمسـة معماريـة جميلـة تـم افتقادهـا تلـك الأيـام.. كان يحيـى مضطربًـا قلِقًـا فتجربتـه السـابقة مـع الشـقق التـي يدلـه عنهـا سـامي ليسـت بالجيـدة.. تفقَّـد محيطـه جيـدًا ولم يجـد أي كامـيرات بالمـكان.. كانـت المنطقـة راقيـة وهادئـة للغايـة ولا يمـر أحـدٌ منهـا إلا بسـيارته.. بحـث بعينيـه سريعًـا عـن حـارس العقـار فلـم يجـد أحـدًا.. تحـرك بترقـب بداخـل البنايـة وهـو حريـص للغايـة.. لم يسـتخدم المصعـد وصعـد عـلى قدميـه ثلاثـة طوابـق بأكملهـا.. اضطربـت أنفاسـه قليـلاً ولكنـه كان قـد وصـل إلى غايتـه بالنهايـة.. هاهـو يقـف أمـام بـاب شـقة رقـم 5.. أول شيءٍ فعَلَـهُ هـو البحـث عـن كامـيرات بالمـكان ولكنـه لم يجـد أحدهـم بالـدور بأكملـه.. تحـرك بالقـرب مـن البـاب ووضـع أذنـه عليـه ليسـتمع إلى أي صـوات خلفـه ولكنـه لم يجـد أيَّ أصـواتٍ أبـدًا.. سـحب مشـاية الأقـدام فوجـد مفتـاح بـاب الشـقة أسـفلها كـما أخـبره سـامي.. اقـترب ليمسـكه ولكنـه تراجـع مـترددًا، ثـم سـحب طـرف ملابسـه وأمسـك بهـا المفتـاح حتـى لا يضَـعُ بصمـةً عليـه تحسُّـبًا لأي شيء قـد نصبـه سـامي لـه بالداخـل.. فتـح البـاب بسـهولة شـديدة ثـم وضـع مفتـاح البـاب بجيبـه.. عندمـا دلـف إلى داخـل الشـقة اشـتعلت إضاءتهـا بالحـال فاضطـرب يحيـى وأخـذ يفتـش بعينيـه عمّـن أشـعل الإضـاءة فلـم يجـد أحـدًا أمامـه..

ألقى نظرة سريعة على محتويات غرفة المعيشة أمامه فوجدها غرفة ملائمة واسعة تحتوي على أثاثٍ راقٍ وباهظ الثمن.. أخذ يتفقد محتويات غرفة المعيشة دون أن يحاول لمس أي شيء بها حتى يعلم ما هي طبيعة مهمته هنا.. قام بالاتصال على سامي ولكنه وجد صوت هاتف يرن بصوت عالٍ بمكان ما بالشقة.. شعر بالاضطراب قليلاً مما يحدث ولكنه لم يتحرك من مكانه وظلَّ يتصل بسامي دون أن يجد ردًّا ومازال صوت الهاتف يصدر من مكان ما بالشقة.. وضع يحيى الهاتف بجيبه ثم تحرك بحرص جهة مصدر صوت رنين الهاتف ليجده يصدر من غرفة مغلق بابها.. وقف يحيى خلف الباب قلقًا ثم وضع أذنه بالقرب منه، ولكنه لم يجد إلا صوت رنين الهاتف الذي كان واضحًا للغاية.. حاول يحيى أن يفتح باب لغرفة ولكنه تراجع سريعًا ثم قام بفتحه بعد أن غطى يده بأطراف ملابسه وفتحه بهدوء ليرى الغرفة أمامه مكونة من سرير للنوم وبجوار السرير قطعتان من الكومود على أعلى قطعة الكومود على اليسار هاتف أرضي يرن بصوت عالٍ ومستمر ولم يكن هناك شيء غريب آخر بالغرفة إلا شيئًا واحدًا فقط.. كان موجودًا بالقرب من السرير مقعد خشبي قوي ويجلس فوقة شخص مقيد من يديه وقدميه، ورأسه مغطاة بقماشة سوداء وأخذ يتلوى ويتحرك بسرعة فوق المقعد وهو خائف بشدة ويصدر همهمات من خلف قطعة القماش التي فوق رأسه.. هذ المشهد جعله مضطربًا للغاية وهو لا يدري ماذا يحدث أمامه.. رنين الهاتف ظل يتعالى أكثر فأكثر دون أن يتوقف.. يحيى نظر للهاتف للحظات ثم أخذ ينظر للرجل المقيد وهو لا يعلم ماذا يفعل.. ولكنه تحرك جهة الهاتف وهو ينظر للرجل المقيد بشفقة ثم

أمسك الهاتف بعد أن وضع طرف ملابسه على يده ورفع سماعة الهاتف دون أن يتحدث وفضل أن يستمع إلى الطرف الآخر أولا وهنا وجد صوت شخص اعتاد على سماعه.. إنه بكل تأكيد صوت سامي فكري يحدثه من الهاتف الأرضي ولم يمهله أي فرصة للحديث حيث ظل يتحدث هو بصوت هادئ وواثق.. «عارف يايحيى.. على الرغم من إن في 7 مليار بني آدم في العالم مختلفين في كل شيء تقريبًا.. الديانات والأعراق والثقافات حتى في الأجسام واللغات.. تقريبا مغايرين لبعض في كل شيء ماعادا حاجة واحده بس.. مشاعرهم.. المشاعر مابتفرقش ما بين شخص وشخص ما بين غني وفقير.. ما بين راجل وست.. مهما كنت انت مين أو عايش فين هتاخد حقك كامل من المشاعر.. سواء كانت ضحك وسعادة.. أو دموع وحزن.. المشاعر مابتظلمش حد.. عادلة جِدًّا.. تكاد تكون هي الشيء الوحيد العادل في العالم ده.. علشان كده من حق مشاعرنا علينا زي ما بتعاملنا بعدالة وإنصاف.. إن إحنا كمان نعاملها بعدالة وإنصاف..ماينفعش نستخبى منها.. ندفنها جوانا.. ننكر وجودها مع إنه فاضحنا كلنا بلا استثناء.. مهما حاولنا نغطي وشوشنا بمشاعر مزيفة بنقتل بيها مشاعرنا الحقيقية.. بنظلم الشيء الوحيد اللي العادل معانا.. مثلاً أنا لو سألتك مشاعرك إيه من ناحيتي يا ترى هترد وتقولي إيه؟».. يحيى بضيقٍ شديدٍ.. «هردّ وأقول إني بكرهك.. بكرهك جدًّا.. ونفسي أشوفك قدامي علشان أقطعك بسناني».. هنا ضحك سامي وهو يصفق بيديه.. «جدع يا يحيى.. برافو.. برافو.. ده اللي أنا بتكلم عليه.. من الظلم إنك تخفي مشاعرك.. إنت بتكرهني.. وبتظهر مشاعرك الحقيقية أهو.. وانا كمان هظهرلك

مشاعري الحقيقية.. على الرغم من إنك بتكرهني ولكني أنا مشاعري الحقيقية إني بحبك.. علشان كده اخترتك للمهمة.. علشان أثبتلك مشاعري الحقيقية ليك..».. يحيى ساخرًا.. «مشاعر إيه.. إنت مش عارف إني متجوز يا سامي».. ضحك سامي بشدة.. «هههههه.. حلوة يا يحيى.. حلوة.. ولكن ولا الجواز ولا الأولاد ولا الفلوس تقدر تمنعك إنك تظهر مشاعرك.. وعلشان كده دي آخر مهمة ليك.. إنك تظهر مشاعرك.. افتح الدرج اللي عندك يا يحيى».. يحيى نظر الكومود أمامه فوجد أحد الأدراج به.. قام بفتحه بطرف ملابسه أيضًا.. ليجد بداخله سلاحًا ناريًّا مزودًا بكاتم للصوت وقفاز طبي لليد أخضر اللون.. نظر يحيى للسلاح الناري خائفًا فصرخ على سامي غاضبًا: «إيه ده.. إنت عايزني أعمل إيه؟».. ضحك يحيى ساخرًا.. «ههههه.. عايزك تظهر مشاعرك الحقيقية».. يحيى مرتابًا.. «يعني عايزني أعمل إيه مش فاهم قصدك».. تنهد سامي بقوة.. «ااااه.. لسه مصر إنك تخبي مشاعرك يا يحيى.. أنا مش سألتك من شوية لو أنا قدامك دلوقتي هتعمل إيه قولتلي إنك هتقطعني بسنانك.. فرصتك جت لك لحد عندك أهي».. وقف يحيى مصدومًا.. «إنت هنا.. إنت هنا فين؟».. ضاحكًا.. «هكون فين.. معاك في الأوضة هنا..».. نظر يحيى مندهشًا «في الأوضة فين.. مفيش حد هنا معايا غير...».. ثم نظر إلى الرجل المقيد على المقعد.. وهنا ضحك سامي..»أيوه بالظبط أنا اللي متكتف وقاعد على الكرسي.. مهمتك سهلة وبسيطة ومسهلها عليك خالص.. هتموتني بالمسدس اللي معاك وبعد ما تضربني بالنار هتلاقي رسالة وصلتلك بمكان ابنك ومراتك..».. يحيى ينظر له وهو على المقعد مندهشًا..

«إيه اللي انت بتقوله ده.. إنت عايزني أموتك ليه.. إنت مجنون ولّا إيه؟».. سامي ضاحكًا.. «لا أنا مش مجنون.. أنا لي أسبابي علشان أطلب منك الطلب ده.. يلا يا بطل حقق انتقامك مني وانقذ مراتك وابنك».. أخذ يحيى ينظر إلى الرجل فوق المقعد وهو يفكر متحيرًا.. «إيه اللي بيحصل؟ معقول يكون ده سامي.. ولو هو، عايزني أموته ليه؟.. لا.. لا.. في حاجة مش طبيعية..».. هنا قاطع تفكيره صوت سامي وهو يحدثه من جديد.. «مالك يا بطل.. شكلك مش عايز ترجع لمراتك وابنك ولا إيه.. رصاصة واحدة وكل مشاكلك هتخلص».. هنا قام يحيى بسرعة بغلق الهاتف بوجه سامي وجلس على السرير يفكر بحيرة وهو ينظر إلى السلاح الناري الذي التقطه من الدرج.. ومن ثم ينظر إلى الرجل المقيد على المقعد بجواره . هنا رن الهاتف ثانية ولكن هذه المرة فتح مكبر صوت الهاتف بمفرده ليظهر صوت سامي يُحدِّثه من جديد وهو يضحك: «هههههه شكلك لسه بتخادع نفسك وبتخون مشاعرك يا يحيى.. عمومًا.. علشان خاطر تبقى مشاعرنا أصدق.. شيل القماشة من على راسي وخلينا نتكلم وجهًا لوجه أحسن».. هنا نظر يحيى للرجل المقيد ثم تحرك ببطء جهته ومن ثم نزع القماشة من على رأسه وهنا شاهده أمامه بوضوح.. ولكم كانت صدمته حينها.. إنه ينظر له الآن وبعيون ممتلئة بالحقد.. إنه ليس سامي فكري كما كان يعتقد.. إنه شخص أسوأ من ذلك بكثير.. هنا أمسكه يحيى بقبضته غاضبًا بشدة.. حينها صدر صوت سامي من الهاتف خلفه وهو يضحك بشدة.. «ههههه.. تعرف يا يحيى.. الإنسان ممكن ينسى حد ساعده قبل كده.. ولكن عمره ما ينسى أبدًا..

حـد أشـقاه.. عمـرك شـفت في حياتـك حـد سـخَّر كل وقتـه ومجهـوده علشـان يكافـئ حـد سـاعده.. ولكـن شـفت بالتأكيـد إن في نـاس بتبـذل كل جهدهـا وقوتهـا وتكـرس حياتهـا كلهـا مـن أجـل الانتقـام.. أشـهر الروايـات والأفـلام في العـالم مـش الـلي بتكلـم عـن الحـب والسـعادة ولكنهـا الـلي بتكلـم عـن الانتقـام.. النـاس كل يـوم بتمـوت في الحـروب وبيتحولـوا لأبطـال علشـان خاطـر كانـوا بينتقمـوا مـن نـاس ماتـوا قبلهـم كانـوا بينتقمـوا لنـاس ماتـوا قبلهـم بـردو .. بقـوا أبطـال ويتعمـل بإسـمهم مـدارس وميادـين ويشـار إليهـم بالبنـان.. كل ده علشـان إيـه.. علشـان الانتقـام.. الانتقـام يـا يحيـى هـو شـيم العظـام.. فرصتـك.. فرصتـك جاتلـك علشـان تظهـر مشـاعرك وتنتقـم مـن فـؤاد عـلام.. صاحبـك الـلي خانـك مـن خمـس سـنين».. أخـذ ينظـر يحيـى إلى وجـه فـؤاد عـلام صديقـه السـابق وهـو ينظـر لـه وملامحـه باديـة عليهـا الخـوف وفمـه مغطـى بشريط لاصـق.. أخـذ يحيـى ينظـر إليـه غاضبًـا وهـو يجـز عـلى أسـنانه بضيـقٍ.. بينـما صـوت سـامي خلفـه يحدثـه.. «فـؤاد عـلام الـلي ضحـك عليـك وكان بيوهمـك إنـه صاحبـك كل السـنين الـلي فاتـت.. وأول ماجتلـه فرصـة طعنـك.. باعـك لشركـة سـماركو بتاعـة الأدويـة وضيـع منـك حلمـك بعقـار التريبفـون الـلي كنـت هتقلـب بيـه العـالم كلـه واسـمك يـتردد بـين الجميـع.. قاعـد يتنعـم بفلوسـك وانـت ماكنتـش لاقـي تعمـل عمليـة تنقـذ بيهـا قلـب ابنـك..».. حديـث سـامي أشـعل النـيران بـرأس يحيـى وهـو يتذكـر كل الـذي لاقـاه عـلى يـد فـؤاد عـلام مـن قبـل.. بـدأ يعلـو تنفسـه وجسـده يسـخن والدمـاء تشـتعل بعروقـه .. أخـذ سـامي يتابـع حديثـه ليحيـى.. «والـلي انـت ماتعرفـوش إن صاحبـك وحبيبـك ده اتقـدم لسـمر مراتـك 3 مـرات وانـت خاطبهـا وكان بينقلهـا كلام عنـك

إنك شخص وسخ وبتاع نسوان وهي تتخانق معاك وتعمل مشاكل من غير سبب وانت كنت بتستغرب.. أديك عرفت من السبب في كل ده.. حتى اللحظة اللي انت فيها دلوقتي.. كانت بسبب فؤاد علام.. لولا اللي عمله فيك عمرك ماكان هيحصلك حاجة زي دي أبدًا..».. اشتعلت نيران الغضب بنظرات يحيى ولهيب الانتقام بدأ يزهر بين ضلوعه..».. سامي بصوتٍ ماكرٍ وخَدَّاع.. «فرصتك جَتْلَك يا يحيى.. فرصتك جَتْلَك.. مهمتك الأخيرة دي مكافأة مننا ليك.. اقتل فؤاد علام.. خلِّيه يختفي من الوجود وهتنجح وتروح لمراتك وابنك.. وتخلص من عدوك اللدود..».. تشرب يحيى بحديث سامي السام ورفع سلاحه فوق رأس فؤاد علام الذي نظر له بتحدٍّ ولم يبدِ أي مقاومة.. عاد صوت سامي فكري وهو يتحدث بنبرة هادئة ومنخفضة.. «اقتل فؤاد يا يحيى.. اقتل فؤاد».. ارتعشت يد يحيى وهو يرفع سلاحه الناري فوق رأسه للحظات ولكنه صرخ بصوت سامي خلفه.. «مش هموته.. مش هموته من قبل ما أديله فرصة يدافع عن نفسه.. يشرحلي هو عمل كده ليه».. ثم سحب الشريط اللاصق من على فم فؤاد علام بعنف.. تألم فؤاد بشدة وأخذ يتحدث إلى يحيى بتحدٍّ.. «إيه الجنان اللي بتعمله ده يا يحيى.. بتخطفني وبتعمل الفيلم ده كله ليه.. إنت مش عارف أنا ممكن أعمل فيك إيه».. شعر يحيى بالغضب الشديد وصرخ على فؤاد وهو يرفع سلاحه على رأسه من جديد.. «اسكت خالص.. اسكت.. أنا مش عايز أسمع منك غير السبب.. ليه خنتني؟.. أنا عملت معاك إيه وحش لِدَه كله.. بعت حلمي ودمرت مستقبلي وخلِّيت سمُعتي زي الزفت بين زملائي وشهرت بى.. ليه كل ده.. أنا كنت شايفك

صاحبي الوحيد.. كنت بأتمنك على كل أسراري ولما قررت أنفذ حلمي وأعمل عقار التريبفون علشان أنقذ بيه ملايين الناس أول واحد فكرت فيه انت.. علشان تشاركني حلمي وشهرتي.. علشان انت صاحبي واخويا.. كان ممكن أختار ألف واحد أذكى وأشطر منك ورفضت عروض كثير جدًّا من علماء وأجانب.. سِبت كل دول واخترتك إنت.. ليه عملت كده يافؤاد.. إديني سبب واحد بس وانا هسامحك».. صمت فؤاد قليلاً ثم دمعت عيناه وأخذ يحدث يحيى بضيقٍ شديدٍ: «عايز تعرف أنا عملت كده ليه يا يحيى.. عايز تعرف أنا عملت كده ليه.. أنا هقولك.. عملت كده علشان بغير منك.. دايمًا.. دايمًا إنت أحسن منّي.. مهما أذاكر وأتعب بالشهور.. إنت تذاكر في يومين وتجيب تقدير أعلى منّي.. مهما كنت أحاول أظهر كويس قُدَّام الناس وأحسِّن من نفسي ألاقي كل ده اتدمر أول لما تظهر انت ويقارنوني بيك.. أهلي بيعايروني بنجاحك كل لما يشوفوني ويحسسوني إني فاشل وماليش لازمة.. بتقول واخدني صاحب.. إنت كنت معتبرني تابع بتقوله يعمل الحاجة وهو ينفذها من غير نقاش.. حتى لما فكرت تعمل التريبفون اخترتني علشان تبقى ضامن إن مفيش حد يفهم الصيغ والمعادلات بتاعته ويسرقها منك.. اخترتني علشان كنت فاكرني أغبى واحد من الموجودين اللي مش ممكن أبدًا يسرق منك سر التركيبة.. عشت حياتي كلها بقهر وأنا بتقارن بيك غصب عنِّي علشان اتولدت لقيتك ساكن جنبي.. حتى البنت الوحيدة اللي حبتها.. سمر بنت الجيران.. سابتني واختارتك انت.. كل ده ومش عايزني أكرهك.. ده أنا بكرهك من كل قلبي.. كل ثانية بشوفك فيها قلبي بيتقطع لما أعرف أن سمر

هتبقى ليك.. أول فرصة جاتلي علشان أبيعك انتهزتها وخدت
فلوس تعيّشني ملك لباقي عمري.. ولولا إن شركة سماركو عملت
تسوية معاك غصب عني كنت سِبتك مرمي زي الكلب في السجن
لحد دلوقتي..».. شعر يحيى بالصدمة الشديدة من كلام صديقه
فؤاد.. لم يكن يعلم أبدًا أن كل تلك المشاعر السلبية بداخله.. شعر
بالحيرة الشديدة والغضب بآنٍ واحدٍ ..فصرخ عليه غضبًا..
«اسكت.. اسكت.. ماتتكلمش أكثر من كده.. أنا حايش إيدي عن
روحك بالعافية..».. أخذ يحدثه فؤاد بتحدٍّ وهو يضحك.. «موِّتني..
موتني يا يحيى.. تعرف لو موتني دلوقتي مش هتضايق.. لأنك
بكده هتروح في داهية.. وهتسيب سمر ومش هضطر أفكر فيها كل
يوم وهي في حضنك.. اقتلني مش مهم.. مادام كده كده هدمرك
معايا..».. نظر له يحيى صامتًا للحظات ودمعت عيناه بشدة ولكنها
مسحها وأخذ يتصنع القوة.. «أقولك أكتر حاجة مضايقاني وحارقة
قلبي.. إني لغاية دلوقتي لسه بعتبرك صاحبي الوحيد المقرب..
وكلامك ده دمرني من جوايا وخلاني أشوف الدنيا سودا.. أنا حزين
جدًّا جدًّا.. لأن الشخص اللي بحبه زي أخويا يتغير ويبقى أسود من
جوه.. أنا مش زعلان علشان انت بقيت وحش كده.. أنا زعلان
علشان انت بقيت كده بسببي أنا.. مهما كرهتني يافؤاد أنا ما
أقدرش أكرهك..».. وهنا قام يحيى بفك وثاق فؤاد الذي كان
مذهولاً من حديث يحيى له.. لقد كان يتوقع أن يواجهه يحيى
بكراهية مثل كراهيته ولكن لم يتوقع أبدًا أن يسامحه هكذا.. دمعت
عينا فؤاد على الرغم عنه وتحاشى النظر بعيني يحيى وتحرك إلى خارج
الغرفة ولكنه استدار للحظات.. «تعرف يا يحيى على الرغم من اللي

انت عملته معايا ده.. لكن لو رجع بيا الزمن هبيعك وأختار الفلوس بردو ..».. ثم تحرك إلى خارج الشقة وغادر.. وأخذ يحيى يمسك رأسه مصدومًا مِمَّا حدث.. قبل أن يعيده صوت سامي الذي كان غاضبًا.. «إنت عملت إيه يا يحيى.. إنت سِبته يمشي.. إنت اتجننت».. صرخ عليه يحيى بغضبٍ.. «عايزيني أعمل إيه.. أنا عمري ما هبقى قاتل أبدًا مهما عملت..»..

«يعني تضحي بنجاح مهمتك وفرصتك إنك ترجع مراتك وأبنك علشان خاطر واحد خاين زي ده باعك واختار الفلوس وكان سبب سجنك وشقاك لغاية دلوقتي..».. صرخ عليه يحيى يائسًا.. «مهما تقول يا سامي.. مهمها هتقول.. أنا عمري ما هضر فؤاد.. ولا عمري هابقى قاتل.. «..

هنا صمت الجميع للحظات.. وهذا الصمت جعل يحيى يخشى الأسوأ.. فأمسك سماعة الهاتف بسرعة وأخذ يتحدث بترجٍّ.. «سامي.. أرجوك يا سامي.. أنا مستعد أعمل أي حاجة إلا القتل.. أرجوك قولّي على مهمة تاني.. عشر مهمات.. عشرين مهمة اللي انت عايزه كله بس أرجوك ما تئذيش مراتي وابني».. هنا جاءه صوت سامي سريعًا: «إنت كان ليك مهمة محددة أخيرة.. مانفذتهاش.. المهمة فشلت.. جيم أوفر».. أخذ يحيى يصرخ يائسًا.. «لا يا سامي.. لا يا سامي.. أرجوك.. أنا مستعد أعمل أي حاجة.. هعمل أي حاجة بس ماتئذيش مراتي وابني أرجوك».. هنا حدثه سامي بنبرة مستنكرة».. مين اللي هيئذي مراتك وابنك».. يحيى مرتابًا.. «يعني إيه.. أنا مش فاهم حاجة»..

«مراتك وابنك في أمان تام».. يحيى مستنكرًا.. «أمان تام ازاي.. فهِّمني..»

مبتسمًا: «يعني مراتك وابنك من ساعة ماخرجوا من المستشفى وهما عند أختها في الوراق..»

يحي مصدومًا.. «إيه.. عند أختها.. عند أختها ازاي..»..

سامي ضاحكًا: «ههههه.. عند أختها زي الناس.. مروان خرج من المستشفى وروحنا مراتك لأختها علشان تتابع من عيادة دكتور هناك قريب من بيت أختها.. ده المبرر اللي أقنعنا بيه مراتك»..

يحي مصدومًا: «يعني أنا مراتي وابني كانوا في أمان طول الفترة دي كلها وانت بتستغلهم علشان تخليني لعبة في إيدك..»..

أخذ يضحك سامي بشدة.. «ههههه ..ههههه.. بالظبط كده.. هو ده اللي حصل..»

أخذ يضرب يحيى سماعة الهاتف بغضبٍ شديدٍ على الكومود..«اخ ياولاد الكلب.. أخ ياولاد الكلب.. كل ده وبتلعبوا باعصابي.. كل ده ياولاد الكلب..»

أجابه سامي بصوت هادئ.. «إهدا يا بطل.. إهدا علشان أعصابك..».. يحيى صارخًا عليه بالهاتف.. «أهدا إيه.. إنت كنت هتخليني أقتل أعز اصحابي من شوية.. كنت هتخليني قاتل وكل ده على الفاضي.. إنت بتعمل فيه ليه كده.. إنت بتعمل فيه كده ليه..»

مبتسمًا بسخرية.. «للأسف يا يحيى.. مش هتعرف السبب ده أبدًا..».. يحيى غاضبًا وبتحدٍّ شديدٍ.. «هعرف يا سامي.. هجيبك من تحت طقاطيق الأرض.. وهعرف منك السبب وهطلع على

عينيك كل اللي انت عملته فيا».. ابتسم ساخرًا.. «أفهم من كلامك إن ده تحدي..»

«أيوه ياسامي وانا مش هسيبك أبدًا.. كنت بتلعب بيا كل الوقت ده.. جه الوقت اللي أقلب عليك اللعبة.. «..

بثقة شديدة: «وانا قبلت التحدي يا يحيى.. بكرة هيبقى آخر يوم أنا موجود فيه في مصر.. لو وصلت لي فيه هقولك على كل حاجة وكنت بعمل معاك كده ليه.. لكن لو ماقدرتش يبقى هتعيش طول عمرك ومش فاهم اللي حصلك..»..

يحيى بثقة شديدة.. «هوصلَّك يا سامي.. خليك واثق في كده..»

سامي بهدوءٍ شديدٍ.. «وانا مستنيك.. يحيى كامل.. مهمتك الأخيرة.. إنك تمسكني..».. ثم قطع المكالمة في الحال.

****

سمر جالسة مع أختها بمنزلها يتابعون أحد المسلسلات الأجنبية ولكنهم لايعيرونه أيَّ اهتمام وانشغلا بحديث شيق فيما بينهما.. رن هاتف سمر فجأة فوق المنضدة أمامها فسحبته لترى رقمًا غير مسجل على هاتفها.. حدثت أختها متسائلة.. «رقم مش معروف بيكلمني ياهدى»..

«ردي عليه يمكن يكون جوزك».. سمر بترقب.. «يارب يا هدى يكون هو».. ثم وضعت الهاتف على أذنها سريعًا.. «ألو».. التقطت أذنها صوت يحيى بالحال.. «ألو يا سمر».. شعرت سمر بالفرح الشديد وأخذت تشير إلى أختها.. «هو ياهدى.. هو..».. ابتسمت لها أختها بالحال وتابعت سمر حديثها.. «إنت فين يا يحيى.. قلقتني

عليك.. مش عارفة أوصلك خالص وانت ما اتصلتش بيا.. حتى أصحابك اللي كانوا بيطمنوني عليك مش عارفة أوصلهم..»

«أنا الحمد لله بخير يا سمر.. طمنيني بس.. إنتي فين إنتي ومروان دلوقوتي؟»

«إحنا عند أختي هدى.. الدكتور سامي الله يكرمه قبل ما يسافر اتفق مع عيادة قريبة من بيت هدى علشان يبقى سهل علينا نتطمن على مروان ومانتبهدلش في المواصلات».

يحيى مغتاظًا.. «آه سامي.. ما هو أنا هكافئه جدًّا لما أشوفه.. كل الخير اللي عمله معايا هرده ليه أضعاف مضاعفة.. المهم طمنيني على مروان.. عامل إيه بعد العملية؟»

«مروان الحمدلله بقى زي الفل.. العملية نجحت وهو في نقاهة دلوقتي.. كتبولي شوية إرشادات نمشي عليها في البيت وهيبقى كويس جدًّا وبعد كمان شهر هيقدر يلعب ويجري تاني زي باقي الولاد..».

بسرور شديد: «طيب الحمد لله.. ألف حمد وشكر ليك يا رب.. ألف حمد وشكر ليك.»

بقلق: «إنت فين يا يحيى.. إنت وحشني قوي.. مش هتيجي علشان تشوف مروان؟!»

«هاجي.. هاجي طبعًا ياسمر.. هو يوم واحد.. إدعيلي ربنا يوفقني فيه.. يوم واحد بس وبعد كده هنبقى مع بعض على طول.. عايزك تدعيلي قوي يا سمر.. أنا محتاج لدعاكي قوي..»

«ربنا يوفقك ويكرمك ياحبيبي.. ربنا يجعلك في كل خطوة سلامة ورزق..»

«يارب يا سمر.. ربنا يتقبل منك..».. «أختي هدى بتسلم عليك صحيح..»

«الله يسلمها.. قوليلها يحيى بيشكرك جدًّا على تعبها معاكي انتي ومروان..»

مبتسمة.. «بتقولك لا شكر على واجب.. وهي مستنياك علشان تعملك صينية البطاطس بالسجق اللي بتحبها».. مبتسمًا: «ماشي يا سمر.. أنا هضطر أقفل معاكي دلوقتي.. ماتتصليش على الرقم ده خالص.. دي نمرة واحد زميل واحد صاحبي.. وهديله تليفونه دلوقتي.. وانا بكرة هابقى أجيلك بنفسي.. ماشي..»

«حاضر.. حاضر يا حبيبي.. أنا مستنياك على نار.. إنت وحشتني أوي..»

يحيى مبتسمًا.. «وانتي كمان وحشتيني قوي.. قريب جدًّا هتبقي في حضني من تاني إنتي ومروان.. هضطر أقفل دلوقتي.. لا إله إلا الله..»

«محمد رسول الله.. ترجعلنا بالسلامة ياحبيبي..»

«الله يسلمك ياحبيبتي.. سلام».. ثم أغلق الهاتف.. وضعت سمر بضيق الهاتف على المنضدة أمامها.. فسألتها هدى عما يضيرها.. «مالك ياسمر.. شكلك متضايق بعد المكالمة ليه؟».. سمر بقلق.. «مش عارفه ياهدى.. صوت يحيى مش مريحني.. شكله في حاجة بتحصل معاه ومخبيها عني..»

«ليـه بـس يابنتـي.. مـش لسـه مكلمـك وكان الحمـد لله كويـس.. هتقعـدي تتخيـلي حاجـات تقلقـك ليـه بـس..»

بضيـق.. «ياهـدى ده جـوزي وانـا حفظـاه.. هـو أنـا هتـوه عـن جـوزي.. فيـه حاجـة يحيـى مخبيهـا عليـا.. بـس هـو متعـود يحكيـلي كل حاجـة.. مـش عارفـه إيـه الـلي جـد المـرة دي..»

«ياشـيخة مفيـش حاجـة.. إنتـي بـس متهيألـك علشـان بعيـد عنـك بقالـه كام يـوم وانتـي خـلاص.. ههـه.. اتعـودتي تبقـي في حضنـه..».. أخـذت تضحـك سـمر بـدلالٍ.. «بطـلي يابـت بقـى.. ماتكسـفنيش».. ضحكـت هـدى عـلى رد فعلهـا.. «لا يابـت.. ماهـو انتـي وش كسـوف.. وحشـتني يـا يحيـى.. مـش هتيجـي بقـى.. كان ناقـص تبوسـيه في التليفـون ولا كأني قاعـدة».. وقفـت سـمر وهـي خجلـة.. «إنتـي شـكلك فايقـة ورايقـة وانـا مـش ناقصاكـي.. أنـا هخـش أتطمـن عـلى مـروان جـوه».. ثـم انسـحبت تركـض بخجـل وظلـت هـدى تضحـك عـلى رد فعلهـا..

****

اقـترب الليـل مـن منتصفـه ولكـن عـلى الرغـم مـن ذلـك كان زحـام المـارة والسـيارات يتعـالى بـكل كفـاءة وقـوة.. أمسـك يحيـى بهاتفـه وأخـرج منـه شريحـة الهاتـف وحطمهـا.. ثـم أمسـك ببطاريـة الهاتـف وألقاهـا بعيـدًا ثـم ألقـى الهاتـف بالجهـة الأخـرى.. وقـف أمـام أحـد متاجـر الملابـس الشـهيرة وأخـذ ينظـر إلى قطـع الملابـس بالفاترينـات وهـو يُحدِّث نفسـه.. «طـول الأيـام الـلي فاتـت دي وانـا كنـت لعبتـك ياسـامي.. دلوقتـي جـه وقتـي علشـان أردلـك بـدل القلـم 100..».. ثـم دلـف إلى داخـل متجـر الملابـس فتلقـاه العامـل بالمتجـر مبتسـمًا.. «أهـلا وسـهلاً.. نـورت المحـل».. «منـوَّر بيـك..»

« بتدوَّر على إيه.. بنطلون ولا تي شيرت ولا قميص؟»..

«أنـا عايـز كلـه.. بنطلـون وقميـص وملابـس داخليـه».. البائـع مبتسـمًا.. «كلـه كلـه.. تمـام جـدًّا.. في دماغـك حاجـة معينـة؟».. «يحيـى مبتسـمًا..»لا أنـا عايـزك انـت تختـارلي كل حاجـة ومـش مهـم السـعر».. ابتسـامة البائـع مـلأت وجهـه.. «عيـوني يافنـدم.. هجبلـك أحـلى حاجـة في المحـل».. تحـرك البائـع وهـو يقطـع المتجـر ذهابًـا وإيابًـا ويختـار بعـض الملابـس فوقـف الأرفـف.. أخـذ يحيـى يتابعـه للحظـات ثـم نظـر إلى كامـيرا المراقبـة الموضوعـة فـوق مكتـب الكاشـير بتحـدٍّ.. عـاد إليـه البائـع سريعًـا وهـو يحمـل بعـض الملابـس.. «اتفضـل أهـو يافنـدم.. اخترتلـك أحسـن حاجـة في المحـل.. قيسـهم براحتـك في البروفـة وشـوف الـلي يناسـبك فيهـم ولـو في حاجـة في المقـاس مـش مريحـاك نغيرهـا».. ابتسـم يحيـى وهـو يتحـرك معـه.. «مـاشي».. اتجـه الاثنـان إلى مـكان صغـير بالمتجـر مغلـق مجهـز لقيـاس الملابـس.. دلـف يحيـى وهـو يحمـل بعـض قطـع الملابـس ثـم أغلـق البـاب خلفـه.. نظـر بتحـدٍّ للمـرأة الكبـيرة أمامـه التـي تعكـس صورتـه وهـو يفكـر بعمـق وهـو ينـزع ملابسـه..» مـن أول لمـا سـامي دخـل عـلى الخـط مـع مكالمتـي للظابـط ياسـين وأنـا قُلـت يبقـى هـو مخـترق تليفـوني.. علشـان كـده عملـت مكالمـة للنجـدة مـن تليفـون النقـاش القديـم الـلي قابتلـه صدفـة وكنـت هتجنِّـن لمـا كلمنـي مـن عـلى تليفونـه بالـذات لأن ماكانـش في كامـيرات مراقبـة موجـودة سـاعتها.. وهنـا اتأكـدت إن التليفـون مـش متراقـب ده أكيـد أنـا الـلي متراقَـب.. أكيـد حاطـط سـامي في هدومـي جهـاز تتبـع أو ميكرفـون في تتبـع ومخدتـش بـالي.. أنـا ماقدرتـش أبـين اني عرفـت كـده سـاعتها علشـان كنـت هسـتخدم المعلومـة دي ضدهـم ولكـن بـما إن اللعبـة خلصـت

يبقى لازم أختفي عن عيونهم تماما علشان أقدر أهاجمهم من غير مايعرفوا».. أخذ يحيى يزيح ملابسه قطعة قطعة وهو يبحث عن أي مايكرفون صغير ولكنه لم يجد.. شعَرَ بالحِيرَة.. هو متأكدٌ أنَّهم يراقبونَهُ عن طريق جهازٍ صغيرٍ.. أخذ يمسك حذاءه ويفتِّشه بعنايةٍ.. هنا سَمِعَ صَوتَ البَائِعِ من خلف الباب.. «إيه يا افندم في حاجة أساعدك بيها؟».. أجابه يحيى سريعًا: «آه ياريت تجيبلي جزمة من عندك أو من محل جنبك مقاس 43..».. البائع مستفسرًا.. «عايز جزمة.. طيب تحب لون معين أو شكل معين؟».. أجابه يحيى سريعًا وهو يُمزِّق حذاءه ويفتش بداخله..«لا.. أي حاجة على ذوقك».. البائع مبتعدًا.. «هتجيلك حالاً يا افندم..».. قام يحيى بتمزيق أحذيته وأنعالها وعلى الرغم من ذلك لم يجد شيئًا..».. «إزاي ده.. مفيش حاجة في الهدوم وفي الجزم..».. هنا نظر إلى جسده العاري بالمراءة.. «ممكن يكونوا حطولي جهاز تتبع بميكرفون تحت الجلد؟».. وأخذ ينظر إلى ساعديه بالمرآة وفي ظهره ويبحث بين خصلات شعره».. ثم سمع صوت البائع يطرق على الباب.. «جبتلك الجزمة يافندم.. على الله تعجبك ولو ماعجبتكش أغيرهالك حالاً».. قام يحيى بإخراج رأسه من الباب وابتسم إلى البائع وهو يأخذ منه الحذاء.. «متشكر قوي».. ثم أغلق الباب سريعًا..

بعد نصف ساعة كان يحيى واقفًا بداخل المتجر بملابس جديدة للغاية وحذاء جديد ووقف أمام البائع مبتسمًا..»الحساب كام».. ابتسم البائع وفرك يديه..»1200 جنيه يافندم».. ابتسم يحيى وهو يناوله النقود..»آدي 1500 جنيه ثمن الحاجة والباقي علشانك»..

ابتسم البائع فرحًا «تسلم يافندم.. كلك ذوق والله».. تحرَّك يحيى إلى خارج المتجر فنادى عليه البائع..»استنى يافندم...».. توقف يحيى ليستمع إليه فذهب إليه البائع وهو يحمل ملابسه القديمة.. «الحاجات دي انت نسيتها في البروفة يافندم».. ابتسم له يحيى.. «مش عايزها.. ارميها.. احرقها.. إعمل فيها اللي انت عايزه.. «ثم تركه وانصرف سريعًا.. إلى خارج المتجر..

لمح من بعيد كشكًا صغيرًا للسجائر فتحرك جهته وسأل بائعه.. «لو سمحت ممكن أعمل تليفون؟».. أخرج له البائع هاتف محمول مربوطًا بسلسة طويلة.. «اتفضل».. أمسك يحيى بالهاتف وضغط على بعض الأرقام، ثم تحدث سريعًا.. «الو.. كايرو فيجن.. لو سمحتم ممكن أحجز عندكم ميعاد بكرة الصبح..»

****

الساعة التاسعة صباح اليوم التالي ..

يحيى كان واقفًا أمام جهاز معدني بسرير كبير أسفله ويرتدي ملابس المرضى الخضراء ويقف أحد الأطباء أمامه يحدثه».. كده كملنا كل التحضيرات.. بس سؤال أخير حضرتك مركب منظم قلب أو أي مسامير بجسمك».. «لا يا دكتور مش مركب أي حاجة من دول..».. الطبيب يومئ له برأسه.. «تمام جدا.. اتفضل استريح على الجهاز».. يحيى وضع جسده على الجهاز وتوجه إلى الطبيب بسؤال.. «هو يا دكتور الرنين المغناطيسى ده هيكشف أي حاجة جوه جسمي.. أي جسم غريب هيبان؟».. الطبيب مطمئنًا.. «أكيد طبعًا ماتقلقش.. لو في أي حاجة في جسمك هتبان في الأشعة».. «طيب

ممكن أستلم الأشعة دي بعد قد إيه.. أنا مستعجل عليها جدًّا..».. الطبيب مجاوبًا.. «نصف ساعة وهتجيلك النتيجة إن شاء الله..».. يحيى مبتسمًا.. «طيب تمام جدًّا».. استلقى يحيى مسترخيًا على الجهاز ثم دلف بداخله بعد أن قام الطبيب بالضغط على أحد الأزرار.. وبدأ الجهاز بإصدار صوت قوي..

بعد نصف ساعة تقريبًا كان يجلس يحيى ببهو مركز الأشعة وأتى إليه طبيب سريعًا يحمل ملف بيده.. «أستاذ يحيى.. اتفضل الاشعة بتاعت حضرتك..».. وقف يحيى متلهفًا وهو يمسك بملف الأشعة بيده..» طمني يادكتور.. لقيتوا في جسمي حاجة؟».. الطبيب مبتسمًا.. «هو مفروض الدكتور اللي متابع معاه هو اللي يبلغك بس أنا هطمنك بردو .. الحمدلله الأشعة تمام وجسمك مفهوش أي حاجه..».. يحيى مندهشا.. «مفهوش أي حاجة.. مفهوش أي حاجة إزاي.. يعني مفيش أي جهاز أو جسم معدني صغير في جسمي..».. الطبيب ملاحقًا.. «لا مفيش حاجة الحمدلله..».. يحيى مصدومًا.. «مفيش ازاي بس.. أومال كان بيعرف اللي بعمله إزاي!» ..

الطبيب مستغربًا: «هو مين ده يافندم؟!»

«ها.. لا مفيش حاجة.. مفيش حاجة.. متشكر جدًّا..».. ثم خرج إلى خارج المركز وهو ينظر إلى الأشعة الخاصة به دون أن يفهم منها شيئًا.. شعر بالغضب من فشل نظريته فهو كان يتوقع أن سامي يراقبه عن طريق شريحة صغيرة مزروعة بجسده ولكن بعد الكشف اتضح أنه لا يوجد شيء مثل هذا.. تحرك إلى وسط الطريق وقام بإلقاء صور أشِعّته بالشارع وأوقف سيارة أجرة وركبها..

****

الضَّابط ياسين يقود سيارته وهو يدخِّن سيجار بنهم.. صوت المذياع يصدح بداخل السيارة وهو يستمع له باهتمامٍ.. «جبنة جهينة مُصنَّعة من خير مزارع مدينة جهينة.. عرض خاصٍ الآن.. اشتري علبتين جبنة جهينة وتاخد معاهم علبتين هدية.. العرض لفترة محدودة.. تطبق الشروط والأحكام.. مع كايرو إف إم.. صباحك كله خيال.. باور فانك.. مشروب الطاقة الجبار.. إهزم الصعاب مع قوة وصلابة لمدة 48 ساعة.. مع باور باك إسحق مخاوفك من الامتحانات مع تركيز 400 ٪.. مع باور فانك.. كسَّر كل اللي في طريقك وحقَّق أهدافك.. باور فانك.. 12 هدف بمشروب واحد.. كايرو إف إم.. صباحك خيااااااال مع كايرو إف إم.. صابونة أسبوكس.. أجمل بشرة ونعومة.. مع صابون أسبوكس ابتسمي سيدتي..».. هنا قام ياسين بغلق المذياع بغضب.. «أسبوكس عليك وعلى أهلك.. أنا أسيب أم الإعلانات في التلفزيون تجيلي هنا.. دي بقت حاجة تقرف.».. نظر لساعته بضيق للحظات ومن ثم عاد وفتح المذياع مرة أخرى فاستمع إلى نفس القناة فقام بتغيرها ليظهر صوت مذيعة تتحدث بلهجة صارمة.. «الرئيس يستقبل اليوم رئيس دولة مدغشقر «هيري راجاوناريمامبيانينا بزيارة رسمية يتم فيها مناقشة سبل التعاون المشترك وتحقيق الرخاء والتنمية بين البلدين.. وعلى صعيدٍ آخر قَبِلَ السيد رئيس الوزراء استقالة وزير البيئة والتجارة والصناعة ورئيس التنمية المحلية الذين تقدموا باستقالتهم اليوم وبهكذا يرتفع من قدَّم استقالتهم من الحكومة 14 وزيرًا خلال ثلاثة أيام فقط..».. تنهد ياسين وهو يستمع إلى الأخبار بالمذياع.. «أخبار تسد النفس على الصبح».. فجأة رن هاتفه فالتقطه في الحال..

«أيـوه ياحمـادة.. إيـه.. يحيـى.. مكانـه فـين؟».. ثـم أغلـق الهاتـف وغـير اتجـاه سـيَّارتَه بالحـال وعـاود أدراجـه عائـدًا..

****

يحـي واقـفٌ مترقبًـا بداخـل أحـد الجراجـات الواسـعة الممتلئـة بالسيارات المختلفـة ومستندًا إلى سيارة بمكان منتقى جيدًا بعيدًا عـن الكاميرة الوحيدة التي بالجراج.. أخذ يترقب الحضور بسيارتهم وهـو يفكـر بعمـق.. «دلوقتي سـامي ده شـخص مجهـول.. مـا أعرفلـوش صفـة ولا ملـة.. ظهـر قُدامـي فجـأة واختفـى فجـأة.. خـلاني أعمـل مهـمات غريبـة ومـش مفهومـة.. كلهـا ملهـاش معنـى أو مـبرر.. إلا مهمـة واحـدة بـس.. مهمـة الدكتـورة منـى الشـيمي.. المهمـة دي أكيـد كانـت لسـبب.. وأكيـد سـبب شـخصي.. ممكـن تكـون منـى الشـيمي تعـرف سـامي ده معرفـة شـخصية.. حتـى لـو ماتعرفـوش ولكـن سـامي ده ليـه علاقـة بيهـا أنـا ممكـن أعـرف أوصلـه عـن طريقهـا أنـا في دماغـي خطـة هنفذهـا عليهـا.. بـس لازم أشـوفها دلوقتي قبـل مـا سـامي يوصلهـا بـأي طريقـة.. مواعيـد شـغلها والجـدول بتاعهـا عرفتـه كلـه.. هـي بتركـن عربيتهـا هنـا كل يـوم وتدخـل المستشـفى..».. أخـذ ينظـر يحيـى حولـه بضيـق.. «ياتـرى انتـي فـين يـا منـى.. ياتـرى انتـي فـين».. هنـا دلفـت سـيارة إلى داخـل الجـراج ونظـر لهـا يحيـى بترقُّـب وشـاهد سـائقها.. شـعر يحيـى بأنـه يعرفـه ولكنـه لم يتذكَّـره.. ولكـن تذكَّـرَه بالحـال عندمـا نـادى عليـه.. «يحيـى.»... هنـا علمـه بالحـال وكان مندهشًـا مـن رؤيتـه.. «ياسـين».. إنـه بالفعـل الضابـط ياسـين فتـحَ بـاب سـيارته ونـادى عـلى يحيـى.. «يحيـى.. تعـالى».. شـعر يحيـى بالفـرح لرؤيـة ياسـين فركـض جهتَـهُ سَريعًـا..»

ياسين.. ياسين باشا..».. ابتسم له ياسين وحيَّاه..»إزيك يا يحيى؟».. صافحه يحيى بحرارة.. «ياسين باشا.. أخبارك إيه؟».. بادله ياسين المصافحة.. «الحمد لله.. إنت أخبارك إيه يا حمادة.. عامل إيه.. مابتسألش انت خالص من ساعة ما انتهت القضية».. يحيى مُحرَجًا.. «والله يا ياسين باشا.. أيام القضية دي كانت أيام ربنا ما يعودها.. علشان كده ماكنتش عايز أي حاجة تفكرني بيها.. ولكن ماقدرش أنساك انت طبعًا..»

ياسين مبتسمًا بخبث: «عارف.. عارف طبعا.. علشان كده انت اتصلت بيا من كام يوم لما كنت في مشكلة صح».. امتقع وجه يحيى هنا وابتلع ريقه بقلقٍ فتابع ياسين حديثه.. «إنت اتصلت بيا علشان عارف إن أنا الوحيد اللي كنت مؤمن ببرأتك من خمس سنين وعارف إن زي ما ساعدتك من خمس سنين هساعدك دلوقتي».. يحيى مضطربًا.. «هتساعدني.. هتساعدني في إيه؟».. بخبث.. «هساعدك في أي حاجة عملالك مشاكل.. مثلا المشلكة اللي خلتك تحتك مع الشحاتين في طلعت حرب.. وخلتك تركب جمل في فيصل.. وخلتك تساعد الشرطة في القبض على الإرهابي محمد أحمد اللي كان معاه 2 كيلو قنابل سي 4».. جحظت عينا يحيى من حديث ياسين.. فهو لم يكن يعتقد أن الشرطة قد توصلت إلى هويته بالفعل.. فابتسم قلقًا.. «ههههه انت بتهزر أكيد ياسين باشا.. قنابل إيه وجمل إيه اللي هركبه بس».. رفع ياسين صور يحيى على هاتفه.. «ياراجل.. يعني اللي في الصور والفيديوهات دي مش انت.. ده أنا شايفك بعيوني بفيديو المترو النهارده الصبح.. ومعايا اعترافات الإرهابي والحرامي اللي ساعدك تمسكه.. كلهم أدلوا بمواصفاتك وبمواصفات لبسك

ساعتها».. نظر يحيى له بقلقٍ.. فحاول ياسين طمأنته.. «يحيى أنا مش عايزك تخاف أو تقلق من أي حاجة.. إنت ماعملتش أي حاجة غلط لغاية دلوقتي.. أنا مش بتهمك بحاجة.. أنا كل اللي عايزه منك تحكي لي حصل معاك إيه.. علشان أنا واثق إن اللي بيحصل معاك وجرائم قتل الوزراء ورجال الأعمال الأيام اللي فاتت دول مترابطين..».. يحيى مستغربًا.. «جرائم قتل.. قتل إيه؟»

****

رجل يرتدي ملابس صعيدية وبملامح صعيدية يقف أمام جسد شخصٍ ما ساقطٍ على الأرض وحولَهُ بِرْكَةٌ من الدماء وهناك معول مثبت برأسه.. رنَّ هاتف الرجل سريعًا فنظر إلى شاشته ثم وجدَ صورة يحيى ومكتوبٌ أسفل منه «الدقي».. وهناك إشارة تومض بهاتفه باللون الأحمر فوق خريطة أمامه.. وضع الهاتف بجيبه مرة أخرى وقام بسحب المعول من رأس الرجل أمامه فلم يستطع.. وضع قدمه فوق كتف الرجل وقام بسحب المعول بقوة فتناثرت الدماء حوله ومعها بعض بقايا رأس الرجل.. أخذ الصعيدي يمسح المعول بجسد القتيل ثم وضعه على كتفه وتحرك مبتعدًا..

****

ياسين واقفا أمام يحيى يداعب ذقنه والسيجارة بفمه.. «يعني انت سحبت عشر آلاف جنيه وبعدين شحت عشر فيران».. يحيى مصححًا..«لا.. شحت 200 جنيه وجمعت عشر فيران».. أخذ ينظر له ياسين مستغربًا وهو يدخن سيجارته بسرعة.. يحيى قرأ ملامحه فسأله سريعًا.. «شكلك مش مصدقني».. ياسين ملاحقًا..

«مش حكاية مش مصدقك.. بس أنا مش فاهم انت بتعمل الحاجات دي ليه ومش لاقي أي منطقية فيها غير حكاية المترو اللي مسكت فيها الإرهابي بتاع السي فور.. بس عامة.. الأمور بقت كده أوضح ..بس أنا مش لاقي رابط بين اللي بتقوله ومابين جرائم القتل الغريبة دي..».. يحيى قلقًا.. «أنا فعلاً ما أعرفش أي حاجة بخصوص جرائم القتل اللي انت بتقول عليها دي».. ياسين ملاحقًا.. «مش مهم.. آدينا مسكنا خيط جديد في الموضوع بتاعك ده وهنحقق فيه.. فجأة رن هاتفه فنظر ياسين إلى الشاشة أمامه ثم أدار ظهره ليحيى وأخذ يتحدث بصوت منخفض.. «أيوه.. آه.. تمام.. تمام.. إممم».. ثم نظر إلى يحيى خلفه للحظات وأعطى له ظهره مرة أخرى وظل يتحدث بالهاتف بصوت منخفض.. شعر يحيى هنا بالقلق الشديد ينتابه وبدأ يتخلل الشك إلى قلبه.. أنهى ياسين مكالمته ثم عادي إلى يحيى.. «أيوه ياح.. أيوة يا يحيى.. كنا بنقول إيه؟ آه.. تعالى معايا دلوقتي واحنا هنحميك من هنا ورايح ماتقلقش».. وحاول أن يمسك ذراع يحيى.. فسحب يحيى ذراعه منه بعنف.. اندهش ياسين من رد فعله.. «مالك يايحيى».. سأله حينها يحيى سريعًا.. «إنت عرفت مكاني منين».. هنا ارتبك ياسين ولم يرد أن يخبره أنه كان يراقبه حتى لا يفقد ثقته به.. «لا.. أنا كنت جاي في زيارة لحد معرفة هنا وقابلتك بالصدفة وكانت صدفة خير طبعًا علشان أقدر أساعدك».. حاول ياسين أن يقترب منه فابتعد يحيى عنه وحدثه مرتابًا.. «إنت معاهم.. صح؟».. ياسين مندهشا.. «معاهم.. مع مين يا يحيى؟».. أومأ يحيى له برأسه مصدومًا: «إنت معاهم.. إنت معاهم وده اختبار تاني.. أنا كنت عارف إنك معاهم علشان كده

كنت بقولك المعلومات دي ولو لاحظت أنا ماجبتش اسمه خالص».. ياسين باندهاش.. «مع مين يا ابني.. إيه اللي انت بتقوله ده.. أنا مش فاهم منك حاجة».. هنا نظر له يحيى بثقة وتقدم منه سريعًا.. ثم صفعه بكل قوة على وجهة.. هنا أمسك ياسين بوجهه مصدومًا مدهوشًا من فعل يحيى واحمر وجهة وصرخ عليه غاضبًا.. «إنت اتجننت يلا.. إنت اتجننت.. تضربني أنا بالقلم يا ابن الكلب..».. شعر يحيى بغضب ياسين الشديد فحاول أن يركض هاربًا.. فصرخ عليه ياسين وهو يرفع سلاحه الناري جهته».. اقف عندك.. اقف عندك بدل ما أضربك بالنار..».. فتوقف يحيى مرتاعًا.. وأخذ ياسين يقترب منه.. وهو يصرخ عليه بغضب.. «بقى أنا يا حيوان بقولك هساعدك تقوم تمد إيدك عليا».. لم يدرِ يحيى ماذا يقول أو يفعل وظل رافعًا يده مستسلمًا وهو يفكر كيف سيتخلص من تلك الورطة.. فجأة شعر يحيى بحدوث شيءٍ مريبٍ.. فلقد صمت ياسين خلفه ولم يتحدث لثوانٍ.. طالع الفضول يحيى وحاول أن ينظر خلفه ليرى ماذا يحدث.. ولكن ياسين ناداه من خلفه بصوت هادئ ومنخفض.. «ماتتحركش من مكانك».. نظر يحيى من جانب عينيه لما يحدث فوجد شخصًا يقف بعيًدا ينظر إليهما.. أشاح يحيى بنظره إلى الرجل فوجده شخصًا أجنبيًا يرتدي بنطالاً رياضيًّا وتي شرت رياضيًّا ويقف كلب بجانبه ويتكأ على سيارته خلفه التي ما زال ماتورها يدور .. ما زال ياسين يصوب سلاحه جهة يحيى ولكنه ينظر إلى الأجنبي ويحدثه بأن يتراجع.. «بوليس بيزنيس.. جو أواي.. جو أواي..».. ابتسم له الأجنبي وظلَّ يحدق بهما.. شعر يحيى وياسين بشيء غريب بهذا الأجنبي..

فحدَّثَه ياسين مرة أخرى.. «بوليس بيزنيس.. جو أو..».. وهنا لما يكد يكمل جملته حتى صوب سلاحًا ناريًّا جهة يحيى فحوَّل ياسين سلاحه بسرعة قصوى جهة الأجنبي وأطلق على يده الرصاص.. جفل يحيى من صوت الطلقات ومن صرخات الأجنبي وبعض أصابع يده مبتورة.. وسلاحه الناري أصبح بعيدًا عنه.. قفز الكلب جهة يد الرجل المصابة وأخذ يلعقها ويصدر أنينًا مكتومًا.. صرخ ياسين على الأجنبي وهو يحدث يحيى.. «شكله كان جاي يقتلك.. إنت تعرفه ده يا يحيى؟».. أومأ يحيى برأسه نافيًا.. «ولا عمري شُفته».. ابتسم ياسين وهو ينظر للأجنبي بشماتة.. «حظك حلو لأني كنت بطل الجمهورية في الرماية لمدة 7 سنين..».. نظر ياسين إلى يحيى معاتبًا.. «لسه بردو مقتنع إني مش عايز أساعدك..».. حاول يحيى أن يجيب عليه ولكن قاطعهما صَوت صفيرٍ أصدره الاجنبي وهنا توقف الكلب عن لعق يديه وزمجر وكشف عن أنيابه ووقف شعر جسده وهب متحفزًا.. ثم صفر الأجنبي مرة أخرى سريعًا فقفز الكلب جهة يحيى يريد أن يفتك به.. ولكن تدخل سريعًا ياسين وأطلق النار صوبَهُ ولكن الكلب تفادى الرصاصة برشاقة كبيرة ثم غَّير هجومة في الحال صَوْبَ ياسين الذي صوَّب سلاحه الناري جهته ولكن الكلب كان أكثر قوة ومرونة وسرعة منه.. فقام بإمساك السلاح الناري من يد ياسين بفمه ونزعه منه بقوة شديدة لم يتوقعها ياسين فسحبه من يده وأصبح السلاح بفم الكلب الذي أخذ يزمجر وألقى بالسلاح من فمه بعيدًا خلفه وركض بسرعة جهة عنق ياسين وكاد أن يمزقه لولا أن وضع ياسين يده اليسرى فوق عنقه بشكل إرادي ليحميها.. فقام الكلب على الفور بغرز أنيابه بيد ياسين وأخذ

يضغط عليها بقوة شديدة تصل ل 60 كجم.. صرخ ياسين متألمًا فترك الكلب يده سريعًا وبسرعة شديدة توجه جهة عنقه ولكن ياسين وضع يده أمام عنقة مرة أخرى فأمسكها الكلب وعضه مرة أخرى وأخذ يحرك فمه بقوة ليمزق يديه بأسنانه لكي يمنعه من حماية رقبته بها ويمزق عنقه فيبدو أنه متدرب على قتل البشر بتلك الطريقة.. شاهد يحيى ما يحدث لياسين فركض مسرعًا جهته لينقذه فصرخ عليه ياسين متألمًا.. «اااه.. ماتخليش الأجنبي ياخد سلاحه.. إمنعه يوصلُّه ..ااااه».. نظر يحيى جهة الأجنبي فوجده يتحرك بسرعة وهو يمنع يده من نزيفها جهة سلاحه الناري خلف إحدى السيارات.. فركض يحيى مسرعًا جهة الأجنبي وركله بقوة ببطنه فأسقطه على الأرض وتوجه جهة السلاح الناري ليلتقطه ولكنه وجد نفسه فجأة يسقط على الأرض دون أن يشعر ثم وجد أقدام ناعمة وطويلة تلتلف على جسده كالأفعى ووصلت إلى أنفه رائحة نسائية نفاذة، نظر خلفه ليشاهد ما يحدث له ولكنه وجد سلكًا رفيعًا يضغط على رقبته بقوة منعه من التنفس نظر خلفه وهو يحاول مقاومة ما يحدث فوجد فتاة تخنقه من رقبته بقوة شديدة وتضع قدميها على جسده لتمنعه من الحركة وتعطي لها زخمًا أكثر.. لم يَدرِ يحيى ماذا يفعل أو ماذا يحدث.. كل ما كان يدور بعقله أنه سيموت الآن.. وصلت إلى أذنه صرخاتُ ياسين وزمجرة الكلب خلفه.. احتقن وجهه وارتفعت حرارة جسده واحتبست الدماء بعينيه ومنع رأسه من استقبال الأكسجين.. كان يحاول باستماتة أن يمنع ضغط السِّلك من على رقبته.. إنه سلك بيانو من أقوى وأصلب السلوك في العالم ويمكنه أن يمزق يديه ورقبة تحت ضغط قوي ولكن لحسن حظه

كانت الفتاة خفيفة الوزن أقل منه بكثير ولكنه كانت لديها خبرة كبيرة بالقتل بتلك الطريقة فيحيى مع كل مقاومة يبديها يجد لتلك الفتاة ردَّ فعلٍ مقاوم لها في الحال.. وممارستها لرقصات البالية أعطى لجسدها مرونةً غير طبيعية.. كان من الواضح بأنَّ ياسين ويحيى سوف يلقيان حتفهما في الحال الآن وهما بلا حول ولا قوة.. والأسوأ من ذلك أن الأجنبي قد تحصَّل على سلاحه الناري وأمسكه بيده الأخرى وابتسم بوجه يحيى وهو يكاد يلفظ أنفاسه.. «good by poor bird».. نظرت له الروسية بغضبٍ فيبدو أنه سيطلق النار على يحيى متجاهلاً وجودها خلفه.. فقامت على الفور بالابتعاد عن يحيى بقفزة واحدة ثم قفزت وركلت بقدمها السلاح الناري من الأجنبي ثم قامت بركله بسرعة شديدة بقدمها الأخرى بوجهه فسقط على الأرض متألمًا لا يستطيع الحركة لعدة لحظاتٍ.. ترك الكلب هنا ياسين وأخذ ينبح وهو مترددٌ من أن يترك ياسين أو أن يساعد سيِّده.. استغل ياسين هذا الأمر وهو يمسك يديه متألمًا وتوجَّه بسرعة جهة سلاحه الناري ولكن لم يمهله الكلب أن يفعل ذلك فركض خلفه سريعًا وأمسكه من قدمة وأخذ يعضه بقوة شديدة من قدمه فسقط ياسين على الأرض فتوجه الكلب سريعًا جهة رقبته يحاول انتزاع حنجرته بسرعة ليعود إلى صاحبه.. أثناء تلك اللحظة أخذ يسعل يحيى وهو يحاول استنشاق الهواء بيأس شديد ويحاول أن يسحب الأكسجين بقوة ليعيده إلى جسده المشتاق لأي دفعات منه ولكن لم يستطع أن يهنأ فلقد طارت الفتاة الروسية بالهواء وضمت ركبتيها معًا وسقطت بهما على ظهر يحيى أسفلها فارتطم بالأرض بقوة.. ثم وضعت سلك البيانو خلف رقبته مرة أخرى بسرعة

وتلك المرة لديها تحكم بها أكثر وتنوي أن تنزع رقبته من فوق جسده.. وأخذت تسحب السلك إلى الخلف وهي تضع ركبتها على جسد يحيى وهي ممتطياه من الخلف.. كان اليأس قد دب في قلب الاثنين وآمنا أن أجلهما قد حان.. من فرط الحركة شعر ياسين بأن رئتيه تحترقان من الداخل وأخذ يسعل بشدة وهو يحاول مقاومة فك الكلب الشرس الذي حطم يده اليسرى تمامًا ولم يعد يشعر بها تقريبًا ولكنها كانت الشيء الوحيد الذي يمنع أنياب هذا الكلب عن تمزيق عنقه.. تحت سحق أقدام الموت قام ياسين بمحاولة أخيرة لإنقاذ حياته فقام باستغلال إمساك الكلب بيده اليسرى وقام بإطلاق وابل من اللكمات المحملة بالأدرينالين وتدفق الدماء في جسده فوق رأس الكلب الذي ظل يتحملها اللكمة تلو الأخرى لمده ثوانٍ معدودة ومن ثم بدأ يتأثر قليلاً.. حيث اضطر أخيرًا تحت وابل من اللكمات غير الواعية من ياسين أن يجعله يترك يده من فمه وركض بعيدًا عنه قليلاً.. استغل ياسين تلك اللحظة وركض وهو يسعل ولا يقدر على الحركة وأمسك بسلاحة الناري.. وأخذ يطلق على الكلب الذي كان يتفادها بمهارة شديدة.. شاهد ياسين يحيى وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة تحت ضغط المرأة الروسية.. فقام على الفور بالتصويب عليها.. نظرت له الفتاة وابتعدت عن يحيى مسرعة.. فقام ياسن بإطلاق النار عليها فأصاب كتفها وسقط يسعل متألمًا وهنا شاهد الأجنبي يستعيد وعيه ويبحث عن سلاحه.. وقام الكلب سريعًا بالعودة جهة ياسين ليفتك به مرة أخرى.. أدرك ياسين أنه ليس به قوى ليقاوم الكلب مرة أخرى ولكنه قام بتصويب سلاحه جهته ولكن لم يطلق فوجد الكلب يقفز بالأرجاء

ليتفادى أي طلقات سيطلقها.. ومن ثم تحرك راكضًا جهته مرة أخرى.. هنا هداه تفكيره إلى شيءٍ واحدٍ فقط بسرعة ليفعله.. صوب سلاحه بسرعة شديدة جهة الأجنبي الذي حمل سلاحه هو أيضًا.. وأخذ الكلب يركض جهة ياسين بالحال.. أمسك ياسين سلاحه بقوة ومن ثم حرَّك يده المصابة بسرعة شديدة وهو يتألم ومن ثم صوَّب على رأس الأجنبي وأطلق رصاصة في الحال فأرداه قتيلاً ولكن بعد أن أصابه بجانب يده اليمنى.. وقف الكلب أمام ياسين الذي لم يكن له أي قوة أو قدرة للذود عن نفسه.. ولكن وقف الكلب مترددًا للحظات ومن ثم توجَّه إلى صديقه الأجنبي وأخذ يشاهده وهو صريع على الأرض أمامه فأخذ يلعَق دماءه وهو يصدر أصواتًا وأنينًا حزينًا.. نظر له ياسين معجبًا.. «تصدق إنك كلب ابن بني آدم..».. ثم اطلق النار على رأس الكلب الذي أخذ يصرخ ويصيح ومن ثم صمت للأبد.. جلس ياسين على الأرض منهارًا.. ويده اليسرى محطمة تمامًا ومغطاة بالدماء ويده اليمنى مصابة بطلقة طائشة ولكنه جرح سطحي وليس خطيرًا.. نظر إلى يحيى الذي كانت علامات السلك محفورة فوق رقبته ووجهه وعيناه محتقنتان بالحمرة.. ولم يستطع الحديث وهو ينظر إلى يحيى أمامه وياسين يضحك وهو مصاب.. «هههههه.. شُفت يا عم.. أهو أنا طلع عين أهلي واتعلقت من الترتره علشانك..».. ولكن على الرَّغم من مزاحه هذا لم يجد يحيى يضحك نهائيًّا بل على العكس أخذ يصيح له وصرخ عليه دون أن يصدر صوته بوضوح.. نظر له ياسين مندهشًا.. «إيه يا يحيى مالك..».. أخذ يحيى يمسك رقبته وهو يشير له بيده ويصرخ عليه بصوت مخنوق وبعد محاولات كثيرة نجح بأن يصرخ

بصـوت غـير مفهـو.. «وراك.. وراك».. نظـر ياسـين خلفـه بسرعـة ليشـاهد سـن معـول يسـقط جهتـه تحـرك بسرعـة شـديدة ليتفـاده وبالفعـل تفـادى رأسـه ولكـن لم يتفـادَ فخـذه واخترقهـا.. فـصرخ صرخـة مدويـة بشـدة..»اااااااااه».. هنـا شـاهد ياسـين فخـذه ينفـر منـه الدمـاء ومعـول يثقبـه وشـخص صعيـدي يرتـدي جلبابًـا يضحـك أمامـه.. «ااااه.. سـلامتك مـن الآه».. ومـن ثـم وضـع يـده عـلى المعـول فـصرخ ياسـين متألمًـا.. صرخ يحيـى بصـوت محتقـن عليـه.. «سـيبه يـلا.. إبعـد عنـه أحسـنلك».. نظـر لـه الصعيـدي مبتسـمًا.. «اصـبر عـلى رزجـك.. هاجيلـك انـت كـمان.. أنـا جايلـك انـت مخصـوص وليـك عنـدي موتـة زيـن».. نظر مـرة أخـيرة إلى ياسـين وهـو يضحـك فوجـد ياسـين يصـوِّب سـلاحه في وجهـه.. فـصرخ الصعيـدي..»يابـوووي».. وأطلـق ياسـين النـار ولكـن لم يجـد بـه رصاصًـا.. أطلـق مـرة ثانيـة وثالثـة ولكـن الرصـاص قـد نفـدَ بالفعـل.. فألقـى ياسـين سـلاحه بيـأس فضحـك الصعيـدي سـاخرًا.. «ههـهع هعـعع.. خوفتنـي يابجـرة.. كنـت هتموتنـي ناجـص عمـر يابـن الفرطـوس».. ثـم نـزع المعـول مـن فخـذ ياسـين بعنـف فـصرخ متألمًـا بشـدة.. «ااااااااااه..».. فضحـك الصعيـدي وأخـذ يتحـدث إليـه.. «يطربنـي صياحـك.. جـول كـمان.. جـول».. ومـن ثـم رفـع معولـه إلى أعـلى وهـو يصيـح.. «اسـتعنا عـلى الشـجي بـالله».. فضحـك ياسـين بشـدة وهـو ينظـر أمامـه «يـا ابـن المجنوووووووونـة».. توقـف الصعيـدي بالمعـول بالهـواء.. «شـكلك تعـرف أمـي الله يرحمهـا.. عمومـا إبقـى سـلملي عليهـا».. وقـام بالنـزول بهـا بقـوة عـلى رأس ياسـين الـذي ألقـى بنفسـه عـلى الأرض وأغمـض عينيـه.. نظـر الصعيـدي إليـه مندهشًـا وشـعر بعـدم الارتيـاح فنظـر خلفـه سريعًـا ليجـد يحيـى يقـود سـيارة

الرجـل الأجنبـي ويندفـع بسرعـة جهتـه.. فـصرخ عليـه الصعيـد وهـو يضحـك.. «عايـز تدهسـني يـا ابـن الفرطـوس.. تعـالالي يواكل ناسـك».. فـصرخ يحيـى وهـو يضغـط عـلى دواسـة البنزيـن أسـفل قدمـه ويزيـد سرعتـه وياسـين أسـفل الصعيـدي يغلـق عينيـه مرتاعًـا وهـو لا يـرى شـيئًا.. باللحظـة التـي قـام يحيى بالاصطـدام بهـا بالصعيـدي كان هبـط بمعولـه عـلى زجاج السيارة فاخترقها مقدمة المعوال وتشبث بالسيارة بقـوة وهـي تجرفـه جهـة الحائـط وتمـر بـذات اللحظـة فـوق جسـد ياسـين الـذي كان بوسـطها بـين العجـلات تمامًـا وأخـذ يـصرخ مرتاعًـا.. تدفـق الأدرينالـين وتضافـرت رائحـة الدمـاء والعـرق بالجـو.. اصطـدم يحيـى بالصعيـدي بقـوة بالحائـط.. فـصرخ الصعيـدي متألمًـا وتحـدث إلى يحيـى بحنـق.. «بتخلينـي أصيـح.. بتسـمع طـربي يـا ابـن الفرطـوس.. لـو هعـاود لمـاي هخـدك معايـا».. ومـن ثـم ضرب زجـاج السـيارة بقـوة بالمعـول بالنصـف العلـوي مـن جسـده فاقـترب المعـول مـن جسـد يحيـى الـذي شـاهده يقـترب منـه مرتاعًـا فقـام بالضغـط عـلى دواسـة البنزيـن وهـو يـصرخ بشـدة فتقـوم السـيارة بهـرس جسـد الصعيـدي أكثـر بالسـيارة ولكنـه لم يستسـلم وظـلَّ يحطـم السـيارة بمعولـه وبـكل مـرة يـصرخ يحيـى مرتاعًـا مـن اخـتراق المعـول للسيارة وهبوطـه بالقـرب منـه فيضغـط عـلى البنزيـن أكثـر وأكثـر واخـذت لعبـة الشـد والجـذب هـذه عـدة لحظـات قبـل أن تنتهـي بسـقوط المعـول بداخـل السـيارة بجانـب ياسـين والصعيـدي تخـرج الدمـاء مـن فمـه وينظـر إلى يحـى ضاحـكًا.. أخـذ يحيـى ينظـر إلى الصعيـدي بتقـزز شـديد وأمسـك بالمعـول وألقـاه إلى خـارج السـيارة ومـن ثـم فتـح بابهـا وهـو متألمًـا لا يقـدر عـلى الحركـة ولكنـه هنـا شـاهد مشـهدًا مُخيفًـا أمامـه جعلـه يرتعـد.. الفتـاة الروسـية

تقف أمامه وبيدها اليمنى حبل البيانو وكتفها مصاب وينزف دماء. تنظر إلى يحيى كالذئب الذي يشتهي فريسته على الرغم من ملامحها الجميلة التي تسعد أي رجل ولكن وجهها بتلك اللحظة كان يوقع الرهبة بأشد القلوب شجاعة.. علم يحيى أنها لن تتركه يمضي إلى حال سبيله.. سوف توقعه فريسها لها اليوم ولكنه أيضًا لن يرحل دون قتالٍ.. فتحرك بضعف جهة السيارة والتقط المعول الملطخ بالدماء بيده وتقدم جهتها بثبات وتحدٍّي.. ظلت تراقبه الفتاة وهو يقترب منها دون أن تبدي أي ردة فعل كل ما تفعله فقط هو أن تضغط على جرح كتفها المصاب.. هنا تعالت الصيحات وظهر عددٌ كبيرٌ من النَّاس بداخل الجراج ليشاهدوا ما سبَّبَ الصياح والصراخ هذا الذي حدث.. نظرت الفتاة الروسية إلى جموع الناس القادمة فشعرت بالغضب الشديد ومن ثم انسحبت بسرعة شديدة وهي تقفز بمهارة كبيرة بين السيارات وفوقها لتختفي عن الأعين تمامًا.. هنا ألقى يحيى بالمعول سريعًا ثم نظر إلى ياسين الذي كان مغشيًا عليه وينزف بشدة.. اقتربت منه بعض الجموع وهو يضغط بحزام ياسين على جرح فخذه حتى يمنع نزيفه فسأله أحد الأشخاص سريعًا:

- «في إيه.. إيه اللي حصل.. مين اللي عمل كده..» أجابهم يحيى بصوت ضعيف غير مسموع.. «انقلوه المستشفى فورًا وخليهم يجيبو له أكياس دم.. قولولهم إنه ظابط شرطة».. هنا قام البعض بالركض سريعًا جهة المشفى وحاول بعضهم مساعدة يحيى فذهب معهم ولكنه استطاع أن يختفي أثناء نقلهم لياسين بداخل المشفى.

****

بعد مرور ساعتين.. كان ياسين بإحدى الغرف يداه مغطتان بالجبس وقدمه ملفوفة بشاشٍ كبيرٍ ومصاب ببعض الجروح والسحاجات.. كان يقف أمامه أشرف مبتسمًا.. «حمد الله على السلامة ياباشا.. قلقتنا عليك».. نظر له ياسين مندهشًا.. «أنا فين؟»..

«إنت في المستشفى ياباشا.. جروحك كانت خطر وسببتلك نزيف جامد بس الحمد لله كان في حد معاك وقّف النزيف عقبال لما ودوك المستشفى.. هو إيه اللي حصل ياباشا.. وانت كنت جاي ليه هنا؟».. أجابه ياسين سريعًا.. «يحيى.. فين يحيى؟»..

أشرف مستغربًا.. «يحيى بتاع فيصل اللي كنت بتسأل عليه؟»

«أيوه هو.. كان معايا ساعة لما هاجمونا.. حصله حاجة؟»

« لا ياباشا ما أعتقدش هما لقوا اتنين مايتين واحد باين عليه صعيدي والثاني أجنبي وزمايلنا بيحققوا في القضية دلوقتي».. صرخ ياسين بعد أن حاول أن يتحرك ولكنه تألم.. «أنا عايزك تطلع منشور عن يحيى دلوقتي.. يتم القبض عليه فورًا».. أشرف أوما برأسه.. «حاضر ياباشا.. هنفذ حالًا.. بس ياترى هو يحيى ده ليه علاقة بالقضية بتاعتنا»..

ياسين بضيق.. «يحيى ده هو القضية أصلاً.. أنا إحساسي عمره ما خيِّب أبدًا.. لازم علشان نفهم اللي بيحصل.. لازم يكون يحيى تحت إيدينا..»

****

الساعة الحادية عشرة وثلاث دقائق..

يحيى يخفي رقبته بلفافة على الرغم من الجو الحار حوله ويشرب بعض المشروبات الباردة وقد تحسن صوته وعاد بشكل شبه طبيعي.. قام بشراء بعض المسكنات الفعَّالة وابتلعها دفعة واحدة كي يتغلب على الآلام التي حلت بجسده من معركته السابقة التي كادت حياة تنتهي خلالها لولا مساعدة ياسين له.. لم يجد أيَّ طرف خيطٍ آخر يوصله لسامي أبدًا.. فكر أن يفعل ما يفعله دائمًا المحققون.. الذهاب إلى نقطة البداية لكل ما حدث.. فتوجه إلى المتجر الكبير الذي قابل سامي فكري به ولكنه كان حريصًا ألا يظهر للكاميرات بوجهه ولهذا وضع غطاء رأسٍ فوقه ولبس نظارة سوداء كبيرة ابتلعت ما تبقى من وجهه وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا.. ثم أخذ يبحث عن مصدر يغذيه بالمعلومات ولأنه يعلم أن مصدر المعلومات الذي لا ينضب هم دائمًا العجائز وأخذ يبحث عن عامل عجوز بالمتجر وبالفعل وجد ضالته سريعًا عجوزًا يرتدي الزِّيَّ الموحَّد لعمال المتجر يحمل برشاقة شديدة بعض عبوات الطعام فوق كَتِفه وينقلها من جهة إلى أخرى.. فذهب إليه يحيى سريعًا.. «لو سمحت ياحاج».. توقف العجوز أمامه سريعًا مبتسمًا.. «أؤمر ياباشا..»

يحيى مبتسمًا يخرج له ورقةً بمائة جنيه ويعطيها له.. «إمسِك دي حاجة بسيطة علشان اتبسطت منك لما اشتريت من المحل هنا المرة اللي فاتت انا والمدام».. أخذها العامل بفرحٍ ودسَّها سريعًا وبخبرةٍ كبيرةٍ بين طيات ملابسه.. «الله يخليك يا باشا.. إحنا خدّامينك إنت والست هانم».. اقترب منه يحيى قريبًا وهو يبتسم.. «كنت عايز أسألك عن

الكاشير اللي كان قاعد هنا الصبح من يومين.. ساعة السيستيم ما وقع.. أصل مراتي وقع منها الخاتم بتاعها وهي بتحاسب ومخدتش بالها وهو كان أمين ورجعلها الخاتم.. فأنا بصراحة عايز أكافئه على أمانته».. ثم أخرج ورقة أخرى بمائة جنيه وأعطاها للعجوز الذي كاد يطير طربًا.. «الله يخليك يا بيه.. يدوم عزك.. إنت قصدك على الكاشير مرقُص.. هو اللي كان شفته الصبح الإسبوع اللي فات».. ياسين أخذ يوصف له بيده.. «هو كان شاب حاجة وعشرين سنة كده وشعر رأسه خفيف شوية».. أومأ العجوز له برأسه.. «أيوه.. هو مرقص يا بيه».. يحيى مبتسمًا.. «طيب تمام.. فين مرقص بقى علشان عايز أكافأه».. العجوز بضيق: «للأسف يابيه قدِّم استقالة ومشي في نفس اليوم.. كل اللي اشتغله أسبوع بس والله».. يحيى مندهشًا.. «اشتغل إسبوع بس..»

« آه يابيه مع إن كان الكل بيقول عليه كويس وأمين.. بس جاتله سفرية مع عمه في ألمانيا وبعتله التأشيرة وهيسافرله».. يحيى يبتسم ساخرًا.. «طبعًا.. لازم يسافر لعمه.. طيب هو في حد ساب الشغل بردو الإسبوع ده؟».. العجوز بضيق.. «يوووووووووه.. دول خمسة مشيوا في نفس اليوم فيه منهم اللي قال وفيه منهم اللي بطل يجي ومحدش يعرف عنه حاجة».. هنا نظر له يحيى بتمعن.. «مشيوا كلهم تمام.. طيب ممكن تقولي أساميهم ولو معاك عناوينهم يبقى كتر خيرك».. العجوز مبتسمًا «آه.. قوي قوي.. بس بصراحة أنا ما أعرفش عناوينهم، أعرف اساميهم بس».. يحيى أخرج ورقةً وقلمًا وأخذ ما يمليه العجوز.. «ماشي ياحاج هات أساميهم»..

وقف يحيى أمام المتجر يائسًا وهو ينظر إلى ورقة الأسماء بيده.. «طبعًا الأسماء دي كلها وهمية.. وكلهم اشتغلوا من فتره بالمحل وبعد ماخلصوا مهامهم مشيوا.. دول كانوا عاملين عليا رباطية بقى.. أخ ياولاد ال...».. أخذ يتنهد حائرًا وهو يضع يديه على خاصره.. «طيب أعمل إيه دلوقتي.. أعمل إيه؟؟».. بتلك اللحظة ومضت بعض الذكريات برأسه.. حينما كان يقف سامي معه بالصف ويتحدث معه ويحيى لا يعيره أيَّ اهتمام.. فأمسك يحيى فمه مفكرًا.. «هو لما كلمني قالي إنه بيطلب بيتزا دايمًا من محل.. وإن بتاع الدليفري زهِق منه لما كان بيشغله أغنية كل شويه.. يبقى ممكن بتاع الدليفري ده يعرفه أو يعرف مكانه.. طيب ازاي أوصل لبتاع الدليفري ده.. لازم أبحث عنه في جميع محلات البيتزا.. طيب وهعرفه إزاي وهو لا يعرفني ولا أعرفه.. الوحيد المشترك مابينا هو سامي فكري».. أخذ يبتسم يحيى وهو يحدث نفسه.. «أيوه.. أنا ممكن أوصل لبتاع الدليفري لو شغلتله الأغنية اللي بيحبها سامي أكيد هيعرفها ويتضايق منها زي ما سامي قالي.. طيب هو اسم الأغنية إيه.. مش فاكرها خالص مع إن سامي قالي عليها وقالي على اسم مغنيها وقايل إنها أغنية فيلم.. كل اللي فاكره إنه قالي إن الفيلم سنة 2007.. طيب اسم الفيلم إيه.. مش فاكر..».. أخذ يحيى يفكر وهو يتحرك فوق رصيف أحد الشوارع متحيرًا.. «أنا متعلق بقشاية في وسط محيط.. يمكن يكون كل اللي قالهولي سامي أصلاً كدب وبيلعب بيا زي ما بيعمل.. بس أنا حسيت إنه كان مهتم جدًّا وهو بيكلمني.. ممكن يكون بيحب الأغنية والبيتزا دي بجد.. أعمل إيه يااربي.. أعمل إيه».. رفع يحيى غطاء الرأس وأخذ يمسح رأسه بضيق..

«إنما كده كده ماقُداميش حل تاني غير كده.. هو الدليل الوحيد اللي قصادي دلوقتي.. الخطوة الأولى أعرف اسم الأغنية دي ايه.. يا ريتني كنت اهتميت ساعتها».. وهنا تحرك يحيى بعد أن اختمرت برأسه خطة ينوي تنفيذها.. استقل سيارة أجرة وذهب إلى أحد الأماكن بمنطقة المهندسين ووقف أمام أحد الأماكن المغلقة.. نظر إلى يافطتها فوجد مكتوبًا عليها.. «الأبطال للإنترنت والبلايستشين».. دلف يحيى إلى داخل المكان وجلس أمام أحد أجهزة الحاسوب المزود بسرعة إنترنت عالية.. وأخذ ينفذ خطته.. كان يبحث عن أغنية دون أن يعلم ما هو اسمها أو ماهو حتى نوعها.. كل ما كان لديه من معلومات أنها أغنية لفيلم ما صنع عام 2007.. ولكنه كان لديه قناعة أنه يستطيع أن ينفذ بتلك المعلومة الصغيرة خطته كلها.. فأخذ ينفّذها رويدًا رويدًا.. كان الجزء الأول بها هو معرفة اسم تلك الأغنية.. دخل على محرك البحث الشهير وقام بكتابة بالإنجليزية أفلام أمريكية عام 2007 فظهر له 337 فيلم تم إنتاجهم هذا العام لو قام بمطالعتهم جميعًا بمعدَّل عشر دقائق لكل فيلم فإنه سوف يحتاج إلى ما يقارب الثلاثة أيام من البحث المتواصل دون انقطاع وهذا وقت طويل لا يمتلك رفاهية الحصول عليه الآن، ولذلك فكر بأن يقوم باستبعاد أفلام الكارتون والإنيميشن أولاً من قائمة بحثه فقلص عملية البحث بما يقارب 267 فيلم تقريبًا.. ثم قام باستبعاد أفلام الكوميديا وأفلام الرعب والأكشن مؤقتًا ويصب تركيزه على أفلام الدراما، وإذا لم يجد ضالته خلالها سوف يعود للأكشن ومن ثم للرعب.. ظل يبحث بالأفلام الدرامية لمايقارب الساعتين يبحث عن أغاني الأفلام الموضوعة بالأفلام وبالنهاية وجد ضالته.. إنها

نفس الأغنية التي أسمعها له سامي فكري من قبل.. وجدها أغنية لفيلم تم عرضه يوم 21 سبتمبر عام 2007 باسم into the wild واسم الأغنية long nights.. للمغني eddi vedder... قام بتحميل الأغنية على الفور على هاتف قد ابتاعه وبالطبع لم يكن من النوع بس إكس 350، ووضع به شريحة باسم شخصٍ آخر بعد أن أعطى لعامل المتجر إكرامية كبيرة.. بعد أن انتهى من تحميل الأغنية حان الوقت للبدء بالجزء الثاني من خطته.. هو يتذكر من محادثته مع سامي من قبل عن أكلته المفضلة؛ البيتزا.. إنه كان يطلب بيتزا يابانية وهذا النوع بالتأكيد نادر ولا يُبَاع في الكثير من المطعام وهذا سوف يساعده كثيرًا بتقليل إطار بحثٍ عن تلك القشة التي بوسط المحيط.. وبالفعل أخذ يبحث عن مطاعم البيتزا الإيطالية في القاهرة ووجدها تربو عن 213 مطعم.. مع تقليل نطاق البحث قليلاً عن الأماكن التي على أطراف القاهرة مثل التجمع الخامس والقاهرة الجديدة نظرًا لأنها سوف تأخذ وقتًا طويلاً في توصيلها وبالطبع سوف تبرد البيتزا وهذا أمر غيرُ مرغوبٍ لأي شخصٍ سواء المطعم أو من يقوم بالشراء.. وبهذا قد تم تقليل نطاق البحث إلى مايربو 136 مطعم وهذا بالطبع عدد كبير للبحث من خلاله فقام بتقليص العدد عن طريق طرح فروع المطاعم التي لنفس المطعم وهكذا وصل للعد 68 مطعم.. وهنا لم يكن لديه وسيلة أخرى لتقليل تلك المطاعم فقام على الفور بالاتصال على الأرقام الخاصة بتلك المطاعم ويسألهم في عجالة سريعة عن وجود بيتزا يابانية لهم بمكالمة حدَّد لها دقيقتين تقريبًا.. وبعد مكالمات كثيرة وخلال ساعتين تقريبًا.. كان قد انتهى من طلب أرقام المطاعم ال 68 ووجد أن 13 منهم فقط لديهم البيتزا

اليابانية بقائمة طعامهم.. وهكذا دون عناوينهم وبدء رحلة البحث عن المطعم المنشود.. كانت خُطَّتُه الذهاب إلى المطاعم الأقرب منه أولاً، ومن ثم إن لم يجد غايته يتجه إلى المطاعم الأبعد بعد ذلك اختصارًا للوقت فقد تعدت الساعة الثالثة ولن ينتظره الوقت طويلاً.. استقل سيارة أجرة لأقرب مطعم ومن ثم اقترب من عُمَّال الدليفري الذين يجلسون بخارج المطعم دائمًا بجوار درَّاجَاتهم النارية وقام بسؤالهم عن معرفتهم لشخص يطلب منهم طلباتهم ويستمع إلى تلك الأغنية.. وهنا وجدَ رَدَّ فعلٍ مُختَلِفٍ من العمَّال فمنهم من أخبره بأنه لا يعلم أحدًا يسمع ذلك ولكن معظمهم كانوا ينظرون له مرتابين.. فسأله أحدهم بطريقة مباشرة.. «هو انت تبع الإدارة وجاي تختبرنا ولا إيه.. إحنا مانعرفش حاجة».. وهنا علم يحيى بأن عُمَّال الدليفري لن يساعدوه بملء إرادتهم إما خوفًا من أن يكون أحد المديرين المتخفيين الذين يشرفون عليهم أو أن يكون أحد مخبري الشرطة ويورطهم بشيءٍ ما.. فوجد أن بابَه مسدودٌ بعد أن ذهب إلى المطعم التالي ووجد نَفْسَ رَدِّ الفعلِ تقريبًا.. هنا قرَّر يحيى أن يُغيِّر استراتيجيَّتَه فبدلاً من واجِهَةِ عُمَّال الدليفري مباشرةً فإنه سيفعل معهم استراتيجية مغايرة مثل ما فعل الإرهابي والمترو.. لن يواجههم مباشرة ولكنه سيستشف ردود أفعالهم.. فبداية من المطعم الثالث كان يتصنع يحيى أنه يقف منتظرًا طلبًا لَـهُ ويقف بالقرب من عُمَّال التوصيل ويقوم بتشغيل أغنية the long night.. لأن سامي أخبره بأنَّ عامل التوصيل يمقت تلك الأغنية من كثرة سماعها له دائمًا عنده.. وأخذ يُراقِب ردَّ فِعْلِهم تجاه ما يسمعونه.. ولكن وجد أن رد فعلهم الوحيد هواللامبلاة وتجاهله تمامًا مع نظرات مرتابة له كل بضع

لحظات.. علم حينها يحيى بأن هذا المطعم ليس ضالته فتوجه للمطعم المقبل وحدث مثل ما حدث مع السابقين من عدم اللامبالاة والاهتمام ولكن هنا علم يحيى بأن أحد العمال غير متواجد ويقوم بتوصيل طلبية لأحد الزبائن وهنا قرر يحيى بأن ينتظره لعلَّه يكون هو ضالته المنشودة.. مرَّ وقت الانتظار كالدهر على يحيى وشعر بأنه قد أضاع الكثير من وقته الثمين فلقد مرت نصف ساعة بأكملها حتى عاد العامل أخيرًا واستبشر حينها يحيى عندما رآه وشعر بأنه أمله المنشود.. فهب مسرعًا بالقرب منه وقام بتشغيل الأغنية ولكن لم يعِرْهُ العامل أيَّ اهتمام وأخذ يتحدث إلى بعض زملائه ثم دلف إلى داخل المطعم.. شعر يحيى باليأس يجتاحه وأن خطته تلك بلا جدوى وأنه بالتأكيد سامي كان يخبره بالهراء كل تلك الفترة وأنه يطارد سرابًا ووهمًا وأنه لن يجده أبدًا.. أظلم العالم بوجهه وشعر بأنه يطارد المستحيل ولكن على الرغم من حالته النفسية تلك ولكنه قد أصر على استكمال الأمر حتى نهايته لأنه يعلم جيدًا أنه لو توقف الآن فسوف يلوم نفسه لباقي حياته ولكن لو قام بتنفيذ خطته حتى النهاية وفشلت فسوف يكون فشله هذا أقل إيلامًا من نفسه اللوامة.. واستمر يحيى يتحرك من مطعم إلى آخر ويفعل ما يفعله مع عمال التوصيل ولكن بصبر أقل فإنه عندما يمر بهم وهو يشغل الأغنية على هاتفه ولا يجد منهم أيَّ اهتمامٍ فيتركهم سريعًا ولا ينتظر أحدًا يكون بالخارج حتى يعود فهو قد تمكَّن منه اليأس وشعر أن ما يفعله تحصيل حاصل.. كرَّرَ الأمر عدة مرات حتى أصبحت الساعة السابعة مساء وحلَّ الليل عندما كان بطريقه للمطعم التاسع وهنا شعر بالجوع فقرَّر أن يطلب بيتزا بالجبنة

ليتناولها رمقًا لجوعه من المطعم القادم.. هبط أمام المطعم وذهبت سيارة الأجرة خلفه مسرعة، توجه بشكل روتيني إلى عمال التوصيل وقام بتشغيل الأغنية بجوارهم وكالمعتاد لم يبدِ أحدهم أي اهتمام وهنا لم يبدِ يحيى أي اهتمام أيضًا وذهب إلى داخل المطعم ووقف أمام الكاشير فوجده يأخذ حسابًا من شخصٍ آخر قبله فوقف يحيى منتظرًا أن ينتهي.. وهنا شاهد عامل ديلفيري يدلف بداخل المطعم فقام سريعًا بتشغيل الأغنية على الهاتف ولكن عامل الديلفيري كان قد تحرك مسرعًا إلى الداخل قبل أن يشغلها يحيى.. فترك يحيى الأغنية تعمل وهو يلعن حظه وعدم سرعة رد فعله فحدَّثَه الكاشير مبتسمًا.. «أؤمر يا افندم».. أغلق يحيى بضيق الهاتف وتحدث إلى الكاشير.. «عايز بيتزا ميديم جبنة مشكلة والإضافات عليها تبقى جبنه بردو لو سمحت».. الكاشير يضغط على الجهاز أمامه ثم يحدثه «حضرتك هتاخدها معاك».. يحيى أومأ براسه «آه.. هاخدها معايا مش هاكل هنا».. أخذ يضغط الكاشير على بعض الأزرا أمامه.. «الحساب 102 يافندم».. ناوله يحيى النقود ووقف منتظرًا أن ينتهي.. أثناء ذلك خرج عامل التوصيل يحمل علبة بيتزا بيده وتحدَّث إلى الكاشير.. «رؤوف.. أنا خارج أوصَّل البيتزا الياباني دي علشان لو سعيد سأل عليَّا تقوله إني بره».. أومأ له الكاشير: «ماشي هقوله».. هنا جحظت عينا يحيى وهو يستمع لمحادثتهما.. فأعطاه الكاشير باقي نقوده فأخذها يحيى واجمًا.. فتحدث إليه الكاشير.. وهو يعطيه ورقة «حضرتك هتستلم الأوردر بتاعك من الكونتر اللي هناك».. فأخذ يحيى منه الورقة واتجه إلى ناحية الكونتر ولكنه توقف مترددًا ومن ثم عاد مسرعًا إلى خارج المطعم وسط نظرات اندهاش من الكاشير

الـذي نـادة عليـه: «يـا أسـتاذ.. الأوردر يـا أسـتاذ».. ولكـن لم يعـيِره يحيـى أيَّ اهتـمام وتبـع عامـل التوصيـل إلى الخـارج ليشـاهده يتحـدث إلى أحـد زملائـه ويقـوم بتحضـير طلبيـة البيتـزا ويضعهـا بصنـدوق دراجتـه.. نظـر يحيـى حولـه سريعًـا فلـم يجـد سيارة أجـرة بالقـرب منـه.. فقـام عـلى الفـور بإخـراج هاتفـه وتصويـر رقـم لوحـة الدراجـة الناريـة دون أن يشـعر عامـل التوصيـل.. ثـم نظـر إلى الشـارع وهـو يفكـر بسرعـة كيـف سـيخرج العامـل هـل إلى الأمـام أم إلى الخلـف.. لم يكـن لـه خيـار إلا أن يـراه وهـو يغـادر وبلحظـاتٍ كان عامـل التوصيـل يغـادر إلى الأمـام جهـة الشـارع الرئيـسي.. ركـض يحيـى سريعًـا ليلحقـه ولكنـه لم يسـتطع أن يجاريـه بسرعتـه فتوقـف لاهثًـا عنـد بدايـة الشـارع الرئيـسي فوجـد سـيارة أجـرة بالقـرب منهـا فأشـار لهـا فسـأله السـائق سريعًـا.. «عـلى فـين يـا بيـه؟».. أجابـه يحيـى لاهثًـا.. آ»خـر الشـارع وهديـك زيـادة عـن العـداد 200 جنيـه».. ابتسـم لـه السـائق «اركـب ياباشـا».. ركـب يحيـى سـيارة الأجـرة وانطلـق بطريقـة.. أخـذ يبحـث عـن عامـل التوصيـل أمامـه فلـم يجـده.. بوسـط الشـوارع ومـا بـين السـيارات.. هـو يعلـم بأنـه مـازال بالإمـكان تداركـه إذا قـام سـائق التاكـسي بزيـادة سرعتـه ولكـن إذا طلـب منـه يحيـى أن يتتبـع عامـل التوصيـل فسـوف يرتـاب ومـن الممكـن أن يطلـب منـه مغـادرة سـيارته وبهـذا سـيضيع منـه عامـل التوصيـل للأبـد.. وهنـا طـرأت عـلى رأسـه فكـرة شـيطانية.. فقـام بإمسـاك هاتفـه بيـده اليمنـى بعيـدًا عـن أعـين السـائق وقـام بتشـغيل الأغنيـة التـي عـلى الهاتـف ثـم تصنـع أن شـخص يتصـل بـه فأمسـك الهاتـف وقـال بصـوتٍ عـالٍ.. «ألـو.. أيـوه ياحسـن.. إزيـك ياحبيبـي.. أخبـارك إيـه.. أنـا والله كنـت في مشـوار كـده في شـارع شـهاب.. انـت فـين.. ياراجـل في شـارع شـهاب برضـو ..

فين في شارع شهاب.. إيه لابس هدوم الشغل ومعاك الماكينة ومروح.. طيب استنى.. استنى.. أنا راكب تاكسي أهو هدور عليك وأقابلك ونروح مع بعض.. ثم أمسك الهاتف بيده وتحدث إلى السائق بجواره.. «بقولك إيه يا أسطى.. معلش دوس بنزين شوية علشان ابن أختي راكب ماكينة الشغل ومروح وعايز أخده في سكتي».. السائق مبتسمًا.. «ماشي ياباشا.. بس الأجرة زي ما اتفقنا».. يحيى مبتسمًا.. «آه طبعًا زي ما اتفقنا..».. قام السائق بزيادة سرعته.. «خلاص اتكلنا على الله».. ثم تصنع يحيى أنه يتحدث بالهاتف مرة أخرى.. «طيب يا حسن علشان مانغلبش السواق معانا.. إنت لبس الشغل اللي لابسه إيه؟».. نظر إلى السائق وهو يتصنع الحديث مع حسن.. «إيه لونه برتقالي.. ومكتوب عليه مطعم فيدينو بيتزا.. طيب تمام تمام».. ثم تحدَّث إلى السائق.. «مكتوب على هدومه مطعم فودينو بيتزا يا أسطى ولابس برتقالي».. السائق بضيق.. «طيب وهو أنا هركز في السواقة ولا هركز في هدومه لا مؤخذة».. يحيى بقلق.. «لا.. ركز انت في السواقة وسيبني أنا أدور عليه.. دوس بس بنزين شوية».. ضغط السائق على دواسة البنزين.. «أهو.. عمالين نحرق في بنزين أهو».. شعر يحيى بالقلق من تذمر السائق وأيضًا من عدم رؤيته لعامل التوصيل طوال هذا الوقت.. وهنا شاهده من بعيدٍ على بُعد ثلاثين مترًا تقريبًا يقود دراجته بملابسه البرتقالية اللافتة.. تحدَّث يحيى إلى السائق.. «أهو يا أسطى هناك أهو..» فأجابه السائق سريعًا.. «آه شفته خلاص».. يحيى تصنع أنه يتحدث إليه بالهاتف.. «خلاص ياحسن أنا شفتك أنا والسواق

أهـو.. هنمـشي وراك لحد مـا توصـل وهقفـل معـاك علشـان تركـز ربنـا يسـتر طريقـك.. حبيبـي يـا حسـن.. يـلا سـلام ياحبيبـي..» ثـم أغلـق الهاتـف وتحـدث إلى السـائق.. «خـلاص يـا أسـطى إمـشي وراه براحتـك بقـى.. أهـم حاجـة مايغبـش عـن عينيـك علشـان مانلفـش وراه تـاني».. أخذ يتلفـت السـائق حولـه وهـو ينظـر للطريـق.. «ماشي يابيـه».. ابتسـم يحيـى بخبـثٍ وهـو يشـاهد السـائق يتابـع الدراجـة الناريـة كـما خطـط تمامًـا.. مـرت عـشرون دقيقـة تقريبًـا وتوقـف عامـل التوصيـل أمـام أحـد المبـاني.. فترجَّـل يحيـى مـن سـيارة الأجـرة بعـد أن حاسـبها بسرعـة وبـدون اهتـمام.. وتحـرك يحيـى ليقـف أمـام المبنـى الـذي دلـف بداخلـه ولكـم كانـت صدمتـه كبـيرة عندمـا تطلـع إلى ذلـك المبنـى.. واقفًـا فاغـر الفـم مصدومًـا مشـدوهًا.. وعقلـه يـكاد يجـن.. أيعقـل هـذا.. أيعقـل.. دقـت ضربـات قلبـه كالطبـول وهـو يشـعر بالغبـاء الشـديد.. هـل يعقـل أن يكـون بمثـل هـذا الغبـاء.. أراد مغالبـة ظنونـه وقطـع الشـك باليقـين.. فهـو عـلى بُعـد خطـوات مـن الحقيقـة الكاملـة أو هكـذا كان يظـن.. دلـف إلى داخـل المبنـى وهـو يـكاد يجـن.. إنـه هـو.. انـه نفـس المبنـى بنفـس سـلالمه.. صعـد يحيـى عـدة طوابـق وبالطابـق الثالـث وجـد عامـل التوصيـل ينظـر لـه وهـو عائـد ويقـوم بعـد النقـود بيـده فنظـر لـه نظـرة عابـرة ثـم تركـه وهبـط.. صعـد يحيـى الطابـق ووجـد أمامه شـقتين واحدة عـلى اليمـين وواحـدة عـلى اليسـار بابهـا مفتـوح قليـلاً.. هنـا شـعر يحيـى بالصدمـة الشـديدة تجتاحـه.. فهـو لم يكـن يتوقـع هـذا أبـدًا.. فظـر إلى بـاب الشـقة اليمنـى فوجـده هـو بالضبـط.. نفـس الشـقة التـي كان يجتمـع بهـا البهـادرا مـع رجالـه وخدعـه سـامي وجعلـه يذهـب إليهـا..

أمـام شـقة البهـادرا كان بـاب الشـقة المقابلـة لهـا مفتوحًـا قليـلاً.. هنـا اندفعـت الدمـاء إلى رأس يحيى وتحـرك بسرعـة جهـة بـاب الشـقة الأيـسر وفتحـه ليجـد أمامـه مشـهدًا لم يتصـور بـأن يـراه أبـدًا.. سـامي فكـري يقـف أمـام مكتـب حاسـوب ومعـه شـخصان يـأكلان مـن قطـع البيتـزا بنهـم شـديدٍ.. وعندمـا شـاهد سـامي يحيـى أمامـه ابتسـم وهـو يمضـغ طعامـه.. «أهـلاً يـا يحيـى.. اتأخـرت ليـه.. أنـا مسـتنيك مـن بـدري يـا راجل..»..

****

تصدمـه سـيارة بجانبـه.. الأمـين متـولي يـصرخ عليـه.. الشـحاذون يركضـون وراءه.. يقـود سيارة مايكروبـاص والـركاب يصفقـون وراءه.. يقـف دامعًـا أمـام بـاب منى الشيمي وهـي تبكـي وتـصرخ عـلى ابنتهـا من داخـل الغرفـة.. اللـص يرفـع عليـه سـكينة بداخـل المـترو.. الفتاة الروسـية تخنقـه بسـلك البيانـو بينـما يشـاهد ياسـين تخـترق قدمـه معـول الصعيـدي.. الصعيـدي ينظـر لـه مـن زجـاج السـيارة وهـو يضحـك والدمـاء تسـيل مـن وفمـه والمعـول قـاب إنشـين مـن رأسـه.. جميعهـا لمحـات طغـت عـلى ذاكرتـه.. اختلطـت بشـكل سريـع للغايـة ومـرت أمـام عينيـه وهـو ينظـر إلى سـامي فكـري أمامـه وهـو يبتسـم ويـأكل بنهـم وبلامبـالاة حينـما رآه.. كل تلـك المشـاعر المتضاربـة مـا بـين الفـرح لإيجـاده سـامي والدهشـة مـن رد فعلـه والغضـب ممـا فعلـه معـه دارت بعقلـه.. لم يسـتطع إلا أن يفجرهـا بوابـل مـن الصريـخ واللكـمات عـلى وجـه سـامي الـذي سـقط عـلى الأرض سريعًـا بعـد أن لكمـه يحيـى لكمتـين متتابعتـين.. الرجـلان اللـذان مـع سـامي أمسـكا يحيـى بقـوة ليمنعـاه مـن الفتـك بسـامي ولكـن هيهـات أن يتركـه فقـام عـلى الفـور بدفـع أحدهمـا بقـوة وأخـذ يدفـع الآخـر الـذي تشـبث بذراعـه كالعصفـور الصغـير عـدة مـرات حتـى ألقـاه عـلى الحائـط.. وقـف سـامي ليتحـدث معـه فركلـه يحيـى بمعدتـه

فأمسك سامي معدته متألمًا وسقط على الأرض والرجلان أمسكا بيحيى وهما يحاولان تقييده ولكنهما لم يستطيعا أن يمنعاه من إيصال بعض اللكمات الطائشة إليهم.. سامي ما زال ساقطًا على الأرض أمامه وهو ينظر إلى يحيى الذي يندفع بين الرجلين كالثور الهائج.. فتنهد وأخذ يمسح الدماء من فوق فمه ثم تحرك جهة يحيى بسرعة شديدة ووضع إبهامه خلف رقبة يحيى وضغط بقوة وهنا شعر يحيى بشعور غريب للغاية.. لم يستطع أن يتحكم بجسده إطلاقًا وانهار ساقطًا أرضًا.. نظر له سامي وهو ساقط على الأرض.. «ماتقلقش.. أنا ماعملتلكش حاجة.. كل الموضوع اني ضغط على نقطة أعصاب عندك علشان تهدا شوية».. يحيى غاضبًا.. «إنت عملت إيه.. عملت فيا إيه».. تحرك سامي جهته ووضع إصبعه على جهة أخرى من رقبته وضغط عليها وهنا شعر يحيى بالدماء تركض بعروقه وتصل إلى أطرافه وبدأ يشعر بجسده من جديد.. أخذ يحيى يتحرك ببطء فصرخ على سامي غاضبًا.. «إنت عملت في جسمي إيه.. ؟»

«ماتقلقش.. ماتقلقش.. استخدمت نقطة ضعف في جسمك ورجعتها تاني.. ماتزعلش مني بس كان لازم أعمل كده علشان تهدا ونعرف نتكلم مع بعض بعقلانية».. وقف يحيى بصعوبة وهو مازال غاضبًا.. «كلام إيه.. هو لسه فيه ما بينا كلام».. سامي مبتسمًا.. «طبعًا.. أومال إيه.. ده هيبقى في ما بينا كلام وكلام وكلام.. أنا قولتلك نفّذ مهمتك الأخيرة وتمسكني وساعتها هجاوبك على أي سؤال.. وانت نجحت في مهمتك على أكمل وجه.. بصراحة ماكنتش متوقع إنك هتوصلّي عن طريق البيتزا اللي كلمتك عليها قبل كده.. أحييك على ذكائك وخطتك دي.. بس كان فيها مشكلة بسيطة.. لأني

أنـا بجيب مـن مطعـم غـير الـلي كنت فيـه.. وانـت كنـت هتفضـل تـدور وتـدور وممكـن تيـأس وماتكملش وده هيضيـع مننـا وقـت كبـير.. فقُلـت أسـاعدك تجيلنـا هنـا أسرع شـوية».. يحيـى مسـتغربًا..» تسـاعدني؟!»

سـامي سـاخرًا.. «طبعًـا سـاعدتك.. اومـال انـت فاكـر إن فجـأة صدفـة كـده وانـت بتجيب بيتزا أقـوم أنـا طالـب صدفـة بـردو في نفس الوقـت البيتـزا اليابـاني الـلي انـت بتـدور عليهـا».. صمـت يحيـى وهـو يشـعر بأنـه بالفعـل أمـر غريـب أن يحـدث كل ذلـك مصادفـة».. سـأله يحيـى بفضـول.. «خـلاص مـدام لسـه بنلعـب لعبتـك يبقـى أنـا نفـذت المطلـوب منّـي كلـه وجـه الوقـت الـلي تفهمني كل حاجـة».. أخـذ يشـير سـامي إلى الرجلـين بجـواره.. «خـلاص ياجماعـة شـوفوا شـغلكم..»..

فتوجـه الاثنـان أمـام حاسـوبين بشاشـات كبـيرة بهـا صـورة صغـيرة لأنحـاء كثـيرة مـن مـصر يتابعـان مـا يـدور بهـا باهتـمام.. وأخـذ يتابعهـما يحيـى باهتـمام شـديد فقاطعـه صـوت سـامي وهـو يحدثـه.. «عايـز تعـرف إيـه يـا صديقـي».. يحيـى بضيـق: «كل حاجـة.. عايـز أعـرف كل حاجـة.. انتـم مـين.. وليـه اخترتـوني.. والمهـمات الـلي كنـت بعملهـا دي كانـت ليـه وعلشـان إيـه.. وليـه كنتـم عايزيـن تقتلـوني في جـراح المستشـفي وليـه دلوقتـي غـيرت رأيـك وعايـز تجـاوب عـلى أسـئلتي.. بدماغـي مليـون سـؤال كلهـم عايزيـن إجابـة».. تنهـد سـامي وجلـس عـلى منضـدة يضـع عليهـا الحاسـب خلفـه.. «اح.. هقولـك عـلى كل حاجـة.. بـس الأول اقعـد علشـان الموضـوع هيطـول شـوية».. وأشـار إلى مقعـد بجـواره أمـام المكتـب.. نظـر لـه يحيـى بضيـق..» لا.. أنـا كـده مسـتريح..»..

سـحبه سـامي مـن يـده وأجلسـه عـلى المقعـد بسرعـة.. «ياجـدع بقولـك اقعـد ماتبقـاش دماغـك ناشـفة».. جلـس يحيـى عـلى المقعـد بضيـق

وأخـذ يسـتمع إلى سـامي الـذي داعـب يديـه وأخـذ يتحـدث إليـه..
«بـس ياسـيدي.. قبـل كل حاجـة أنـا إسـمي سـامي فكـري زي مـا انـت عـارف.. وانـا أبقـى رئيـس منظمـة اسـمها السـامريون الجـدد.. تسـمع عـن السـامريين؟»..

«أيوه.. مش دول نوع من انواع إليهود في عداوة مع باقي اليهود.»

سـامي مبتسـمًا.. «بالظبـط.. لكـن دول مـش احنـا.. السـامريون الجدد ماهمـش توجـه عقائـدي.. الـكل مرحـب بيـه بينـا.. السـامريون الجـدد دول نسـبة لقصـة السـامري الصالـح.. ودي قصـة مشـهورة بتحكـي باختصـار عـن واحـد يهـودي كان مسـافر وطلعـوا عليـه نـاس في صحـراء سرقـوه ومـر عليـه اتنـين منهـم رجـال ديـن يهـود مرموقـين ومحـدش فيهـم سـاعده ولكـن بعديهـم مـر عليـه راجـل سـامري ومعـروف إن السـامريين بيكرهـوا إليهـود والعكـس صحيـح.. لكـن عـلى الرغـم مـن العـداوة دي وإن المصـاب في الصحـراء عـدوه إلا إن السـامري ده خـده وعالجـه ورعـاه ونزلـه في فنـدق وقـال لصاحـب الفنـدق أي مصاريـف هيحتجهـا اكتبهـا عليـا.. وبكـده سـاعد عـدوه اليهـودي الـلي اليهـود نفسـهم مارضيـوش يسـاعدوه.. هـو ده شـعار السـامريين الجـدد.. نسـاعد أي شـخص يحتـاج للمسـاعدة حتـى لـو كان عدونـا.. علشـان كـده السـامريين الجـدد منتشريـن في العـالم كلـه وفيهـا نـاس مـن كل الملـل والأديـان والأجنـاس المختلفـة.. الـلي بيجمعنـا فكـر مـش عقيـده.. والفكـرة دايـمًا أقـوى مـن أي عقيـدة».. أخـذ يسـتمع إليـه يحيـى بتركيـز بينـما اسـتمر سـامي بمتابعـة سرده لـه «أنـا عايـزك تاخـد بالـك مـن حاجـة مهمـة.. إوعـى تفتكـر إن احنـا بنشـتغل في الخفـاء أو إن الحكومـات والـدول ماتعرفـش بوجودنـا

على العكس تمامًا.. معظم المنظمات على مرأى ومسمع من العالم كله.. التنوريين والماسونين والجماجم والعظام والياكوزا والمافيا وغيرهم وغيرهم.. مفيش أي دولة أو حكومة في العالم تقدر تمنعهم.. لأن الحكومات والعالم مكون من بشر والبشر بيختلف تفكيرهم دوليًا ولكن بتتجمع مصالحهم عالميا.. علشان كده هتظل المنظمات دي دائمًا وأبدًا موجودة.. كل المنظمات بتجمعها مصالح مشتركة وتوازن قوى مفيش منظمة تقدر تسطو على أهداف وموارد منظمة أخرى.. إلا منظمة واحدة بس.. «الوايت هاند».. هي الوحيدة اللي محدش قِدِر يوقفها لأنها بتعتمد على أذكى عقول في العالم وبيديرها دايمًا شخص عبقري بيسمى بالبهادرا.. منظمة الوايت هاند كانت قايمة على فعل الخير ومساعدة الناس وتأهيلهم لانتظار..»اليوسي هموشيع» أو المسيح المخلص اللي هيخلص العالم من كل شروره وكأي جماعة شايفة نفسها هي الصح والباقي غلط وهي الحق والباقي الشر والباطل اتقلبت أفعال الوايت هاند إلى كل شيء قامت ضده ومن هنا جه وقت السامريين الجدد للتدخل لوقف أفعال الوايت هاند.. مش هخبي عليك قعدنا ندمر في بعض 7 سنين.. كل منظمة بترمي بكل اللي بتملكه من موارد وعقول والمنظمة اللي بتمتلك عقول أذكى هي اللي هتنتصر في الآخر.. لحد ما جَت مهمة الوايت هاند الأخيرة في مصر وظهور الإتش ون اللي هتغير مجري اللعبة للنهاية.. وتقدر تسيطر الوايت هاند بيها على العالم».. أثار حديث سامي فضول يحيى.. «إتش ون.. إيه الإتش ون ده؟».. سامي مبتسمًا.. «هنوصلها.. بس في الأول لازم تعرف أهداف الوايت هاند في مصر إيه.. لأن الموضوع ده متصل بيك انت..».. هنا ابتلع يحيى

ريقه بقلقٍ.. فتابع سامي حديثه.. «الوايت هاند ليها اهتمام كبير جدًّا في مصر وبصراحة مش الوايت هاند بس.. كل منظمات العالم ليها اهتمام بمصر لأنها أكبر دولة في المنطقة من حيث السكان وتمركزها السياسي والديموغرافي وموقعها الاستراتيجي الهام.. ولكن على عكس كل المنظمات اللي بتتدخل بطرق غير مباشرة.. الوايت هاند دخلت بقوة وثقل كامل.. الوايت هاند عندها موارد وإمكانيات في كل أنحاء العالم ومنها شركات دوائية ضخمة زي شركة سماركو»..
هنا شعر يحيى بالغضب الشديد عندما سمع اسم سماركو من سامي الذي تابع حديثه إليه وهو يبتسم.. «طبعًا دي الشركة اللي سرقت منك براءة اختراع عقار التريبفون بتاعك.. ده يدل على مدى قذارة الشركات دي واللي كلها بتعمل تحت منظمة الوايت هاند.. طبعًا علشان حجم الأدوية اللي بتنتجها فهي محتاجة سوق ضخم تبيع فيه منتجتها ولكن ما اكتفوش بمصر كسوق بس ولكنهم رغبوا إنهم يستخدموا سكانها كحقل تجارب لأدويتهم وعقارتهم.. اتفقوا مع بعض النواب وأعضاء في الحكومة المصرية إنهم يمرروا عدة قوانين تساعدهم في مقابل رشاوي مالية ضخمة.. وأهم تلك القوانين..
قانون بيتيح إجراء التجارب السريرية على المرضى المصريين في المستشفيات الحكومية وقوانين تانية تتيح تجارة الأعضاء بطرق وهمية مثل إنهم يستأصلوا أعضاء المرضى اللي حياتهم ميؤس منها أو ضحايا الطرق والكوارث بدل ما يتم علاجهم هيتم استئصال أعضائهم على طول.. مستغلين أن مصر بقت أكبر دولة على مستوي تجارة الأعضاء في العالم فكانوا عايزين يستغلوا الأمر ده ويقننوه.. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. ناس كثير من الحكومة واعضاء النواب

رفضت تمرر القوانين دي فقامت الوايت هاند بعدم تقبل الأمر ده وهنا البهادرا بنفسه رفض أن يمر الأمر كده وقرر إنه يغير شكل مصر كلها خلال ثلاثة أيام.. لأن الوضع السياسي والاقتصادي في مصر متشابك.. 80٪ من الاقتصاد المصري في إيدين رجال أعمال من 20 أسرة.. ومعظم رجال السياسة والقانون متزوجين من العائلات دي.. فالوضع سهل جدًّا للوايت هاند.. تقوم باغتيال كبار رؤوس العائلات دي فينشب صراع كبير ما بين أفراد العائلة على الورث وتتفكك الشبكة الاقتصادية الضخمة دي بسرعة كبيرة جدًّا وتنخفض أسهمهم بالبورصة.. وهنا تسيطر الوايت هاند على الأسهم دي.. الشق الثاني السياسي.. عمليات اغتيال سريعة ومتلاحقة لبعض أعضاء الحكومة والمرشحين لخلافتهم ولعدد كبير في نفس الوقت يظهر أن في تعمد واضح للاغتيالات دي مما ينتج عنه تقدم عدد كبير من أعضاء الحكومة باستقالتهم علشان يبعدوا عن مصدر الخطر وفي نفس الوقت هيتقدم اذرع الوايت هاند من الحكومة ساعتها والحكومة هتشكرهم كمان علشان تضحياتهم الخطيرة دي وفي خلال 3 أيام بالظبط هيكون كل شيء انتهى والحكومة والاقتصاد بقم تحت رحمة الوايت هاند وده اللي حصل بالظبط لولا تدخلنا ومنعنا تنفيذ مخطط الوايت هاند بنفسنا».. يحيى متسائلاً.. «مادام أهدافكم نبيلة كده زي مابتدعي ليه مابلغتوش معلوماتكم للشرطة علشان تقدر تكشف المخطط ده وتعطله..»

سامي مبتسمًا.. «الموضوع مش سهل زي ما انت فاكر كده يا يحيى.. الشرطة عندكم وفي البلاد العربية كلها متعودة دايمًا على رد الفعل . كشف الغموض عن الحدث ولكن بعد حدوثه.. ماعندهمش

قدرات تحليلية استباقية تمنع حدوث الموضوع ده.. وماتنساش قدرة الوايت هاند ومواردهم الجبارة.. وكمان خطتهم دي مش معمولة في يوم ولّا اتنين دي خطة ناتجة عن دراسة سنوات طويلة للأوضاع في مصر وكمان أنا علشان أقدر أمنع تنفيذ مخطط الوايت هاند في مصر كنت بجهز بقالي 8 شهور للخطة دي.. حتى لو كانت الحكومة المصرية تعرف وعندها كل الإمكانيات مكانوش هيقدروا يوقفوا أبدًا الإتش ون.. لأن مافيش حد في الدنيا يقدر يوقف خططهم بالإتش ون غيري أنا بس.. وبمساعدتك طبعًا..».. يحيى متمعنًا في حديثه للحظات سأله بفضول شديد.. «إيه بقى الإتش ون ده اللي عمال تكلم عليه من بدري؟»

وقف سامي وتنهد بقوة.. «الإتش ون.. الإتش ون ده.. شيء خطير جدًّا.. يمكن أخطر شيء تم اكتشافه حتى الآن.. أخطر من أي سلاح سيتم استخدامه لأنه هو نفسه سلاح خطير.. وعلشان تفهم الإتش ون لازم تركز جدًّا في كل كلمة أنا بقولهالك دلوقتي.. لأن مفيش وقت نقعد نعيد كلامنا ده تاني..».. ابتلع يحيى ريقه بقلق ثم اعتدل بجلسته وأخذ يصغي لسامي بحماسة..

«بُص الإتش ون ده عبارة عن عقار زي التريبفون اللي انت صنعته ولكن مع الفرق الكبير جدًّا لسبب إنتاج كل عقار منهم.. انت صنعت التريبفون لعلاج الناس.. أما الإتش ون تم صنعه لقتلهم..».. يحيى بفضول شديد.. «قتلهم.. إزاي فهمني؟»

«بص ياسيدي.. الإتش ون ده مادة مركَّبة تم استخلاصها من نبات اسمه العلمي السنفلين ومشهور وسط العالم السفلي باسم سم

الشيطان.. النبتة دي اللي بيستهلكها بيحصله حاجة غريبة جدًّا.. بيبقى مطيع جدًّا لدرجة فقده القدرة على نفسه وتنفيذ أي أمر يُوجّه له ومايقدرش يخالفك في أي أمر تطلبه منه والأسوأ من كده إن مع استهلاك نسبة معينة منه بيحصل خلل كبير في أداء الناقل العصبي مما يسبب بدوره خلل في أداء وظائف المخ وبشكل محدد وظيفة تخزين الأحداث في الذاكرة بنوعيها سواء قصيرة الأمد أو طويلة الأمد.. أي إن الإنسان أثناء تناوله لنبات سم الشيطان ده بينفذ أي أمر تطلبه منه وكمان مابيفتكرش اللي عمله أبدًا ولا كأنه عمله من الأساس..».. يحيى مندهشًا.. «يا نهار أبيض.. ده مصيبة سودة، النبات ده لو انتشر بين الناس».. قاطعه سامي سريعًا.. «ماهو ما انتشرش بين الناس لعدة أسباب أولها أن مخابرات عدة دول بقت تستخدمه وتحصل عليه بكميات كبيرة والمافيا وبعض المنظمات الدينية علشان تسيطر على إنتاجه ولكن حدث أعراض جانبية كثير للنبات ده أهمها إن الإنسان اللي بيتناوله بعد مرور وقت قصير بيتحول لشخص عدواني جدًّا ومابيفرقش مابين العدو أو الحبيب ساعتها..»

يحيى ملاحقًا.. «بيتحول لشخص عدواني ومالوش إرادة.. يعني بمعنى أصح بيتحول لزومبي»

سامي مبتسمًا.. «عليك نور.. بيتحول لزومبي.. هو ده التشبيه الصح.. إيه فايدة إني بتحكم في واحد ولكن بعد فترة قصيرة مابقدرش أسيطر عليه.. يعني أمتلك سلاح قوي جدًّا ولكنه قابل ينفجر في وشي بأي لحظة علشان كده ولحسن الحظ مابقاش يستخدم على نطاق واسع.. لكن الوايت هاند هنا جت قلبت الطاولة وقوانين

اللعب كلها بمواردها الجبارة ومساعدة شركات أدوية بتاعتها صنعت عقار الإتش ون المستخلص من نابتة سم الشيطان وجعلته مادة ماهاش ولا طعم ولا لون ولا ريحة وسهل دمجها مع أي حاجة تانية والناس ماتلاحظش مع بقاء نفس القدرات الثانية للعقار ولكن البهادرا عمل فكرة عبقرية وبنفس الوقت شريرة جدًّا..»

يحيى متأثرًا: «عمل إيه البهادرا..»

سامي بضيق: «البهادرا قرر يستخدم الإتش ون كسلاحه الأقوى والأسمى ويسيطر بيه على العالم.. وقام بتنفيذ الأمر ده على مرحلتين الأولى إنه استخدم نسبة 18 ٪ من عقار الإتش ون مع مشروب طاقة تاني اسمه باور فانك ودمجهم مع بعض.. مشروب الطاقة بمكوناته الطبيعية جدًّا بيديك نفس مفعُول مشروب الطاقة ومختلط معاه نسبة من عقار الإتش ون غير ملحوظة ولكنها بتجعل متعاطي الباور فانك تحت تأثير الإتش ون لمدة 24 ساعة كاملة ينفذ فيها أي أمر يصدره البهادرا والوايت هاند ليه».. أمسك يحيى برأسِه غَيْرِ مُصدِّق.. «يانهار اسود.. الباور فانك اللي إعلاناته مالية التلفزيون ليل ونهار. ده مصر كلها بتشربه..»

سامي ملاحقًا.. «ماهي دي الكارثة يا يحيى.. تخيل جيش تحت أمرك من الناس العادية جدًّا بينفذوا أي حاجة بتقولها ممكن بأمر منك تعمل مذبحة كاملة يموت فيها ملايين البشر ويدمر بلاد كاملة».. هنا أخذ يداعب يحيى ذقنه.. «علشان كده لما أول مرة قابلتك والبنت البياعة عرضت عليا الباور فانك المجاني إنت خدته مني..».. ضحك يحيى.. «ماكنتش أقدر أخليك تضيع من إيدي يا

بطـل».. نظـر لـه بضيـق.. «وانـا الـلي كنـت بقـول عليـك طفـس وعايزهـا لنفسـك».. تابـع سـامي حديثـه.. «المشـكلة يـا يحيـى إن البـاور فانـك بقـى رقـم 3 في المشروبـات الطاقـة العالميـة تخيـل تغلغـل في الأسـواق بسرعـة رهيبـة إزاي.. معظـم دول العـالم بقـت تحـت رحمـة الوايـت هانـد دلوقتـي وهايجي الوقـت الـلي يسـتخدموا فيـه الـكارت ده لـو ماوقفنهمـش».. أخـذ يفكـر بتعمـق.. «لكـن أنـا مـش فاهـم بـردو .. إزاي الوايـت هانـد هتـدي أمـر لـكل النـاس دي في وقـت واحـد.. دي حاجـة شـبه مسـتحيلة..»

فرقـع سـامي بأصابعـه بالهـواء.. «بينجـو.. هـو ده السـؤال الصـح.. إزاي البهـادرا هيتحكـم في النـاس الكتـير دي في وقـت واحـد.. وده الـلي هـو بينفـذه وبيجربـه في مصر دلوقتـي ومـع نجـاح تجربتـه هيتـم تعميمهـا في العـالم كلـه.. وهنـا نوصـل للشـق الثـاني مـن سـلاح الإتـش ون.. إزاي بيسـتخدم الإتـش ون في عمليـات اغتيالـه سـواء كانـت محـددة أو شـاملة.. وهنـا هيظهـر قدامنـا مفهـوم الرسـائل الضمنيـة.. ياتـرى سـمعت عنهـا؟»

يحيى بحيرة: «لا.. ماسمعتش عنها..»

«طيـب اسـمع كويـس جـدًّا إزاي بيتـم التحكـم في العـالم.. Subliminal Messages أو الرسـائل الضمنيـة دي بتبقـى رسـائل مخصصـة للوصـول للعقـل اللاواعـي بـدون مايشـعر العقـل الواعـي بيهـا.. وعلشـان تفهـم أهميـة الرسـائل دي هشرحلـك حاجـة.. عقـل البـشر كلهـم بيتقسـم لجزئـين عقـل واعـي وعقـل لاواعـي.. عقلـك الواعـي ده بيسـتقبل مـن 2 إلى 9 معلومـة في الثانيـة أمـا العقـل اللاواعـي يقـدر يسـتقبل 2 مليـون معلومـة في الثانيـة.. شـايف الفـرق مهـول إزاي..».. أومـأ يحيـى لـه برأسـه مصدقًـا عـلى حديثـه.. «تمـام.. تمـام..»

تابع سامي حديثه.. «يعني عقلك الواعي دلوقتي مركز معايا ومع كلامي حرف حرف صح..»

يحيى سريعًا.. «صح».. سامي ملاحقًا.. «أومال مين اللي بيتحكم بقى وانت بتكلمني كده في تنفسك..».. نظر له يحيى مندهشًا بينما تابع سامي حديثه.. «مين اللي بيتحكم في ضربات قلبك.. مين اللي بيعمل كل حاجة أثناء انت مش مركز أو سرحان.. هو عقلك اللاواعي.. قدرات أكبر بكتير من العقل الواعي وكمان هو اللي بيكوِّن شخصيتك وقراراتك الداخلية.. إيه بقى اللي بيشكل عند البشر مفهوم الصواب والخطأ.. إيه اللي يخلي البشر لما يشوف حد بيسرق يقول عليه ده غلط.. لما حد بيدي لحد محتاج ساعتها يقول صح.. عقلك الواعي.. هو الحارس اللي بيفلتر ويصفي المعلومات اللي داخلة لعقلك اللاواعي ويقولها ده قرار صح أو قرار غلط.. تخيل بقى لو أنا بعت لعقلك اللاواعي معلومات أنا اللي مشكلها من غير ما تمر على عقلك الواعي ويقولها ده صح وده غلط.. عقلك اللاواعي هينفذها على طول.. هي دي الرسائل الضمنية.. يحاول من خلالها إرسال رسائل لعقلك من غير ماتمر على عقلك الواعي بحيث تأثر فيك بعد كده طول حياتك.. الموضوع ده كان شاغل ناس كتير لفترة ولكنه ابتدا يظهر على السطح بسبب شخص اسمه جيمس فيكري James Vicary وخطرت في بال الراجل ده فكرة جهنّمية عملت ضجّة كبيرة جدًا بعدين وكانت ولا زالت أكثر القضايا المثيرة للجدل!.

«فيكري» سنة 1957 عمل تجربة في إحدى دور السينما في

نيويـورك، واسـتخدم جهـاز «تاتشيستوسـكوب» في عـرض عبـارات تظهـر كل خمس ثـوانٍ بشـكل خاطـف على الشاشـة أثنـاء عـرض الفيلـم، يعنـي المشـاهدين مـش هيلاحظـوا ظهـور العبـارات الخاطفـة خـلال مشـاهدة الفيلـم، والعبـارات دي كانـت إيـه بقـى.. إذا كنـت جعـان كل فشـار واشرب كـولا.. بعـد سـتة أسـابيع وحضـور 45000 مشـاهد، أثنـاء عـرض العبـارات الخاطفـة دي عـلى الشاشـة باسـتمرار، اكتشـف «فيكـري» خـلال مراقبتـه لعمليـة البيـع في الاسـتراحة الخاصـة لـدار العـرض أن نسـبة مبيعـات الفشـار ومشروبـات الكوكاكـولا قـد ارتفـع بشـكلٍ كبـيرٍ! ارتفعـتْ مبيعـات الفشـار بنسـبة 57٪ وارتفعـتْ مبيعـاتُ كـوكا كـولا بنسـبة 18 ٪.. تخيـل نسـبة مبيعـات أدّ إيـه بمجـرد جملتـين بيظهـرو في أقـل مـن الثانيـة علشـان دخلـوا لعلقـك اللاواعـي بـدون أي ممانعـة ..بعـد مـا نـشر جيمـس تجربتـه، الدنيـا اتقلبـت وظهـرت مصطلحـات الرسـائل الضمنيـة لأول مـرة.. هـو صحيـح طلـع جيمـس بعـد كـده وقـال إن الموضـوع ده مفـبرك ومـش حقيقـي ولكنـه حتـى لـو مفـبرك مـع إن كل الدلائـل بتقـول عكـس كـده لكـن الرسـائل الضمنيـة بقـت حاجـة طبيعيـة دلوقتـي بتسـتخدم في الأفـلام والإعلانـات وكل شيء حوالينـا تقريبًـا.. وأقـر ب مثـال عـلى ده في الأفـلام الأمريكيـة.. لـو تابعـت الأفـلام الأمريكيـة مـن 100 سـنه هتلاقـي إن القصـة بتـدور عـن بطـل وبطلـة مـا بينهـم قصـة حـب طبيبعيـة تنتهـي بالجـواز أو مـا خلافـه ولكـن آخـر عـشر سـنين توجـه السـينما كلهـا والألعـاب والموسـيقى إن البطـل شـاذ وغـير طبيعـي وفي علاقـة غـير طبيعيـة ويظهـر للمتلقـي بسـهولة إن الموضـوع ده مقحـم بالقـوة لتقديـم رسـائل معينـة ويطلـع الأطفـال شـايفين أن الـلي بيحصـل ده طبيعـي ويتعـودوا الكبـار

إن الموضـوع ده مـن الحريـات مـع إن تنـاول المخـدرات وتجارتهـا يعتـبر بـردو مـن الحريـات ومـش بعيـد نشـوفهم قريـب بيتباعـوا وبيسـتخدموا بطريقـة قانونيـة علشـان الـلي متحكـم في الإعـلام عايـز يظهـر كـده.. أنـا بحكيلـك الحكايـة الكبـيرة دي ليـه؟ علشـان أقولـك إن ده مثـال واحـد مـن الأمثلـة الـلي بتحصـل.. الرسـائل الضمنيـة دي أشـكالها كتـير جـدًّا ومنهـا الـلي هوريهولـك ده».. وهنـا اعتـدل سـامي بجلسـته وقـام بتشـغيل مجموعـة فيديوهـات لإعلانـات البـاور فانـك.. وأخـذ يتابعهـا يحيـى باهتـمام شـديد.. مـرت عـشرة دقائـق كان شـاهد يحيـى خلالهـا أكثـر مـن 7 إعلانـات لمـشروب البـاور فانـك.. هنـا أوقـف سـامي الفيديوهـات وتحـدَّث إلى يحيـى.. «هـا.. خـدت بالـك مـن حاجـة».. يحيـى أخـذ يداعـب ذقنـه بتركيـز.. «آه.. كل الإعلانـات تقريبًـا لحـن أغنيتهـم واحـدة.. ولحـن ده لأغنيـة قديمـة ومشـهوره جـدًّا وهمـا عاملـين ليهـا إعـادة توزيـع مـن جديـد».. صفـق لـه سـامي بحـماسه.. «برافـو يـا يحيـى.. برافـو.. بـس ماخدتـش بالـك مـن حاجـة تانيـة بتكـرر في الإعـلان.. كلـمات معينـة مثـلاً».. أخـذ يتذكـر قليـلاً.. «آه.. خـدت بـالي إن في كلـمات بتكـرر كثـير في الإعـلان زي ..إمـم.. اسـحق.. ودمـر.. وحطـم.. واهـزم.. حاجـات زي كـده.. واه ..كلمـة 12 هـدف بمـشروب واحـد».. صفـق لـه سـامي مـرة أخـرى.. «الله ينـور عليـك.. الله ينـور عليـك..».. ده الـلي بيحصـل.. بيكـرر جمـل معينـة في كل مـرة في الإعـلان بحيـث تدخـل عقـل المشـاهد اللاواعـي مـن غـير مايشـعر نهائيًّـا.. كـسر.. حطـم.. دمـر.. دي بقـت في عقلـه مـن غـير مـا يشـعر.. ده أمـر البهـادرا ليـه.. لكـن لسـه الموضـوع ماكملـش.. لازم البهـادرا يـدي للمشـاهد هـدف الاغتيـال الـلي هـو عايـزه.. وهنـا يجـي جـزء مهـم جـدًّا.. الدعايـا المموَّلـة.. لـو تلاحـظ

في العشرة أيام السابقة كان معظم القنوات الفضائية بتظهر صور رجال أعمال ووزرا بعينهم وتجيب عنهم أخبار وحوارات وفضائح أي حاجة وخلاص المهم صورهم وأسمائهم تبقى موجوده على كل القنوات.. علشان تنطبع صورتهم في عقل الناس العادية اللي في دماغهم رسائل الاغتيال غير مفعلة لسه.. طبعًا الإعلامين اللي كانوا بيعملوا كده ماكانوش يعرفوا إنهم بينفذوا أجندة الوايت هاند.. هما كانوا بيشوفوا شغلهم وبينفذوا اللي اتعودوا عليه من اللي بيقبضهم أكتر وده حال كل رجال الإعلام في العالم مش في مصر بس.. وكده تكون تمت المرحلة الثانية من مخطط الاغتيال.. وهنا نخش للمرحلة الثالثة.. الموسيقى المصاحبة للإعلان باور فانك.. إشمعنى تم اختيار أغنية قديمة وفي نفس الوقت مشهورة.. علشان يكون ترددها على الأذن سهل ومحبب ونستعيد مشاعر النوستالجيا بسهولة وتكون مقاومة العقل للرسائل الموجودة في الأغنية دي أقل..» هنا اندهش يحيى بشدة.. «رسائل.. رسائل إيه.. هو في رسائل في الموسيقى».. ضحك سامي سريعًا.. «طبعًا في رسائل.. في معظم الأغاني والموسيقى في رسائل.. استنى هوريك».. وهنا قام سامي بسحب سماعات أذن من جوار الحاسب ووضعها طرفها بمدخل الحاسب ثم وضعها على أذن يحيى.. ومن ثم قام بتشغيل الإعلانات وهو يتحدث إليه.. «أنا عايزك تركز كويس قوي دلوقتي.. أنا هالغي كل الأصوات بتاعة الإعلان ما عادا الأصوات اللي ترددها منخفض واسمع بيتقال إيه..» . وقام بتشغيل الإعلانات وهنا أخذ يستمع يحيى مندهشًا وجحظت عيناه غير مصدق.. نظر إلى شاشة الحاسب أمامه ليتأكد من أن مصدر الصوت هو نفسه من الإعلانات وظل

يستمع حتى انتهى الإعلان ثم خلع السماعات من فوق أذنه ويحدثه غير مصدق.. «يا نهار اسود.. كل الكلام ده كان بيشتغل في موسيقى الإعلان من غير مناخد بالنا.. ده ذاكر أسماء ناس بعينها وبيكرر أوامر اقتل ودمر وحطم.. ياخبر أبيض.. إزاي محدش خد باله من الكلام ده..»

ابتسم سامي له.. «يوووووه يا يحيى.. خد من ده كتير.. الأغاني والموسيقى أسهل في الرسائل الضمنية من الصور كمان بالذات لما تبقى الرسائل محطوطة في اغاني مشهورة وبنسمعها على طول بيتقبلها العقل في ثواني.. وزي ما انت شفت دلوقتي البهادرا دمج أكتر من طريقة للرسائل الضمنية للمشاهدين العادين علشان يغتالوا أهدافهم اللي هو حددهم بالصوت والصورة.. ولكن في حاجة وحيدة بس ناقصة.. لازم يبقى فيه أمر أو زناد.. لما منظمة الوايت هاند تطلق على أي حد تحت تأثير الإتش ون ويكون خضع للرسائل الضمنية يتم إلغاء عقله الواعي ساعتها ويبتدي ينفذ أمر الاغتيال المخزن بعقله.. زي التنويم المغناطيسي بالظبط مع إن الفرق هنا إنك مابتعرفش إنك خاضع أصلاً للتنويم المغناطيسي.. والزناد اللي عاملين الوايت هاند لتنفيذ الاغتيالات هو رقم 12.. أي عضو من منظمة الوايت هاند يتأكد إن الهدف اللي مراد اغتياله في نطاقه المحدد.. ويتجه لأقرب شخص عادي يكون متأكدين إنه هو تحت تأثير الإتش ون أو يكون شرب الباور فانك وهنا يقرب منه وهو ماشي عادي خالص ويقوله رقم 12 وفي اللحظة دي بيتلغي العقل الواعي الضحية وتبتدي تظهر الرسائل الضمنية المخزنة بعقله اللاواعي.. اقتل دمر وكسر.. وأول لما يشوف الهدف اللي هيغتاله هتظهر على طول صورته اللي شافها على الإعلام واسمه اللي اتكرر في موسيقى الإعلانات ويبتدي يتحرك

وينفذ الأمر بطريقة عادية هدفها كله القتل والتدمير والتكسير.. ولما يعود لرشده آخر 24 ساعة حصلت من بعد تشغيل الزناد وسماعه لرقم 12 يختفي كل شيء من ذاكرته ولا كأنه عملها نهائي.. وبكده تفضل الشرطة تدور على مبرر أو سبب أو دافع لجرائم القتل دي وماتلاقيش.. وكمان مايقدروش يمنعوا حدوث الجرائم دي لأن في وزيرين اتقتلوا على رغم الحراسة الشديدة اللي حواليهم واحد مات من الحارس اللي بيحميه والثاني مات على إيد بنته.. شفت الإتش ون ممكن يعمل إيه يايحي».. وقف يحيى مذهولاً مما سمعه وشاهده منذ قليل وسأل سامي بفضول.. «طيب وانا علاقتي إيه بده كله.. وكل اللي انت عملته معايا والتعذيب اللي انت عذبتهولي ده ليه..»

اقترب سامي من يحيى ثم دفعه بقبضة يده بمزاح.. «أنا هقولك ليه يا بطل.. كل اللي أنا عملته معاك ده والمهمات اللي كنت بتنفذها.. كانت كلها اختبارات ليك يا يحيى..»

يحيى مندهشًا.. «نعم.. اختبارات.. اختبارات إيه وعلشان إيه.. لما أروح أسوق ميكروباص بناس وأوصلهم لبيوتهم ده كان اختبار إيه لا مؤاخذة وليه.. مفيش أي حاجة من اللي انت عملتها معايا دي تنفع تتحط تحت مسمى اختبار أبدًا..»..

ابتسم سامي واستند على المكتب خلفه مرة أخرى.. «بص يايحي.. مفيش حاجة أنا عملتها معاك كانت اعتباطي.. كل أمر أنا طلبته منك وكل رد فعل انت عملته كان محسوب ومدروس كويس جدًّا جدًّا.. حتى وقفتك وكلامك معايا دلوقتي حالاً.. أنا مرتبلها من 8 شهور فاتوا..»

يحيى غاضبًا: «لا.. انت شكلك بتخرف بأي كلام.. عايز تقنعني إنك عارف إني هقف معاك وأسألك السؤال ده دلوقتي من 8 شهور..»

سامي مبتسمًا: «أيوه..»

يحي بضيقٍ: «ليه.. بتشوف الغيب حضرتك..»

«لا.. مابشوفش الغيب، ولكن بعرف أقرأ اللي قدامي كويس بنسبة ٪90.. يمكن اللي قولتهولك ده ماتصدقوش دلوقتي يا يحيى.. ولكن أنا مش عارف أقول إيه.. مريض.. ولا موهوب.. ولكن أنا بشوف البشر قدامي على هيئة قطع بازل.. كل شخص قدامي ليه مكان مخصوص لخطتي.. ليه وقت معين يتلعب بيه..»

بضيقٍ شديدٍ.. «يعني أنا بالنسبة لك مجرد قطعة بازل بتلعب بيها..»

سامي مبتسمًا.. «إنت بالنسبة لي أهم قطعة استخدمتها في خطتي بحياتي كلها.. إنت ماتعرفش انت عملت إيه للعالم بالمهمات اللي انت نفّذتها..».. أخذ يضحك يحيى ساخرًا.. «إنت شكلك فعلاً بتخرف.. عايز تقتعني إن أنا أنقذت العالم لما رحت اصطدت فيران من الزبالة..»

سامي بثقة.. «طبعًا.. ده حصل فعلاً..».. يحيى بضيق شديد.. «بقولك إيه.. أنا تعبان ومتدمر نفسيًّا.. أنا مش قادر فعليًّا أبص في وشك.. لو في حاجة مخبيها قولها.. أنا في حالة ماتستدعيش إني أستمر في ألغاز.. قولي الجزء اللي يهمني.. إنت ليه عملت فيا كده وكنت بتعذبني بألعابك السادية دي..»

وقف سامي وأخذ يشبك يده وهو يحدثه باهتمام.. «يحيى.. أنا عايز أقولك إن أنا متابعك مش من 8 شهور بس أنا متابعك من 5 سنين فاتوا.. من ساعة لما أثيرت القضية بتاعت عقار التريبفون بينك ومابين شركة سماركوا.. ماتتصورش صدمتي كانت أدّ إيه لما عرفت إنك رفضت مبلغ خرافي في بيع العقار ده علشان خاطر تخلي حقوق بيعه مجانية للناس كلها ومحدش يسيطر على الدواء ويظهر جشع شركات الأدوية.. ماكنتش متخيل إن في إنسان لغاية دلوقتي بالعقلية دي.. قُلت لو في إنسان موجود بالقلب والإخلاص ده فلازم يكون مكانه وسط السامريين الجدد.. بصراحة ماكنتش مقتنع إنك صادق وكنت شاكك إنك بتخبي حاجة وراك.. وفضلت أتابعك وأتابع قضيتك لحد ما انتهت وفكرت إني لازم أضمك ولكن بصراحة انشغلت بمعاركي مع الوايت هاند في أماكن وبلاد تانية لحد ماعرفت خطة الوايت هاند في مصر.. وهنا افتكرتك على طول وساعتها بقى أنا بنفسي توليت عملية مراقبتك وإعداد اختباراتك علشان تنضم لينا..»

ابتسم يحيى ساخرًا.. «أنا أنضم ليكم ..ههههه.. إنت بتحلم»..

تجاهله سامي وتابع حديثه.. «ولكن احنا مابنقبلش أي حد.. مابنعملش طلبات توظيف.. أي شخص موجود في السامريين الجدد احنا اللي مختارينه.. وبنعمله اختبارات عملية.. مفيش وقت للنظري أو للشفهي.. اختبارات ذكاء.. مهمات بتطلب منه.. كل مهمة بنقيس فيها نوع معين من أنواع الذكاء لأن الذكاء أنواع كتير مش نوع واحد.. وفي حالتك انت.. أنا كنت متوقع ليك مستقبل هايل

وعلشان كده عملتلك اختبار في جميع أنواع الذكاء المعروفة وبنسبة صعوبة كبيرة جدًّا وكمان زيادة عليهم كل مهمة انت بتنفذها لقياس ذكائك كان بنفس الوقت بتدمر مهمة حيوية جدًّا لمنظمة الوايت هاند.. إنت ماتعرفش انت البهادرا هيتجنن ويشوفك ميت ازاي.. وعلى فكرة هو اللي بعت الناس اللي كانوا هيقتلوك اللي قلت عليهم مش أنا».

«يعني مش انت اللي بعت التلاتة دول يقتلونا..»

«وهبعت ناس تقتل اللي أنا مرشحه بنفسي للمنظمة ليه؟ وكمان نجاتك من التلاتة دول تبين إنت قد إيه شخص استثنائي ومتميز.. التلاتة دول من أخطر قتلة الوايت هاند في الشرق الأوسط.. طرقهم في القتل استثنائية ومختلفة.. أنا كنت بحاول بكل الطرق إني أبعدك عن طريقهم الأيام اللي فاتت دي كلها ولكنك لما غبت عن عنينا فجأة قِدروا يوصلولك.. إنت ماتعرفش انت بالنسبة لينا إيه يا يحيى.. إنت شخص استثنائي جدًّا»..

يحيى ساخرًا.. «ما هو واضح.. واضح إن أنا شخص استثنائي عندكم.. ولنفترض إن كلامك ده صح وان كل ده اختبار.. عايز أعرف إيه الاختبارات دي وتفهمني المغزى من وراها..»

أومأ سامي له برأسه.. «حقك.. حقك.. يا صديقي.. أنا هقولك.. الذكاء مش هو بس سرعة في الفهم والبديهة.. لا وكمان أشياء تانية كتير.. العلماء في العالم وضعوا ليه تصنيفات كتيرة وأهمم التصنيفات ديه.. طبعًا رقم واحد.. الذكاء المنطقي والرياضي.. اللي هو القدرة على حل الألغاز والتجارب والحسابات المنطقية..

وفي الـذكاء الحركـي والجسـدي.. وهـو مـا مـدى ذكاءك في التحكـم بعضلاتـك وقـدرات جسـدك.. يعنـي مثلاً تلاقـي شـخصين لهـم نفـس القـدرات البدنيـة واحـدة ولكـن واحـد فيهـم جسـده أرشـق وأسرع في تأديـة مهامـه مـع انهـم بيخضعـوا لنفـس التدريبـات ولنفـس المهـام.. بـس واحـد منهـم بيمتلـك ذكاء جسـدي أكثـر مـن الثـاني.. وفي ذكاء بـصري ومـكاني.. وده الـلي بيتـم فيـه تذكـر صـور وأماكـن مختلفـة.. وفي الـذكاء اللغـوي.. مامـدي قـدرة الإنسـان في اسـتخدام ألفاظـه وقدراتـه اللغويـة لخدمتـه لأي غـرض هـو عايـزه وأشـهر نـاس عـلى المسـتوى ده السياسـين ومقدمـي البرامـج الإعلاميـة.. وفي الـذكاء العاطفـي والاجتماعـي.. وبقيـس مـن خلالـه مـا مـدى قـدرة الإنسـان إنـه يسـيطر عـلى مشـاعر المحيطـين بيـه ويجعلهـم يرغبـوا إنـه يبقـى بينهـم ويسـمعوا لأوامـره وأكـبر أمثلـة عـلى دول قـادة الـدول الديمقراطيـة طبعـا.. هههـه.. وفيـه الـذكاء الموسـيقي.. الـلي هـو قـدرة الإنسـان عـلى فهـم وتحليـل أي قطعـة موسـيقية ويقـدر يطلـع الأشـياء الشـاذة والغريبـة في أي شيء سـمعي.. وده طبعًـا أكـبر مثـال ليـه الموسـيقيين.. طبعًـا كتـير مـن النـاس بيمتلكـوا أكـتر مـن نـوع.. ولكـن العباقـرة بـس همـا الـلي بيمتلكـوا كل دول.. وانـت يـا يحيـى واحـد منهـم..»

يحيى يشعر بالفخر ولكنه يحاول أن لا يظهر ذلك..»إيه.. إزاي.. أنـا عبقـري ازاي..»

سـامي مبتسـمًا.. «أنـا اسـتخدمت كل الاختبـارات دي عليـك في مهامـك ونجحـت فيهـا كلهـا..»

مندهشًا.. «إزاي.. اشرحلي..؟»

سامي يتحرك بمكانه وهو يشبك أصابع يده.. «أنا هاشرحلك يا يحيى.. أنا لما قابلتك بنفسي اتأكدت إنك فعلاً الشخص المطلوب.. ولكنك شخص طيب زيادة عن اللزوم.. أو بمعنى أصح ساذج.. علشان كده اخترت أعمل معاك خطة بالشكل ده.. علشان كان لازم أديلك صدمة نفسية قوية تخيلك تبقى عندك شكوك تجاه أي شخص تقابله بعد كده.. أنا مايهمنيش إنك تبقى طيب.. لأن في المنظمة عندنا.. لازم يبقى جنب حسن الظن.. الحرص.. أنا خليتك تروح لمكان البهادرا لسببين مهمين جدًّا جدًّا.. الأول إن محدش كان يعرف إن البهادرا جاي غير عدد قليل جدًّا من رجالته.. عايز أقولك إن شكل البهادرا اعشرة بس اللي عارفينه على مستوى العالم.. علشان كده لما انت دخلت مكان البهادرا كلهم ظنوا إن انت البهادرا وفي نفس الوقت شليت تفكيرهم لأن البهادرا لم يكشف عن وجهه لشخص من المنظمة قبل كده ولكن انت دخلتلهم ووشك مكشوف وده عملهم ربكه في تفكيرهم.. تاني سبب لما البهادرا شافك في وسط المقر السري بتاعه ومتقمص شخصية.. كانت صدمته عاملة ازاي.. ازاي معلومات عن مقره السري اتسربت كده.. ومين الشخص اللي خد مكاني وتحداني وجها لوجها ووراني وشه ومخافش مني أنا البهادرا اللي راعب العالم.. في اللحظة دي انت اتحولت لعقدة عند البهادرا.. ظهورك فجأة كده قلب الموازين كلها في خطته واربكه.. شكله بقى سيء جدًّا قدام رجالته اللي بيبجلوه زي إله.. وثقته هو في رجالته اتهزت.. اإاي معلومات مقره اتسربت وظهور شخص غريب وتقمصه لشخصيته.. ده خلّى البهادرا بقى شكاك جدًّا في اللي حواليه ومابقاش ينفذ أي أمر إلا تحت إشرافه هو الشخصي علشان يقدر

يتوصل لمسرب المعلومات دي وده عطل شبكة اتصالتهم الضخمة والسريعة جدًّا وده كان طبعًا في صالحنا.. وفي نفس الوقت ضيَّع نسبة كبيرة من موارده ورجالته في البحث عنك ومحاولة التوصل إليك.. إنت كنت الضربة القاضية اللي استخدمتها ضد الوايت هاند وضد عقل البهادرا العبقري اللي عمره مكان يتوقع ظهورك المفاجئ ده أثناء تنفيذه لأكبر عملية في حياته..»..

أخذ يحيى يبتسم مندهشًا وهو يفرك شعر رأسه..» كل ده بيحصل واحنا مش حاسين.. أخ ياولاد ال..».. ثم نظر إلى سامي بفضولٍ.. «طيب أنا عايز أعرف أسباب مهماتي.. سحبت 10000 آلاف جنيه دي مفهومة علشان خاطر المصاريف اللي هتحتجها المهام الثانية.. لكن موضوع الشحاته ده كان ليه 200 جينه هيعملوا إيه..»

«طبعًا ولا ليهم لازمة.. ولا كان يهمني إنك تجمعهم أصلاً.. ولكن ده مهم لعدة أسباب.. أولاً.. كان في شخص مهم جدًّا جدًّا في الحكومة هيتم اغتياله في المكان ده في الوقت ده وظهورك ومناوشاتك مع الشحاتين جعلت الأمن يلغي رحلة الشخصية الهامه دي من المنطقة وبكده منعنا عملية الاغتيال دي.. وطبعًا كنت لازم تظهر قدام رجالة البهادرا المنتشرين في وسط البلد علشان تظهر قدام البهادرا من جديد وانت بتطلعله لسانك وتقوله أنا بوظتلك عملياتك أهو.. وراجل تعالى امسكني.. وده خلاه يتجنن أكثر ويصدر أمر باغتيالك من جميع قتلة الوايت هاند وقتها وده قلل وتيرة الاغتيالات للأهداف الباقية.. أما الجزء اللي يخصنا بقى.. إننا عملنا كده علشان لما يطاردك الشحاتين هنشوف هتهرب منهم ازاي

وعلشـان تعمـل كـده.. لازم تسـتخدم ذكاءك المنطقـي والـذكاء الحركـي والجسـدي مـع بعـض.. وقـد كان ونجحـت في مهمتـك..»

يحيى مندهشًـا.. «بخربيـت دماغـك.. يعنـي كنـت بتلاعـب البهـادرا وبتدمـر عملياتـه وفي نفـس الوقـت بتختـبرني بوقـت واحـد.. وأحـلى حاجـة إنـك عـمال تلاعـب البهـادرا ده عـلى رقبتـي..»

ضحـك سـامي هنـا بقـوة.. «ههههههـه.. مـا تخافـش يـا يحيـى.. أنـا عامـل حسـاب كل حاجـة.. عمـري مـا كنـت هسـيبهم يـأذوك أبـدًا.. إنـت دورك في الخطـة بتاعتنـا.. الجوكـر المحـروق..»

باندهاش.. «جوكر محروق.. ازاي مش فاهم..»

«هقولـك.. الجوكـر أو العميـل المحـروق ده مصطلـح مخابـراتي منتـشر.. مثـلا مخابـرات دولـة مـا عايـزه تبعـت جاسـوس لدولـة مـا.. فتجنـد جاسوسـين.. الأول الجاسـوس الحقيقـي الخفـي الـلي محـدش يعـرف عنـه حاجـه.. وفي الجاسـوس الثـاني الجوكـر المحـروق ..ده المخابـرات بتقولـه انـت جيمـس بونـد وعايزينـك تعمـل مهـمات وطنيـة وكـده وتقولـه روح مبنـي المخابـرات الثانيـة ولـف حواليـه وانـت راكـب عربيـة حمـراء وخـالي بالـك لحـد يعرفـك.. والبيـه يقعـد يلـف حوالـين مبنـي المخابـرات الثانيـة ويلـف ويلـف وهـو فاكـر إنـه جـاب الديـب مـن ديلـه والمخابـرات التانيـة تبقـي عرفتـه خـلاص وبتقـول مالـه العبيـط ده بيعمـل ايـه.. ووقـت ماهـم منشـغلين الجاسوسـو الحقيقـي بيتـم مهمتـه.. نفـس مبـدا شـوف العصفـورة الـلي احنـا كنـا بنعملـه واحنـا صغيريـن.. انـت الجوكـر المحـروق في لعبتنـا.. البهـادرا انشـغل بيـك وقعـد يطـاردك وفي نفـس الوقـت كنـا بننفـذ احنـا خططنـا المضـادة عليـه..»

يحيى ساخرًا.. «يعني أنا طلعت في الآخر عصفورة..»

سامي بجدية.. «عصفورة.. إنت باين عليك مستهون بالبهادرا.. أنا علشان اعرف شكل البهادرا فضلت بنفسي سايب كل حاجة في إيدي وتتبعته لمده سنتين.. كل خطوة بتتعمل دلوقتي تم التضحية فيها بفلوس ورجال وموارد عمرك ماتحلم بيها.. هفوة واحدة غلط وكنا كلنا هنموت ولكن أنا كنت مراهن عليك وعلى نجاحك..»

«طيب أنا عايز أعرف باقي الاختبارات.. ليه ركبت عربية ميكروباص؟»

«طبعًا علشان عدة أسباب برضو.. منها إن البهادرا كان بيدور عليك في كل مكان بجنون وعلشان كده خلّيناك تختفي عن أنظاره بطريقة مايفكرش فيها أبدًا وخليناك تسوق ميكروباص وتوصل كل راكب لحد بيته وطبعًا ده هياخد أماكن وأوقات مختلفة وهتختفي فجأة من على رادار البهادرا وده هيجننه ويخلي تركيزه عليك أكتر.. وبالنسبة لاختبارنا إحنا بنقيس ذكاءك الاجتماعي واللغوي.. ونجحت فيهم بامتياز..»

يحيى سريعًا.. «طيب ومهمة منى الشيمي؟».. ابتسم سامي بخبث.. «ده كان لتلات أسباب.. الأول فيهم إننا نقيس ذكاءك اللغوي والعاطفي وازاي هتقدر تقنع أم محبة لبنتها إنها تموِّتها بإيديها.. بصراحة شديدة جدًّا.. أنا مكنتش متوقع أبدًا إنك تنجح في المهمة دي بالذات.. أنا كنت عامل المهمة دي لسبب إن مدام سمر تشوفك في المستشفى وتطمن عليك وتصدق كلامي عنك بعد كده.. والسبب التالت مش هقدر أقولهولك إلا لما تبقى عضو رسمي معانا في السامرين الجدد.. لأنه سر مهم جداا» ..

وقف يحيى بضيق وحدَّث سامي غاضبًا.. «أنا كان ممكن اسامحك على أي حاجة إلا انك تدخل مراتي وابني في لعبتك..»..

ضحك سامي بشدة.. «هههههه.. هههههه..»

أمسك يحيى بملابسه غاضبًا.. «بتضحك على إيه.. بتضحك على إيه؟»..

وقف رجال سامي متأهبين فأشار إليهم سامي بيده أن يتوقفوا.. فعادوا إلى أماكنهم وباشروا أعمالهم مرة أخرى.. وتابع سامي حديثه إلى يحيى مبتسمًا بخبث.. «تقدر تقولي احنا عملنا إيه وحش في مراتك وابنك.. إحنا عالجناهم بأفضل وأغلى علاج موجود في العالم وحميناهم من أي ضرر يقع عليهم سواء من رجالة البهادرا أو من أي ضرر تاني.. وتكفلنا بمبلغ ضخم جدًّا في سبيل علاج ابنك بدون مقابل.. وانت ماحصلكش ضرر..»

يحيى أخذ يهزه بقوة بين يديه.. «ماعملتليش ضرر.. إنت كنت عايزني أقتل أعز اصحابي بإيدي..»

هنا قام سامي بسحب يدي يحيى من فوق ملابسه وأخذ يهندمها سريًعا.. «لما طلبت منك إنك تقتل فؤاد علام عدوك.. كنت بعملك اختبار نفسي.. بشوفك لو اتحطيت تحت ضغط كبير ممكن يكون رد فعلك إيه.. هل من الممكن إنك تخالف مبادئك والقيم اللي بتشدق بيها ولا فعلاً هتفضل صاحب مبدأ لحد الآخر حتى ولو كان في الأمر تهديد عليك أو على عائلتك بطريقة مباشرة.. ونجحت في الاختبار زي ما كنت متوقع.. حتى لو كنت فشلت.. ماكانش هيحصل حاجة لفؤاد لأن السلاح فارغ مفهوش رصاص.. كنت

هاكتفي بس إني أخليك تسمع صوت تكات المسدس الفاضية وانت بتطلقها على مبادئك وقيمك اللي احتفظت بيها طول عمرك.. أنا بعد المهمة دي.. قولتلك انت حُر.. وعرفتك مكان مراتك وابنك فين.. وكان قدامك فرصة انك ترجع لهم وتحاول تنسي كلي اللي حصل ده وتمحيه من حياتك.. ولكن على الرغم من كده.. انت سايب مراتك وابنك اللي انت بتقول إنك بتعمل كل ده علشانهم.. وواقف أهو قدامي بتتكلم عن المنظمات وعن العالم.. تفسر ده بإيه.»

هنا ارتبك يحيى للغاية وحاول أن يدافع عن نفسه.. «إيه.. لا انت غلطان.. أنا بعمل كل ده علشان مراتي وابني.. كان لازم أتطمن عليهم إنهم في أمان علشان كده كنت لازم أدورعليك»

سامي مبتسمًا بخبث.. «لا.. مش دي الحقيقة.. الحقيقة أن انت هنا.. علشان تكمل لعب.. شعور الادرينالين وتحدي الخطر والمكسب اللي شعرت بيه الأيام اللي فاتت ادالك متعة مابعدها متعة.. متعة افتقدتها في وسط حياتك الروتينة اللي عايشها وانت بتقول ده مش مكاني.. دي مش حياتي.. أنا ما اتخلقتش علشان كده.. أنا لازم أعيش المغامرة كل يوم.. تعرف إيه اللي يثبت أن كلامي صح.. اني على الرغم من اني عرضت عليك تدخل المنظمة أكثر من مرة.. مفيش ولا مرة فيهم قولتلي لا..»

هنا امتقع وجه يحيى وشعر أنه تعرى أمام سامي.. وأنه نجح بالكشف عن يحيى الحقيقي المختبئ تحت شخصيته الأخرى.. وظل ينظر له بصمت..

تابع سامي حديثه إلى يحيى.. «أنا برضو مش هضغط عليك..

آديك عرفت أسباب كل اللي بيحصل حواليك.. شفت العالم بيتدار ازاي وانت غافل عنه.. أنا بعرض عليك فرصة.. إنك تكون مشارك في صناعة أحداث العالم أو تكتفي بإنك تكون مشاهد من بعيد مالوش حتى قدره انه يبدي أي رد فعل.. فكر.. فكر وخد وقتك تمامًا.. ووقت ما تبقى جاهز.. هتلاقيني في انتظارك»

ثم تحرك وتحدَّث إلى رجاله.. «جه وقت الصفر.. عايزكم تبقوا جاهزين لأي تطورات.. عايز تركيز من حديد.. فاهمين».. أومأ الرجلان برؤسهما وعادا إلى أعمالهما.. وتحرك سامي جهة باب الشقة فأوقفه يحيى: «إنت سايبني ورايح فين؟»

سامي مبتسمًا بخبث: «رايح أحط آخر قطعة في خطتي بمكانها.. رايح أقول للبهادرا وجهًا لوجه كش ملك.. تحب تيجي معايا؟»

اعتلت ابتسامة كبيرة وجه يحيى: «طبعًا..»

ثم تحرك الاثنان إلى خارج الشقة..

****

كان يحيى بسيارة عادية للغاية ومعه سامي يقود السيارة وأخذ يحيى يفكر بعمق شديد عن كل ماحدثه به والعالم الخفي الذي فتح سامي عينيه عليه.. وكانت بداخل رأسه آلاف الأسئلة والتي كان كلما طرح على سامي سؤالًا منها يجده يبتسم ويخبره عندما يصبح عضوًا بالمنظمة فسوف يخبره به ولكِنَّ سؤالاً أخذ يلح على رأسه وكان يريد أن يعلم إجابته بأي طريقة فطرحه على سامي حتى ولو لم يجاوبه ولكن كان يريد أن يطرحه وليكن ما يكون.. «كنت عايز

أعـرف حاجـة وماتقوليـش لمـا تبقـى في المنظمـة زي كل مابسـألك ده سـؤال عـادي جـدًّا.. وانـا همـوت واعرفـه..»

نظـر لـه سـامي سريعًـا.. «قـول سـؤالك».. ثـم عـاد يقـود السـيارة بتركيـز شـديد..

فألقـى يحيى سريعًا بسؤاله.. «أنـا مستغرب جـدًّا مـن حاجـه.. مهما أبعـد عـن الكاميرات واغير في تليفونـات قديمـة أو جديـدة كنـت بتعـرف مـكاني.. والأغـرب مـن ده كلـه.. إنـك كنـت بتدخـل في مكالمـاتي حتـى لـو كنـت بتكلـم مـن تليفـون واحـد ولا أعرفـه ولا يعرفنـي ولا شـفنا بعـض قبـل كـده حتـى.. كنـت بتعملهـا ازاي.. أنـا شـكيت إنـك كنـت حاططـلي جهـاز تتبـع وتنصـت في جسـمي ولكـن عملـت أشـعة وطلـع مفيـش حاجـة.. وسـاعتها كنـت هتجنـن وأمـوت واعـرف عملتهـا ازاي».. ابتسـم لـه سـامي سـاخرًا.. «هـو سـؤال حلـو.. ومـع إنـه مفـروض ماتعرفـش إجابتـه دلوقتـي.. ولكنـي هقولـك..».. مـد سـامي يـده بملابسـه ثـم أخـرج زجاجـة عطـر صغيـرة.. «هـات إيـدك يـا يحيى.. خـد شـوية برفـان».. اندهـش هنـا يحيى مـن فعلـه ولكنـه قـدم يـده إليـه فقـام سـامي بـرش بعـض العطـر عـلى يـد يحيى.. فأخـذ يحيى العطـر مـن عـلى يـده ووضعـه عـلى باقـي وجهـه وجسـده وأخـذ يشـتمه.. «برفـان ريحتـه حلـوه.. بـس بـردو مجاوبتـش عـلى سـؤالي.. كنـت بتعمـل كـده ازاي؟»

نظـر لـه سـامي سريعًـا.. «كنـت بعـرف عـن طريـق الـلي بتشـمه ده».. نظـر يحيى للعطـر الـذي عـلى يـده مسـتغربًا.. فعـاود سـامي حديثـه إليـه.. «البرفـان الـلي انـت حطيتـه ده بيخلينـي أقـدر أعـرف مكانـك لمـدة سـبع أيـام متواصلـة.. لـو كنـت تحـت البحـر حتـى لمسـافة 15 مـتر أقـدر أعـرف

إنـت فـين».. أخـذ يحيـى يشـتم يـده مصدومًـا.. «ازاي الـكلام ده.. عـن طريـق البريفـم؟»

«البيرفيـم الـلي انـت حطيتـه عـلى إيـدك ده في مـادة مشـعة غـير مـضرة لجسـم الإنسـان.. المـادة دي بتقـدر تلقطهـا الأقـمار الصناعيـة بسـهولة في أي مـكان بالعـالم.. والمـادة عـلى الرغـم مـن إنهـا ممكـن تتصنـع عـلى أي صـورة ولكـن بتفضـل تبقـى في صـورة غازيـة لأنهـا بتبقـى أقـل اشـتباها مـن أي شيء تـاني.. طبعًـا وبعـد مـا أعـرف طريقـك عـن طريـق الأقـمار الصناعيـة.. وأحـدد انـت فـين بالظبـط.. بخـترق أي شـبكة اتصـالات انـت بتبقـى متواجـد فيهـا في إطـار 3 كـم.. وكل المكالمـات الـلي داخلـة والـلي خارجـة مـن مكانـك بتبقـى عنـدي أول بـأول سـواء غـيرت تليفونـك أو تليفـون حـد تـاني أو حتـى اتكلمـت مـن تليفـون العفريـت هعـرف انـت بتكلـم مـين وبتقـول إيـه».. صـدم يحيـى بشـدة وهـو يتذكـر جميـع المحـاولات التـي كان يصنعهـا للهـروب مـن رقابـة سـامي لـه ولم يكـن يعلـم بـأن كل تلـك المحـاولات كانـت بـلا جـدوى.. فحدثـه بضيـق: «بـس كـده انتـم بتلغـوا حاجـة اسـمها خصوصيـة للإنسـان».. ضحـك سـامي بشـدة سـاخرًا.. «خصوصيـة.. خصوصيـة إيـه بـس يـا يحيـى.. الخصوصيـة دي وهـم.. بيصنعهـا الإعـلام عـلى النـاس العاديـة علشـان يتابعـوا حياتهـم وهمـا فاكريـن إن أسرارهـم محفوظـة.. كل شركات الإنترنـت الـلي بتدفعلهـا فلـوس.. كل شركات الهاتـف في العـالم.. كل مصممـي البرامـج زي الوينـدوز وغـيره بيعرفـوا كل شيء بتعملـه.. كل مـكان بتتحـرك ليـه.. كل محادثـة بتعملهـا.. وفي الآخـر بيبيعوهـا لـلي بيحتاجهـا.. عـصر الخصوصيـة ده انتهـى مـن 100 سـنة تقريبًـا.. الوقـت الـلي احنـا فيـه دلوقتـي يـا تبقـى انـت الـلي بتجسـس عـلى

الناس اللي بتجسس عليك يا إما خلاص هتبقى لقمة صائغة تحت ضرسهم.. إنت لسه بدري عليك شويه يا يحيى.. إنت لسه هتشوف معايا اللي أغرب من الخيال.»..

تنهد يحيى بضيق: «كده أقدر أقول وأنا متطمن إن حياتي العادية انتهت للأبد.. ماقلتليش احنا رايحين فين لغاية دلوقتي؟»

سامي ضاحكًا: «ههههه.. إيه يايحيى.. مالك انت عقلك لف من اللي سمعته ولا إيه.. إحنا رايحين للبهادرا دلوقتي..»

يحيى مصدومًا: «إنت بتكلم بجد.. إنت هتروح للبهادرا برجلك.. إنت عايزنا نموت ولا إيه!»

اكتفى سامي بالابتسامة له وتابع طريقه بتركيزٍ بينما قفز قلب يحيى بين ضلوعه وهو لا يدري ماذا يخطط سامي وماذا سيفعل.. مضت نصف ساعة ثم توقف سامي بالسيارة بالقرب من أحد الارصفة..» يلا بينا يايحي.. وصلنا..»

يحيى هبط من السيارة بقدمين مرتعدتين وهو قلق بشدة بينما سامي كان مبتسمًا وتبدو عليه الثقة بالنفس.. هنا تحرك سامي وبصحبة يحيى بجهة مطعم أمامهما.. نظر يحيى إلى المطعم فوجده المطعم الفرنسي الذي ذهب إليه من قبل.. فتحدث إلى سامي قلقًا.. «مش هو ده المطعم اللي بعتني ليه بالمهمة».. ضحك سامي.. «أيوه هو.. تعالى معايا ماتقلقش.. ماتقلقش..» ..

اضطرب يحيى بشدة وهو يعود إلى هذا المطعم من جديد وامتقع وجهه عندما دلف من باب المطعم خلف سامي وأخذ ينظر حوله بقلق فوجد أناسًا عادية تأكل طعامها بهدوء وحولهم

بعـض النُـدُل يخدمونهـم.. فرقـع سـامي إصبعيـه سريعًـا إلى يحيـى خلفـه فنظـر لـه يحيـى مضطربـا وأشـار إليـه أن يتبعـه فتبعـه يحيـى بقلـق شـديد فتوقفـا أمـام إحـدى الطـاولات الموجـوده بركـن هـادئ بالمطعـم ويجلـس عليهـا شـخص في منتصـف الخمسـينيات يرتـدي بدلـة كاملـة ويـأكل بنهـم شـديد ويقـف بجـواره نـادل أجنبـي يصـب لـه الـشراب بكأسـه.. فابتسـم سـامي سريعًـا وجلـس أمامـه عـلى المقعـد وتحـدث بالإنجليزيـة إليـه».. مسـاء الخـير.. أتمنـى تكونـوا بتقضـوا وقـت سـعيد».. ابتلـع يحيـى ريقـه وهـو ينظـر إلى الرجـل الجالـس أمامهـم بخـوف شـديد.. أيعقـل أن يكـون هـذا هـو البهـادرا الـذي يجعـل الولـدان شـيبًا.. وهـو يجلـس هادئًـا هكـذا يتنعـم بطعامـه.. نظـر لـه البهـادرا فجـأة فسـقط قلـب يحيـى في قدمـه ولكـن البهـادرا تجاهـل يحيـى ثـم تحـدَّث إلى سـامي أمامـه بحـدة.. «انتـم مـين وعايزيـن إيـه؟».. فابتسـم لـه سـامي وأخـذ يحدثـه بهـدوء.. «احنـا الـل كنـا بنبـوظ كل خططـك الفـترة الـلي فاتـت دي يابهـادرا..».. تحـدث إليهـم الرجـل مندهشـا».. خططـي.. خطـط إيـه.. انـت بتقـول إيـه.. أنـا مـش فاهـم حاجـة».. ابتسـم لـه سـامي سريعًـا..» أنـا مـش بكلمـك انـت.. أنـا بكلـم البهـادرا».. ثـم نظـر إلى النـادل الـذي يقـف بجـوار الرجـل ويصـب إليـه الـشراب بكأسـه.. وهنـا صـدم يحيـى بشـدة عندمـا شـاهده.. إنـه نفـس النـادل الـذي افتعـل معـه مشـكلة الفئـران بالسـابق.. هـل يعقـل أن يكـون هـذا هـو البهـادرا..».. ابتسـم النـادل إليهـم وأشـار إلى طاولـة بعيـده.. «اتفضلـوا معايـا».. وهنـا ابتسـم سـامي وهـو يتبعـه.. وارتعـد يحيـى عندمـا تلاقـت أعينهـم أخـيرا.. البهـادرا.. هـذا الشـاب الاجنبـي الوسـيم الـذي يتصنعـه بانـه نـادل بالمطعـم.. كشـف عـن نفسـه أخـيرًا وجلـس أمامهـم عـلى المنضـدة وأخـذ يبتسـم بهـدوء شـديد

لا يغالبه إلا هدوء سامي فكري.. أخذ يحيى ينظر إليهما وهو يرد أن يحفر هذا المشهد بعقله.. رئيس منظمة الوايت هاند البهادرا.. يجلس مبتسمًا أمام رئيس منظمة السامريين الجدد.. هل هذا هو لقاء أصحاب المنظمات.. هل لقاؤهم يكون رزينًا هكذا.. ولا يوجد دماء أو أشلاء ممزقة ورصاص ومتفجرات.. قطع تفكيره ضحكة البهادرا الغريبة أمام سامي وهو يحدِّثه بالإنجليزية. «هههههه.. تعرف.. أنا مش مصدق نفسي.. أنا كنت هتجنن.. إزاي ده بيحصل.. مين دول اللي بيتدخلوا في خطتي العبقرية.. ولكن دلوقتي اتضح كل شيء.. انت.. انت اللي وراء كل ده.. كده بقت الأمور منطقية.. بقت واضحة وباينة جدًّا.. لكن اللي مش قادر أفهمه.. ليه.. أنت بتعمل كل ده ليه.. هتستفاد إيه.. انت عارف أن البلد دي كده كده أي حد بيعمل فيها اللي هوه عايزه.. على الأقل تحت نفوذ الوايت هاند كانت العمليات هتبقى منظمة.. كان هيصبح كل شيء مخطط له ومظبوط.. انت عارف إننا مش عايزين ندمر البلد دي.. محدش مهما كانت قوته هيتحكم في 120 مليون.. لكن انت تدخلت وحاولت تبوظ شغلي.. أنا عايزك تقولي السبب ليه..»

سامي ببرودٍ شديدٍ.. «علشان أقدر أقولك أسبابي واطلعك على خطتي لازم تبقى عضو في السامريين الجدد.. فكك الوايت هاند وتعالى انضم لمنظمتي..»

ضحك البهادرا بصوت عالٍ للغاية.. لفت الانتباه إليه.. فكتم أنفاسه وهو ما زال يضحك.. «آسف ..آسف.. لسه عندك روح الدعابة العالية دي زي ما انت.. تعرف أنا طول عمري كنت

بحترمك ونفسي أبقى زيك.. لكن الكلام ده قبل ماتخونّا وتعمل اللي بتعمله ده.. هنا نظر ليه سامي باقتضاب.. فأمسك البهادرا فمه سريعًا.. « إيه ده.. هو اللي معاك ده مايعرفش اللي انت عملته ولا إيه..» ..ثم نظر إلى يحيى مبتسمًا ومد يده إليه ليصافحه.. «لسه ما اتعرّفناش صحيح.. أنا زعيم الوايت هاند واسمي البهادرا.. وانت».. هنا مد يده يحيى له ليصافحه فأمسك البهادرا يده بقوة وهو يبتسم.. بينما أخذ يضرب سامي يده بسرعة على الطاولة.. شعر يحيى بالاندهاش لما يحدث ولكنه شاهد ما حدث أمامه الآن.. فالبهادرا يصافحه بيده اليمنى بينما يده اليسرى تحمل سكينًا صغيرة موضوعة فوق رقبة يحيى لولا أن منعه سامي وأمسك بيده لكان يحيى قد تمزقت رقبته من دون حتى أن يشعر.. قفز يحيى إلى الخلف مرتاعًا.. بينما نظر سامي إلى البهادرا بتحدٍّ.. فتراجع البهادرا وهو مازال يبتسم.. «معلش.. آسف.. آسف.. ساعات مشاعري بتتحكم فيا زي ما انت شايف..».. نظر البهادرا إلى يحيى الذي كان مرتاعًا.. وسأله سريعًا.. «كنت عايز أسألك حاجة يا صديقي.. هل كنت مستمتع وانت بتقلدني.. هل كنت مستمتع وانت فاكر نفسك البهادرا؟».. ثم وقف غاضبًا بسرعة وصرخ بصوتٍ عالٍ.. «بقى انت يا حقير.. تشبه نفسك بالبهادرا.. الكيان الأعظم والأسمى فوق كل شيء.. انت تبقى البهادرا.. انت عارف أنا عملت إيه علشان أبقى البهادرا.. عمومًا.. أنا هسألك سؤال واحد بس.. تحب نحتفظ بجثتك انت وعائلتك في ثلاجة خنازير.. ولا الأفضل.. إني أفرمك وأكل لحمك لعائلتك لقمة لقمة.. بعد مايشوفوا كل مراحل سلخك وتقطيعك وتحميرك بزيت سم سم وعلى درجة حراره 150 وتتقدم

بالصوص الفرنسي مع خبز باغيت.. امواه.. افضل مزاق».. تحدث إليه سامي بغضب.. «بهادرا.. باين عليك فقدت أعصابك ونصيحة ليك ده مش كويس للبيزنيس..» ..

البهادرا يضحك بشدة.. وهنا شعر رواد المطعم بالقلق فأخذوا يرحلون الواحد تلو الآخر بينما البهادرا أخذ يضحك ويعربد بصوت عالٍ.. «ههههههبههه .... هههههههههه ..انت.. بتنصحني أنا.. انت بتنصح البهادرا.. أنا اللي هنصحك.. لو عندك أي كلمات أخيرة قولها دلوقتي.. لأني مش هسمح ليك ولا ليه إنكم تخطو خطوة واحده بس خارج المطعم ده.. أنا عارف كويس إنك محضر خطة ما علشان تواجهني بيها.. ولكن أي خطة مهما كانت مش هتقف قدامي بعد ماعرفت إنك اللي وراء اللي بيحصل ده.. متنساش اني البهادرا.. وانت فاهم يعني إيه البهادرا كويس».. هنا تحرك سامي جهة يحيى الذي كاد يبلل بنطاله من ما يحدث ووضع يده على كتفه وأخذ يحدث البهادرا.. «طبعًا عارف إنك البهادرا.. وعارف إنك تقدر تقاوم أي خطة بعد ماعرفت انك بتواجهني انا.. لكن اللي انت متعرفوش هو يحي.. هو أحدث المنضمين للسامرين الجدد.. وهو هيبقى زعيمهم مكاني».. نظر له يحيى مصدومًا من ما قاله ولكن لم يعِره سامي أيَّ اهتمام وتابع حديثه للبهادرا. «أنا جيت النهارده علشان أوريك زعيم المنظمة الجديد اللي هيخلفني.. قبل مادمرك يابهادرا انت والوايت هاند دلوقتي..».. ضحك البهادرا بشدة: «هههههه...هههههههههه...هههههه.. انت هتدمرني أنا والوايت هاند دلوقتي؟»

سامي مبتسمًا بثقة.. «أيوه.. دلوقتي حالاً».. بدا على البهادرا القلق.. «وهتدمرهم بإيه.. ياريت تشرحلي».. سامي سريعًا.. «بالإتش ون..»

هنا أخذ يفكر البهادرا للحظات وهو يداعب ذقنه.. «بالاتش ون.. بس انت عارف إن أنا الوحيد اللي أقدر أوصل للإتش ون.. وانا الوحيد اللي أقدر أوصل لكل شخص في الوايت هاند.. وعلشان تدمرني وتدمر الوايت هاند بالإتش ون.. يعني لازم تسيطر انت عليا بالاتش ون..»

سامي مبتسمًا.. «وهو ده اللي حصل».. أخذ يضحك البهادرا ساخرًا وهو يرفع يديه بالهواء.. «للأسف ياصديقي.. خطتك فاشلة.. أنا اللي بنتقي مكونات شرابي وطعامي.. وانا اللي بصنعه بإيدي.. مستحيل مادة الإتش ون توصلي عن طريق الاكل أو الشرب أنا متاكد مليون في المية».. هنا نظر إلى يحيى الذي كان لونه ممتقعًا وأشار إليه بيده ساخرًا.. «ولو كنت قصدك على الحركة الخايبة بتاعت الفيران اللي عاملها زميلك ده.. أحب أبلغك إأنه ملمسنيش.. أنا تأكدت من كده.. من ساعة لما دخل المطعم برجله وشافني وش بوش وانا قلت يبقى في حاجة مريبة هتحصل.. ولما رد فعله كان عادي معايا اتأكدت انه مايعرفش إن أنا البهادرا.. وقولت أن في شخص ثاني وراه هو اللي بيحركه.. مكنتش أتوقع إنه انت.. ولكن كنت عارف إن في حد يدبر حاجة.. وعلشان كده أنا اتأكدت كويس جدًّا إنه مالمسنيش..»

سامي ضاحكًا.. «ههههه.. أيوه بالظبط.. هو ملمسكش.. ولكن

أنـا لمسـتك».. البهـادرا مصدومًـا.. «إنـت.. مـش ممكـن أنـا متأكـد أن مفيـش حـد لمسـني».. وهنـا فجـأة طـرأت إلى رأس البهـادرا ذكريـات الموقـف.. عندمـا قـام يحيـى بفتـح صنـدوق الفئـران أمامـه وسـاد الهـرج والمـرج سـقط عجـوز وزوجتـه أرضـا وقـام البهـادرا بمسـاعدتهما عـلى الوقـوف.. وهنـا كاد البهـادرا قلبـه يقـف مـن الصدمـة» ... فضحـك سـامي وهـو يحدثـه شـامتًا.. «هههههـه.. أيـوه.. أنـا.. العجـوز الـلي انـت قوّمتـه».. ثـم أشـار إلى خاتـم بخنـصر يـده اليمنـي.. وده الخاتـم الـلي أنـا ضخيـت الإتـش ون فيـه بنسـبة ٪45.. يعنـي مـا زال تأثـيره معـاك لغايـة دلوقتـي.. أنـا عارفـك كويـس يابهـادرا.. وعـارف إن أعصابـك بتنفلـت بسرعـة.. وطبعـا انـت اتجننـت لمـا شـفت يحيـى الـلي كان واخـد دورك كبهـادرا قدامـك في مقـر عملـك.. وكان كل تركيـزك عليـه.. في اللحظـة دي أنـا اسـتغليت الأمـر ده واسـتخدمت سـلاحك الإتـش ون ضـدك.. أنـا عـارف.. انـك مـش هتفتكـر حاجـة عملتهـا وانـت تحـت تأثـير الإتـش ون علشـان كـده أنـا حبيـت اجـي بنفسي واكلمـك وجهـا لوجـه ووريـك يحيـى رئيـس المنظمـة الجديدالـلي هزمـك وهيخيلـك تدمـر منظمتـك بإيـدك..».. ثـم تحـدث إلى يحيـى مبتسـما.. «يحيـى.. قولـه زنـاد الإتـش ون إيـه.. واديلـه أمـر ينفـذه».. انتـاب البهـادرا الجنـون ممـا حـدث وحـاول أن يركـض بسرعـة فـصرخ عليـه يحيـى سريعًـا.. «12».. هنـا توقـف البهـادرا عـن الحركـة واتسـعت حدقتـا عينيـه بشـدة وتحولـت شـفتاه الـلي اللـون الأزرق ووجهـه تحـول إلى الصفـرة.. اقـترب منـه هنـا يحيـى متشـفيًا وصرخ عليـه بصـوت عـالٍ.. «12.. بهـادرا.. دمـر الوايـت هانـد..»

هنـا قـام البهـادرا بـدون أن يشـعر بإخـراج هاتفـه وضغـط عـلى بعـض أرقـام.. ثـم أصـدر صـوت وظـل يكـرره بالفرنسـية.. «Maman pardonne

moi.. Maman pardonne moi.. Maman pardonne mMaman pardonne moi oi.. Maman pardonne moi.. Maman pardonne moi.. Maman pardonne moi.. Maman pardonne moi» .. كان مشهد البهادرا غريبًا عجيبا يتحدث بسرعة شديدة للغاية وبمقولة واحده فقط بوسط المطعم الذي رحل زواره وهم مندهشون من فعل البهادرا الغريب وسطهم.. وقف زملاء البهادرا من النادلين يحاولون التحدث إليه ولكنه لم يبدِ أي رد فعلا أبدًا .. نظر أحد النُدُل إلى يحيى وسامي مستنكرًا وهم ينظرون إلى البهادرا.. تحرك سامي وهو يشير إلى يحيى بأن يتبعه وتحرك إلى خارج المطعم.. فتبعه يحيى سريعًا وهو ينظر إلى البهادرا خلفه الذي وقف كالصنم ويتحدث بالهاتف ولا يستجيب لأي رد فعل من النُدُل زملائه.. ابتلع يحيى ريقه وسأل سامي بفضولٍ و بقلقٍ.. «هو بيعمل إيه ياسامي؟».. ابتسم له سامي.. «كل منظمة ليها كود.. لو حصل حاجة والمنظمة دي أصابها مكروه.. ساعتها رئيس المنظمة بيطلق كود تدمير المنظمة الذاتي.. جميع رجالها بتنفك وجميع مواردها بتتحرق وبتدمر وأموالها بتختفي من حساباتها.. واللي سمعته ده كان كود تدمير الوايت هاند..».. وقف سامي بعيدًا عن المطعم ينظر في ظلمة السماء وهو يتمطى بجسده براحه شديدة .. «ياااااه.. ماتعرفش يا يحيى.. أنا إحساسي إيه دلوقتي.. أنا سعيد جدًّا إني اتعرفت عليك.. لولاك خطتي دي عمرها ماكانت هتنجح أبدًا..».. نظر ليه يحيى بقلق.. «أنا كنت عايز أكلمك عن موضوع رئاسة المنظمة دي..».. ابتسم له سامي وأوقفه بيده.. «مش وقته.. مش وقته يا يحيى.. دلوقتي روح لمراتك وابنك.. احضنهم واقعد معاهم.. دلوقتي مفيش خطر عليك من البهادرا والوايت هاند..

لأن البهادرا لو ماقتلش نفسه بعد ما دمر منظمته بإيده هتكون نهاية على إيد حد من أتباعه أو على إيد منظمة تانية.. مش هتفرق.. المهم إن الوايت هاند اتدمرت للأبد.. وعلشان تبقى متطمن أكتر أنا هابعت أسماء وعناوين رجالة البهادرا والوايت هاند اللي نعرفهم هنا في مصر لياسين ومعاها المعلومات اللي تدينهم.. وأهي تبقى مكافأة ليه بعد ما أنقذك..»

هنا سأله يحيى بفضولٍ: «هو ياسين شغال معاكم زي الأمين متولي كده..»

ابتسم له سامي ثم ربَّت على كتفه.. «سلام.. سلام يا يحيى».. ثم تحرك بعيدًا عنه وتركه ينظر إلى ظهره متحيرًا وما زال برأسه ألف سؤال لم يجب عنه..

****

بعـد عـدة سـاعات.. وقـف يحيـى أمـام بـاب منـزل أخـت زوجتـه وطـرق البـاب وعندمـا فتـح البـاب وجـد زوجتـه التـي احتضنتـه بقـوة شـديدة ودموعهـا منسـابة فـوق وجنتيهـا بينـما شـعر يحيـى بـين أحضانهـا براحـة الدنيـا كلهـا تنسـاب إلى جسـده المهلـك وأعصابـه المحترقـة.. فجـأة شـعر بشيء صغـير يحتضـن قدمـه فنظـر أسـفل قدمـه فوجـد مـروان الصغـير مغطـى بالشـاش مـن صـدره ويحتضنـه بشـوق وينـادي عليـه.. هنـا حملـه يحيـى بـين أحضانـه وانهمـرت دموعـه وهـو يقبلـه بشـوق شـديد وهـو على لسـانه.. «كل الدنيـا فـدا ظفـرك ياحبيبـي.. وحشـتني قـوي يامـروان.. وحشـت بابـا قـوي».. قامـت زوجتـه بإدخالـه إلى المنـزل وهـو يحتضـن ابنـه بـين يديـه وأخـت زوجتـه وزوجهـا يهنئونـه بسـلامة ابنـه وعودتـه سـالمًا..

****

بسـقوط منظمـة الوايـت هانـد انقلبـت أوضـاع العـالم بيـوم وليلـة.. فلقـد حـدث انقـلاب في دولـة فنزويـلا وسـقطت حكومـة بنجلاديـش بـدون أي أسـبابٍ.. وانهـاردت إحـدى عـشر شركـة أدويـة بالبورصـة وتـم الاسـتحواذ عليهـم مـن شركـات أخـرى.. تـم سـقوط بعـض الأقـمار الصناعيـة المجهولـة مـن مداراتهـا بالفضـاء عـلى بعـض الأماكـن بدولـة البرازيـل.. تـم تقديـم بعـض نـواب مجلـس العمـوم البريطـاني باسـتقالتهم بـدون أي أسـباب.. تـم اغتيـال عـددٍ كبـيرٍ مـن رجـال الأعـمال الروسـيين وأعلـن إقليـم كاتلونيـا عـن اسـتقلاله فجـأة وحدثـت اضطرابـات في جميـع أنحـاء اسـبانيا.. تـم تفجـير خمسـة مـلاهٍ ليليـة بفرنسـا ولم تعلـن جهـة مـا عـن مسـئوليتها.. خـلال أسـبوع كامـل كان العـالم عـلى صفيـح سـاخن بـدون أن يعلـم أحـدٌ مـا سـبب كل تلـك التغـيرات المفاجئـة..

****

(تحذير)

لا تفتح الصفحة التالية

بمكانٍ ما مجهول جلس سامي فكري أمام حاسب آلي متطور يشاهد بعض الصور والأسماء أمامها ومكتوب فوقهم مرشحون جُدُد.. أخذ يتابع سامي الصور أمامه وملفاتها وشاهد أمامه صورة لشخص يدعى «عادل مهران» ومكتوب أسفل منه «الشماس».. ولكن وضع سامي علامة إكس حمراء عليه.. ثم أخذ ينظر إلى الصور والملفات أمامه ليشاهد مرشحين آخرين ثم وقف على صورة شخص أمامه وأخذ يبتسم بخبث.. ثم قام بفتح ملفه وأخذ يفتح بثًا مباشرًا للكاميرات التي بجوار هذ الشخص وهو يقرأ معلومات عنه.. فجأة قطع جلسته تلك رنين هاتفه.. فنظر إلى شاشة الهاتف فوجد كلمة رئيس الولايات المتحدة.. فابتسم سامي وقام بالرد على الهاتف: «ألو.. بقالك كثير مابتتصلش».. هنا وصل إلى أذنه صوت شخص يحدثه الفرنسية وهو غاضب بشدة.. «إيه اللي انت عاملته ده.. إزاي تدمر الوايت هاند؟!».. ابتسم سامي وهو يحدثه بهدوء: «مش أنا اللي دمرت الوايت هاند.. ده البهادرا مش أنا.. ما انت عارف كويس يابهادرا..»

أجابه البهادرا غاضبًا.. «مادام انت عارف إن أنا البهادرا.. عملت كده ليه.. أنا مش قادر أفهمك.. إنت نفسك كنت بهادرا للوايت هاند وانت اللي اخترتني أبقى بهادرا مكانك.. ليه تدمر اللي انت بنيته».. أجابه سامي بثقة.. «علشان انت يا بهادرا خالفت أوامري وبقيت تعمل كل شيء قامت المنظمة علشان تهده.. وبعدين اختفيت انت وسِبت المنظمة للأحمق اللي مسميه البهادرا يديرها.. ودي كانت النتيجة».. أجابه البهادرا غاضبًا.. «بس انت عارف البهادر الاحمق ده يقربلي إيه.. وعارف إن انت كده بتعلن حرب البهادرا يابهادرا.. عموما إنت اللي ابتديت الحرب وانت عارف كويس أنا أقدر أعمل إيه.. لأنك انت اللي اخترتني أبقى بهادرا.. عارف مقر نابولي طبعًا بتاع السامريين.. وعارف أهميّته إيه بالنسبة لكم.. مقر نابولي من النهارده باي باي».. هنا شعر سامي بالغضب الشديد وهو يستمع إلى حديثه.. فضحك البهادرا ساخرًا.. «مالك يا بهادرا.. ساكت ليه.. إنت اللي أعلنت حرب البهادرا.. أكيد عارف اللي هيحصل ومستعدله.. مع السلامة يابهادرا..»

ابتسم سامي «مع السلامة يابهادرا..»

هنا قام سامي بوضع الهاتف بضيق أمامه على الحاسب ثم ضمَّ يده ورفعها إلى أعلى متحمسًا بشدة.. «يس.. أيوه كده.. أخيرًا قامت حرب البهادرا ..هههههه.. يااااااه.. أنا كنت مستنيها من سنين.. أخيرًا مواجهة تستاهل».. تنهد سامي وهو ينظر للبث المباشر أمامه مسلطة على شركة بمكان ما وأخذ يتنهد وهو يحدث نفسه.. «واحد بس.. واحد بس.. لما أضمه بصفي هيقلب حرب البهادرا كلها

رأسًا على عقب.. لا.. ده هيقلب العالم كله رأسًا على عقب.. واحد بس هو اللي أنا لازم أضمه.»

وأخذ ينظر إلى شاشة حاسبه وفجأة ظهر اتصال على الهاتف وتحدَّث إليه الحاسب.. «آدم عاصم يتصل بك.. آدم عاصم يتصل بك».. ابتسم يحيى بخبث وتحدَّث إلى الحاسب..»ارفض المكالمة».. فتوقف الاتصال ولكنه عاد من جديدٍ بعد عدة ثوانٍ: «آدم عاصم يتصل بك.. آدم عاصم يتصل بك..»

حدث الحاسب سريعًا.. «ارفض المكالمة».. ولكن هنا تحدَّث إليه الحاسب..» تم قبول المكالمة.. ليظهر أمامه آدم عاصم جالسًا على مكتبه بشركته يتحدث إليه.. «إنت مين.. وبتدور عليَّا ليه.. هو انت العابث؟!»

أخذ ينظر إليه سامي وهو يضحك بشدة.. وآدم أمامه ينظر له بتحدٍّ..

****

انتهت أحداث الرواية وليس لها أجزاء أخرى ولكن من الممكن أن نرى بعض شخصياتها بأعمال أخرى.. أتمنى أن تكون حازت أحداث الرواية على إعجابكم..

مع تحياتي / إسلام عبدالله

إذا كنـت تعتقـد نفسـك تمتلـك قـدرًا مـن الـذكاء فحـان الوقـت لتثبـت ذلـك..

(يوجد لغز بسيط بالرواية حله بأرقام الصفحات التالية)

(1- 23- 2- 26 - 8 10- 1) / (28 – 10 - 26 – 1) / (2- 22 – 24)

إذا اسـتطعت حـل اللغـز أرسِـل إجابتـك عـلى صفحـة الكاتـب إسـلام عبـد اللـه الشخصية

- https://www.facebook.com/eslamthefighter

أعمال الكاتب السابقة

الشماس «عودة أيواس»

الشماس الجزء الثاني « الآلام»

العابث « سجين لاسبانيتا»

جهينة « توقع الا تتوقع»

عائلة حتحور

تحت الطبع

الشماس الجزء الثالث (الهزيم)

جهينة مدينة الغرائب (الجزء الثاني)

العابث الجزء الثاني (اصدقاء واعداء)



noon_publishing@yahoo.com

0235860372- 01127772007

H1

اتش ون

حرب البهادرا

قواعد قراءة الرواية

لا تقرأ تلك الرواية اذا كان ضغطك مرتفع او منخفضا ابد

لاتقرأ تلك الرواية وانت تفعل شيء هام لأنك بالتأكيد سوف تهمله

يجب ان لا تلهث كثيرا وانت تركض بين أحداث الرواية

حاول ان لا تنسى ان تلتقط أنفاسك كل بضع صفحات

اذا كان سقف توقعاتك للرواية عاليا حاول ان ترفعه أكثر وأكثر

اذا كنت تعتقد نفسك تمتلك قدَرًا من الذكاء فحان الوقت لتثبت ذلك

فالتكن مستعدا للأتش ون .. فالتكن مستعدا لغمرة حرب البهادرا ..


ISBN : 9789777781435










رواية

اتش ون H1

إسلام عبد الله

غلاف : إسلام مجاهد

